

تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والاق قوينلوا

(814-914 هـ / 1411 - 1508 م)

الاستاذ الدكتور
علاء محمود قداوي





دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاخ العلى - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجارى - الطابق الاول
تلفاكنس : +962 6 5353402
ص.ب : 520946 عمان 11152 الاردن
E-mail: darghidada@gmail.com
خلوى : +962 7 95667143



تاريخ العراق

في عهدي القره قوينلو والاق قوينلو

814 – 914 هـ / 1411 – 1508 م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2012/2/843)

شناوي، علاء محمود

تاريخ المراقب في عهدي القرعة شرينلو والآق فوينلو / علاء محمود شناوي
عمان : دار غيداء للنشر والتوزيع، 2012

(ص)

و.ا. (2012/2/843) .

الواصفات: / التاريخ

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ©
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-555-46-7

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و خلاف ذلك إلا بموافقة على هذا كتابه مقدماً.



دار غيداء للنشر والتوزيع

جميع الحقوق التجارية - الطبع الأول

خمسوي - 962 7 95667143 +

E-mail: darghidada@gmail.com

قلاع عمان - شارع الملكة رانيا العبدالله

الهاتف: 962 6 5353402 -

جرب ، 523946 مرفأ 11152 لاين

تاريخ العراق

في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو

814 – 914 هـ / 1411 – 1508 م

الأستاذ الدكتور

علاء محمود قداوي

الطبعة الأولى

1433 هـ - 2012 م

الفهرس

7 المقدمة

الفصل الأول

ظهور القره قوينلو ((ذو القم الأسود)) وإملاهم حتى مطلع القرن التاسع الهجري

- 31..... أولاً: تسميتهم وأصلهم
36..... ثانياً: استقرار القره قوينلو في شرق الأناضول وشمال العراق وتوسع دائرة نفوذهم
40..... ثالثاً: موقف الجلّاتيين من احتلال القره قوينلو لشمال العراق
44..... رابعاً: تصدي القره قوينلو للقوات التيمورية المنتدبة نحو أذربيجان وشرق الأناضول
48..... خامساً: الصراع على زعامة القره قوينلو ويروز قره يوسف
50..... سادساً: موقف القره قوينلو من الغزو التيموري للعراق والجزيرة القراتية

الفصل الثاني

الاحتلال القره قوينلوي ((ذو القم الأسود)) لبغداد

- 57..... أولاً: الاحتلال القره قوينلي الأول لبغداد سنة 806 هـ
66..... ثانياً: انقسام السلطان احمد وقره يوسف العراق وأذربيجان
69..... ثالثاً: انضراط عقد التحالف بين السلطان احمد وقره يوسف
73..... رابعاً: معركة أسد آباد وهزيمة السلطان احمد الجلّاتري
57..... خامساً: الاحتلال القره قوينلوي الثاني لبغداد وانتهاء الحكم الجلّاتري

الفصل الثالث

الصراع الأسري القره قوينلوي ((ذو القم الأسود)) على ولاية بغداد

- 83..... أولاً: الصراع الأسري
96..... ثانياً: آثار الصراع على السكان

الفصل الرابع

علاقات القره قوينلو السياسية

- 107..... أولاً: العلاقات السياسية مع الإمارات الحليفة
116..... ثانياً: العلاقات السياسية الخارجية مع القوى المجاورة للعراق

الفصل الخامس

العراق في عهد الآق قوينلو ((ذو القم الأبيض))

- 145..... أولاً: معركة موش ومقتل جهانشاه
149..... ثانياً: احتلال الآق قوينلو للعراق
154..... ثالثاً: حكومة بغداد الآق قوينلوية

الفصل السادس الإدارة والجيش

165	أولاً: الإدارة
172	أولاً : قضاء القضاة
174	ثانياً: القضاء
174	ثالثاً: الإفتاء
175	رابعاً : الحسبة
175	خامساً: رقابة الأشرف
176	سادساً: أمانة الحج
177	ثانياً: الجيش

الفصل السابع الحياة الاقتصادية

187	أولاً: نظام الأراضي
193	ثانياً: الزراعة
204	ثالثاً: الصناعة
210	رابعاً: طرق المواصلات
213	خامساً: التجارة
223	سادساً: الضرائب وطرق جبايتها
229	سابعاً: النقود

الفصل الثامن الحياة الثقافية

237	أولاً: العلوم الدينية والتصوف
245	ثانياً: علوم اللغة العربية وآدابها
249	ثالثاً: التاريخ والأنساب
251	رابعاً: فنون الموسيقى والغناء
251	خامساً: الطب
255	الخاتمة
259	المصادر والمراجع

المقدمة

لم يزل تاريخ العراق في حقبة تسلط التركمان القره قويونلو والاق قويونلو اهتماما من قبل الباحثين العرب في ميدان الدراسات التاريخية، بينما نالت الحقب السابقة العديد من دراساتهم وبحوثهم، ورأيت ان دراسة هذه الحقبة ضرورية، لأنها تغطي النقص الحاصل في المكتبة العربية عن هذه المدة، وتكشف لنا ما واجه العراق من ويلات على يد الحكام التركمان الجدد الذين كانوا كاسلافهم المغول بدوا رحلا بعيدين عن حياة التحضر والمدنية تواقين لاستغلال سكان المدن والفلاحين إلى أقصى الحدود، فنظام حكمهم مؤسس على الظلم والاستغلال، لذلك عاشت البلاد مدة حكمهم في فوضى واضطراب. فالاقطاع وصل إلى ذروته، وتدنت أحوال السكان إلى الحضيض، وانتشرت الامراض والأوبئة، وانكفأت النشاطات الثقافية. وباختصار تكاد مدة حكمهم تكون اسوا ما مر به العراق قديما وحديثا على ما نرجح. ومع ذلك فان ما قدمته المصادر المعاصرة من نصوص أظهرت ان مرارة الاحتلال واستبداد ادواته لم تحل دون استمرار الشعب في كثير من اوجه نشاطات الحضارية من اقتصادية واجتماعية وثقافية.

لقد واجه البحث الكثير من الصعوبات، فمصادره ومراجعته مدونة بلغات عديدة عربية وفارسية وتركية وانكليزية، واغلبها لا تقدم معلومات مباشرة عن تاريخ العراق، وما تقدمه يسود أكثره الاضطراب، قلما نجد مصدرين يتفقان في سرد رواية معينة، لذا تطلب ذلك منا جهودا كبيرة في العثور على النصوص التي نخدم بحثنا ودراستها بشكل متقن ومقارنتها بعضها ببعض لتقديم صورة متكاملة عن تاريخ العراق في هذه الحقبة.

قسم البحث إلى تمهيد وثمانية فصول وخاتمة، تضمن التمهيد دراسة موجزة لوضع العراق العامة قبل القرن التاسع الهجري، أي في حقبة السلط الايلخاني الجللائي.

وتناول الفصل الاول الذي كُتب بعنوان (ظهور القره قويونلو واماراتهم حتى مطلع القرن التاسع الهجري) تسمية القره قويونلو التي اثير حولها اللغظ وأصلهم وهجرتهم والظروف السياسية التي مهدت لقيام امارتهم في شرق الأناضول وشمال العراق وتصلبهم للتيموريين.

وعالج الفصل الثاني الاحتلال القره قويونلوي لبغداد موضعا ان القره قويونلو قد احتلوا بغداد مرتين، الاولى سنة 806 هـ / 1403م ولم تدم سوى (88) يوم لعدم تمكن قره يوسف القره قويونلوي من الصمود بوجه القوات التيمورية التي استهدفت بغداد وانزعجت منه، والثانية في سنة 814 هـ / 1411م وكالا الاحتلالين قد حدث بعد حروب مع التيموريين وسلسلة من التحالفات والصراعات بين قره يوسف والسلطان احمد الجللائي كان اخرها معركة أسد آباد

ومقتل السلطان احمد الجلائري سنة 813 هـ / 1410م ودخول الشاه محمد بن قره يوسف بغداد لينهي النفوذ الجلائري فيها وذلك سنة 814 هـ / 1411م.

وقد خصص الفصل الثالث لموضوع الصراع الأسري بين الامراء المتنافسين من أسرة قره يوسف على ولاية بغداد وما تركه هذا الصراع من آثار مدمرة على السكان والمدن العراقية.

اما الفصل الرابع فكان عن علاقات القره قوينلو السياسية وقد تضمن القسم الاول منه دراسة علاقاتهم مع الامارتين المحليتين العراقيتين، امارة آل فضل و امارة المشعشين اللتين قاومتا السيطرة وحجمتا نفوذه، وتناول القسم الثاني منه علاقاتهم الخارجية مع الكيانات السياسية المجاورة للعراق وهي امارة الآق قوينلو في ديار بكر والدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام والامارة الجلائرية في شوشتر، وقد اوضحنا فيه الطبيعة العدوانية لعلاقتهم مع الآق قوينلو والجلائريين بسبب التنافس على مناطق النفوذ والطبيعة الودية في علاقاتهم مع المماليك غالبا لتوافق المصالح بينهما.

وعني الفصل الخامس بدراسة احوال العراق السياسية في عهد الآق قوينلو، وقد مهدنا له بدراسة عن معركة موش وما نتج عنها من تصدع امارة القره قوينلو وانهارها على يد حسن الطويل الذي احتلت قواته العراق سنة 874 هـ / 1469م واختتمناه بدراسة عن حكومة ولاية بغداد الآق قوينلوية وأهم الاحداث السياسية التي واجهتها.

وتضمن الفصل السادس دراسة للجوانب الادارية والعسكرية في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو في ضوء المعلومات القليلة التي وصلتنا عن ذلك في حين انصرف الفصل السابع إلى دراسة الحياة الاقتصادية بجوانبها المختلفة. اما الفصل الاخير فقد تناول الحياة الثقافية والتحديات التي واجهتها الثقافة العربية الاسلامية في العراق.

ومن الله التوفيق

د. علاء محمود قداوي

جامعة الموصل / كلية الآداب

التمهيد

العراق قبيل حكم القره قوينلو والاق قوينلو (حقبة التسلاط الايلخاني الجلائري)

تعرض العراق في النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي لهجمات شتتها عليه اقوام شبه بدائية عرفت باسم المغول، موطنها الأصلي منغوليا ذات اليشة القاسية وحدهم زعيمهم تموجين الملقب بجنكيز خان الذي استطاع أن يجعل منغوليا كلها تحت سيطرته⁽¹⁾، ومنها وجه قواته فيسيطر على شمالي الصين وأواسط آسيا وغرب إيران وشرق أوروبا⁽²⁾، وقد بدأ خطر المغول يلوح في الأفق على العراق منذ سنة 618 هـ / 1221م بعد أن اجتاحت الدولة الخوارزمية، التي كانت حاجزاً بينهم وبين العراق⁽³⁾.

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن شرق العراق وشماله تعرضا لغارات مغولية حددت سنواتها على النحو الآتي: 618 هـ / 1221م، 628 هـ / 1230م، 629 هـ / 1231م،

(1) عن ظهور المغول وموطنهم، وطبيعة حياتهم ومعتقداتهم وزعيمهم تموجين انظر: ابن العربي، غريغوريوس اللطفي: تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق اللبنانية، بيروت، العدد 48، السنة 1954، ص 418-422. واكيم، سليم: إمبراطورية على صهوات الجياد دار الكتاب العربي، بيروت، ص 43-51. بروي، الدوارد: تاريخ الحضارات العام ترجمة: يوسف إعد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، م 3، ص 355-360. العياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ج1، ص 30-51، 336-358. رشاد، عبدالمتمم: الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية، موسوعة الموصل الحضارية، ط 1، جامعة الموصل، 1992، م 2، ص 214-215. خليل، علاء محمود: المغول في الموصل والجزيرة، اطروحة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى عمادة كلية الآداب-جامعة الموصل، 1985، ص 40-45.

(2) واكيم: المرجع السابق، ص 75-91. بروي: المرجع السابق، م 3، ص 360.

(3) اجتياحهم الدولة الخوارزمية وبداية خطر المغول على العراق، انظر: ابن الأثير، أبا الحسن ابن أبي الكرم الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978، ج 9، ص 333-334، 337، 343، 346-347، 355-356، 374، 383-386.

633هـ / 1235م، هـ / 1236م، 635 هـ / 1237م، 643 هـ / 1245م⁽¹⁾. وقد بلغ مجموع الغارات الواقعة فيها ثلاث عشرة غارة، استطاع المغول أن يصلوا فيها مرتين حتى أطراف بغداد⁽²⁾، وكان الهدف منها الاستطلاع وإشاعة الفوضى والرعب في نفوس العراقيين عن طريق القتل والاستلاب.

ولم يكن رد الخلافة العباسية على هذه الغارات بالمستوى المطلوب⁽³⁾، فالثلاثة الأواخر من الخلفاء العباسيين الظاهر بأمر الله (622-623هـ / 1225-1226م) والمستنصر بالله (623-640هـ / 1226-1242م)، والمستعصم بالله (642-656هـ / 1244-1258م) لم يجهدوا أنفسهم باتخاذ إجراءات سياسية وعسكرية تصون وحدة العراق وهبة الخلافة أمام ترمص الأعداء، بل عزلوا أنفسهم عن الرعية، وانشغلوا بأعمال لا تمت بصلة إلى المسؤولية الملقة على عاتقهم لمواجهة الغزاة⁽⁴⁾، يضاف إلى ذلك أن الكيانات السياسية المحلية العراقية كإمارة أربل في عهد أميرها مظفر الدين كوكبري، وإمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ كانت هي الأخرى منشغلة بصراعاتها الداخلية والتصدي لغزو الأيوبيين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية من أجل تطلع

(1) عن هذه الغارات وسنواتها، انظر: ابن الأثير: المصدر نفسه، ج9، ص337، 384-386. ابن أبي الحديد: عز الدين أبا حامد عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، دار الأندلس بيروت، ج2، ص369-370. رشيد فضل الله الحمداني: جامع التواريخ - تاريخ خلفاء جنكيز خان -، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص230-233. ابن القوطي، كمال الدين أبا الفضل عبدالرزاق: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد 1351هـ، ص27-29، 84-85، 109-110، 199-200. الذهبي، أبا عبدالله شمس الدين محمد: تاريخ الإسلام (ميكروفلم في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد، تحت رقم 1803) ورقة 346.

(2) ابن القوطي: المصدر السابق، ص109-110، 199-200. القزاق، محمد صالح داؤد: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة للمغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970، ص52.

(3) ابن القوطي: المصدر السابق، ص110، 200.

(4) عن تقاعس هؤلاء الخلفاء، لاسيما المستعصم في مواجهة المغول، انظر: خصباك جعفر حسين: العراق في عهد المغول الأيلخانين، ط1، بغداد 1968، ص14-18. عمر، فاروق: الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، الشارقة، 1983، ص90، 93-94.

بعضها للاستحواذ على البعض الآخر⁽¹⁾. فاستغل المغول هذا الانشغال والضعف، وبدأوا يعدون العدة لاحتلال العراق وإسقاط عاصمة الخلافة العباسية بغداد بموجب خطة وضعها منكوخان سنة 649هـ / 1251م، وأوكل مهمة تنفيذها إلى هولاكو⁽²⁾، الذي زحف نحو بغداد بجيش كثيف تمكن من احتلالها في شهر صفر سنة 656هـ / 1258م بعد معركة دحر فيها الجيش العباسي عند الدجيل قرب بغداد، فاستيحت المدينة سبعة أيام، قتلاً ونهباً وحرقاً، وكان من ضحاياها الخليفة العباسي المستعصم بالله، وعدد من أفراد أسرته وحاشيته⁽³⁾. ويسقط بغداد، وبقي المدن العراقية التي أبدت البعض منها مقاومة عنيفة كاربيل وواسط سنة 656هـ / 1261م⁽⁴⁾، فقد العراق استقلاله السياسي، وأصبح جزءاً من إمبراطورية واسعة عرفت بالإمبراطورية الأيلخانية، ضمت إضافة إلى العراق، إيران، وأفغانستان، وأجزاء من آسيا الصغرى⁽⁵⁾.

(1) عن صراع هذه الإمارات وانشغالها عن المغول، انظر: الروشدي، سوادي عبد محمد: إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971، ص 71-80، 88-96. خليل: المغول في الموصل، ص 22-26. رشاد: الموصل في عهد الإدارة الأتابكية، موسوعة الموصل الحضارية، 2، ص 172-173.

(2) براون، ادوارد جارتفيل: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة بمصر، 1954، ص 565-566، 575.

(3) عن احتلال هولاكو بغداد انظر: ابن العميد المكي جرجيس: أخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، مجلة المعهد الفرنسي بدمشق، مجلد 15 سنة 1958، ص 166-167. اليوناني، قطب الدين أبا الفتح موسى: ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1954، م1، ص 85، 87-91. ابن القوطي: المصدر السابق، ص 323-328. الغساني، الملك لأشرف: المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تحقيق: شاكر محمود عبلنعم، دار البيان، بغداد، 1975، ص 624-626، 630-633. العيني، بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - حوادث سنة 648-664هـ تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ج1، ص 167-174.

(4) عن مقاومة أربيل والموصل للمغول انظر: رشيد الدين: المصدر السابق، 2، ج1، ص 298-299، 327-330. اليوناني: المصدر السابق، م1، ص 492-495. ابن أيك، أبا بكر بن عبدالله الدولة خاري: كثر الدور وجمع الغرر، تحقيق: أولرخ هارمان، مطبعة القاهرة، 1972، ج2، ص 88-89.

(5) رشيد الدين: المصدر السابق، 2، ج1، ص 338.

قَسَمَ هولاءو إمبراطوريتو الابلخانيو إلى ست وحدات إدارية؁ تابعة للعاصمة مراغة⁽¹⁾؁ وكانت كل وحدة تضم عدداً من الأقاليم؁ فكان العراق وخراسان ومازندران حتى جيحون وحدة إدارية واحدة أَسندت إدارتها للأمير أباقا⁽²⁾ . كما قَسَمَ الإقليم الواحد إلى عدة ولايات؁ وكل ولاية إلى عدة أعمال؁ وبخصوص العراق بمحدوده الحاضرة فقد قَسَمَ إلى ولايات ثلاث هي: ولاية عراق العرب وعاصمتها بغداد؁ وولاية ديار بكر وعاصمتها الموصل؁ وجزء من ولاية بلاد الجبل⁽³⁾ . وقَسَمَ عراق العرب الذي كان يمتد مابين حديثة الموصل إلى عبادان طولاً والقادسية إلى حلوان عرضاً⁽⁴⁾ إلى ستة أعمال⁽⁵⁾:-

1. بغداد.
2. الأعمال الشرقية وتشمل الخاص وطريق خراسان.
3. الأعمال القراتية؁ وتشمل حوض القرات من الأنبار جنوباً إلى عانة والقائم شمالاً.
4. الأعمال الحلية والكوفية.
5. الأعمال الواسطية.
6. الأعمال البصرية.

(1) مراغة: مدينة كبيرة من مدن إقليم أذربيجان؁ تقع على بعد سبعين ميلاً من تبريز. لسترنج؁ كي: بلدان الخلافة الشرقية؁ ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد؁ مطبعة الرابطة؁ بغداد؁ 1954؁ ص 198-199.

(2) رشيد الدين: المصدر السابق؁ م2؁ ج1؁ ص 338.

(3) أبو القداء؁ عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر؁ ط1؁ المطبعة الحسينية المصرية؁ ج4؁ ص3. العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد؁ تحقيق: فهم محمد شلتوت؁ دار الكتاب العربي؁ القاهرة؁ 1967م؁ ص 23؁ 182. العمري: محمد أمين بن خيرالله الخطيب: منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدياء؁ تحقيق: سعيد الديوه جي؁ مطبعة الجمهورية؁ الموصل؁ 1967؁ ج1؁ ص128.

(4) أبو القداء : تقويم البلدان؁ دار الطباعة السلطانية؁ باريس؁ 1840؁ ص291.

(5) ابن القوطي: المصدر السابق؁ ص 332. رؤوف؁ عماد عبد السلام: حكام العراق وموظفوه في عهد المنول الابلخانيين؁ مجلة المؤرخ العربي؁ العدد الحادي عشر؁ بغداد 1979؁ ص 57-58.

أما ولاية ديار بكر فقد قسّمت إلى عدة أعمال، وكان ما وقع منها ضمن حدود العراق الحاضر الموصل وسنجار والعمادية واربيل⁽¹⁾. وأما ولاية بلاد الجبل فكانت من أعمالها شهرزور⁽²⁾.

وكانت حكومة الولاية تحت إمرة أمير مغولي، وأحياناً يكون عليها أكثر من أمير كما حدث في عهد الإيلخان أرغون (683-690 هـ / 1284-1291 م) الذي أسند مسؤولية الإشراف على إدارة العراق إلى ثلاثة أمراء هم: جوشكاب وبايد و أروق⁽³⁾. ليحكموا قبضتهم على الولاية وليكون بعضهم رقيباً على البعض الآخر وعلى الحكام المحليين لمنع التآمر على الإيلخان ولضمان ولائهم له. كما كانت حكومة الولاية تدار بثلاث إدارات. يتمتع كل منها بنوع من الاستقلال وهي:-

أولاً: إدارة مدنية يرأسها نائب المغول، ويسمى في ولاية عراق العرب بصاحب الديوان.

ثانياً: إدارة عسكرية يرأسها الشحنة⁽⁴⁾.

ثالثاً: إدارة مالية يرأسها المشرف العالي.

وغالباً ما كانت الإدارة العسكرية بيد أحد المغول، ليضمن الإيلخانيون من خلاله حماية الولاية والقضاء على الثورات، ويجوزوا طاعة الموظفين لهم، في حين أسندت الإدارات المدنية الإيرانيين وعراقيين لامتلاكهم الخبرة. وقد ضم الجهاز الإداري المدني، فضلاً عن صاحب الديوان الذي كان بمثابة الحاكم الأعلى على العراق⁽⁵⁾، والمشرف العالي الذي يقع ضمن

(1) خصباك: المرجع السابق، ص 79. خليل: المغول في الموصل، ص 126-136.

(2) شهرزور: مدينة صغيرة تقع في إقليم بلاد الجبل تبعد عن حلوان اثنين وعشرين فرسخاً. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 412-413.

(3) رشيد الدين: المصدر السابق، م 2، ج 2، ص 128.

(4) الشحنة: كلمة تركية مغولية معربة يراد بها رئيس الشرطة. التوغمي، محمد: المعجم النحوي، دار العلم للملايين، بيروت، ص 369.

(5) يذكر القلقشندي ضمن شرحه عن منصب الوزير أن سلطات صاحب الديوان كانت تتمثل في 'أمر مستحصلات البلاد ودخلها وخرجها ... وإليه يرجع أمر كل ذي قلم ومنصب شرعي، وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع لا يشاور السلطان إلا في جل من المهمات' انظر: القلقشندي، أبا العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الأنثى، (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية)، ج 4، ص 424.

مسؤولياته الإشراف على الجوانب المالية وظائف أخرى عباسية في أغلبها ككاتب السلة، ويطلق عليه أحياناً اسم (كاتب العراق) ومن مسؤولياته الإشراف على كتابة الولاية ويده أسرارها، والصدر وهو رئيس الوحدة الإدارية المحلية، ومن مسؤولياته حماية وحدته، وضبط أمنها من أي عبث. وقاضي القضاة الذي كان يشرف على الأمور العدلية، ويده تعيين القضاة ومراقبتهم وعزلهم. وهناك وظائف أخرى أقل أهمية منها رقابة الأشرف أو العلويين⁽¹⁾ ومتوليها كان يتزعم العلويين ويحل مشاكلهم⁽²⁾. ونظارة الأوقاف أو الأحباس ومتوليها كان يشرف على أرزاق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس⁽³⁾.

ومثلما عمد المغول إلى تعيين أكثر من أمير مغولي ليشرف على ولاية العراق، عمدوا للسبب نفسه كذلك إلى تعيين أكثر من موظف على رأس كل إدارة، فقد جعلوا علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب ديوان يشاركه فيه عماد الدين عمر بن محمد القزويني بمثابة رقيب عليه وذلك سنة 657 هـ / 1259 م⁽⁴⁾، وفي عهد الإيلخان أرغون كان هناك ثلاثة موظفين، يتولون مسؤولية صاحب الديوان هم: بدر الدين خاص وسعد الدين مظفر ومجد الدين بن الأثير⁽⁵⁾. وباستثناء علاء الدين عطا ملك الجويني الذي امتد حكمه كصاحب ديوان من سنة 657 هـ / 1259 م إلى 681 هـ / 1282 م قلماً بقي شخص في منصبه مدة طويلة، ففي السنة الواحدة كان يستبدل أحياناً أكثر من صاحب ديوان، فقد تعاقب خلال المدة من 687-688 هـ / 1288-1289 م ثلاثة أصحاب ديوان، وتكررت الحالة في سنة 693 هـ / 1293 م، وفي سنة 694 هـ /

(1) خصباك : المرجع السابق، ص 69-74. العابد صالح محمد ورؤوف، عماد عبدالسلام: العراق بين

الاحتلالين المغولي والصقوي، المنشور في كتاب: العراق في التاريخ، بغداد، 1983، ص 549-550.

(2) الفلقشتدي: صبح الأعشى، ج 4، ص 37-38. وانظر: ارندتك، مادة شريف، دائرة المعارف الإسلامية

(الترجمة العربية) م 13، ص 272.

(3) الفلقشتدي: صبح الأعشى، ج 4، ص 38.

(4) ابن القوطي: المصدر السابق، ص 339.

(5) المصدر نفسه، ص 438.

1294م حكم أربعة أصحاب ديوان⁽¹⁾، وما يقال عن صاحب الديوان يقال عن المشرف المالي. وهذه الحالة لم تكن مقتصرة على ولاية العراق، بل شملت كذلك ولاية ديار بكر⁽²⁾.

ويمكننا أن نمزو كثرة هذه التغيرات الإدارية إلى رغبة الأيلخان في الحصول على أكبر قدر ممكن من المال عن طريق هؤلاء الولاة مع الخدمة المتواصلة والالتقياد الأعمى، فلم يكن للدين أو الخبرة أو الشرف أو النزاهة أي اعتبار يومئذ في اختيار الولاة أو الموظفين، أكد ذلك ابن العربي- الذي عاش في كنف الأيلخانيين- بقوله "لم يخصصوا بالإكرام من يستحق الإكرام، بل لم يولوا المدن التي احتلوها من تسلسل الأسر الملكية، إذ لا فرق عندهم بين العبد والحر والمؤمن والكافر والمسيحي واليهودي، فهم يسومونهم بصولجان واحد، وإذا اختلف إليهم أحد وقدم لهم شيئاً من المال التقفوه منه وعزروه ولبوا طلبه مهما كان سواء متضلعاً خبيراً أم جاهلاً غيباً، إنما يطلبون خدمة متواصلة وخضوعاً واطقياداً تاماً وكفى⁽³⁾. ولهذا كان حبك المؤامرات والدسائس وابتزاز الأموال من الرعية للدفع من أجل البقاء في مناصبهم ديدن الولاة⁽⁴⁾."

ولم يدم الحكم الأيلخاني طويلاً، بل انهار قبل أن يبلغ قرناً من الزمن⁽⁵⁾. ومن أبرز عوامل انهياره الصراع على السلطة بين أبناء الأسرة الحاكمة وتدخل الأمراء، لاسيما في عهد الأيلخان أحمد تكودار (680-683 هـ / 1281-1284)⁽⁶⁾، وقد استمر ذلك في عهد

(1) المصدر نفسه، ص 450، 457، 469-470، 475، 478، 481-484. وانظر: رؤوف: حكام العراق وموظفوه، ص 60-61.

(2) وللإطلاع، انظر: خليل: المغول في الموصل، فصل الإدارة المغولية في الموصل والجزيرة.

(3) تاريخ الدول السرياني، ص 398-399.

(4) عن بعض هذه المؤامرات، انظر: ابن العربي: نفس المصدر، ص 266، 390-392، 398-399. ابن القوطي: المصدر السابق، ص 367، 397-398، 481، 484.

(5) زامبايور: معجم الأنساب والأشراف الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1951، ص 362، والمهامش.

(6) عن هذا الصراع الذي أطاح برأس أحمد تكودار، انظر: ابن العربي: المصدر السابق، ص 271-273. رشيد الدين: المصدر السابق، م 2، ج 2، ص 101-121. الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي: التاريخ الغياثي، تحقيق: طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، 1975، ص 45-46.

الايلاخانات الذين أعقبوه⁽¹⁾، ليشي بحرب أهلية عقب وفاة الايلاخان أبي سعيد بهادرخان سنة 736هـ / 1335 م الذي لم يتك وريثاً يخلفه، فضككت الدولة الايلاخانية، وخضع العراق على أثر ذلك لنفوذ الشيخ حسن بن حسين بن أقبوغا بن ايلكانويان مؤسس الإمارة الجلائرية⁽²⁾.

وجلائر قبيلة مغولية⁽³⁾ ارتبطت بعلاقة مصاهرة مع الأسرة الايلاخانية الحاكمة، فقد كان حسين والد الشيخ حسن قد تزوج ابنة الايلاخان أرغون⁽⁴⁾، وجده ايلكانويان كان أحد الأمراء

(1) عن تدخل الأمراء في شؤون الايلاخان ومؤامراتهم بعد أحمد تكودار، انظر: رشيد الدين: المصدر السابق، ج2، ص 1، ص 61-64 من المقدمة. الغياثي: المصدر السابق، من 47-50. القزاز: المرجع السابق، ص 475-478.

(2) عن هذه الحروب وتمكن الشيخ حسن من احتلال العراق وتأسيس إمارة انظر: العمري، أحمد بن يحيى: التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، مصر، 1332 هـ/ ص 43-44 عبدالرحمن ابن محمد: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971م، ج5، ص 551-552. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1966م، ج2، ص 95-96.

Browne, Edward, G: A Literary History of Persia " Cambridge at the University press 1964" vol. 3, PP, 171-172.

ابن خلدون، عبدالرحمن ابن محمد: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971م، ج5، ص 551-552. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1966م، ج2، ص 95-96.

Browne, Edward, G: A Literary History of Persia " Cambridge at the University press 1964" vol. 3, PP, 171-172

(3) يوجد اختلاف حول أصل جلائر، فالغياثي يعدها إحدى القبائل التركية. التاريخ الغياثي، ص 82. والصحيح أنها إحدى القبائل المغولية الأربع الكبرى: ارلات، جلاير، قاجين، بارولاس. باروتولد: و: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 222-223.

(4) القريري، تقي الدين أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1941م، ق2، ص 489، 504. مرتضى أفندي، نظمي زيادة: كلشن خلفاء، نقله إلى العربية: موسى كاظم نوري، منشورات الجمع العلمي العراقي، ص 173. باروتولد، مادة الايلاخانية: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) م 3، ص 203. القزاز: المرجع السابق، ص 8.

المشاركين في احتلال بغداد سنة 656هـ / 1258م⁽¹⁾، ولهذا نال أبناء هذه الأسرة الحظوة عند بعض الايلخانات الذين اعتمدوا عليهم في قمع الثورات⁽²⁾، وإدارة بعض الولايات، فكان حسين بن أقبوذا والياً على خراسان في عهد الايلخان أبي سعيد بهادر⁽³⁾ وابنه الشيخ حسن على ولاية بلاد الروم⁽⁴⁾، ومن بلاد الروم قاد الشيخ حسن جيوشه عقب وفاة أبي سعيد بهادر وتمكن من احتلال بغداد واتخذها عاصمة له سنة 740 هـ / 1339 م ومنها نظم شؤون دولته⁽⁵⁾ التي امتدت في عهد حكم ابنه اويس (757-776 هـ / 1356-1374 م) لتشمل مع العراق الأحواز وديار بكر وأقليم أذربيجان وبلاد الجبل⁽⁶⁾.

وقد شهد العراق في عهدي الشيخ حسن وابنه اويس حالة من الاستقرار النسبي وبقيت بغداد محظوظة بأهميتها السياسية كعاصمة للإمارة الجلائرية حتى سنة 760هـ / 1358م، وفي هذه السنة انتقلت إدارة الإمارة إلى تبريز، ثم ما لبثت أن عادت إلى بغداد ثانية سنة 788هـ / 1386م⁽⁷⁾.

(1) رشيد الدين المصدر السابق، ج 2، ص 1، ص 286، 295، ج 2، ص 10.

(2) المصدر نفسه، ج 2، ص 135.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص 552. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 163-164.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص 551. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 164. مورتمان، مادة حسن يزرك: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، م 7، ص 390.

(5) ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي: رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1964م، ص 230-231. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص 551-552. القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1964م، ج 2، ص 139-140. المقرئ: المصدر السابق، ج 2، ق 2، ص 398، 489، 504. النياطي: المصدر السابق، ص 75.

(6) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص 552. اقبال، عباس: تاريخ مفصل إيران، مؤسسة جاب وانتشارات أمير كبير، 1341 جرش، ج 1، ص 459.

(7) اقبال: المرجع نفسه، ج 1، ص 459. العابد: العراق بين احتلالين، ص 353. خليل، إبراهيم: أوضاع العراق السياسية في عهد السلطان أحمد الجلائري، مجلة آداب الراغبين، العدد الثامن، 1977م، ص 128-129.

توفي أويس الذي كان قد اتخذ لنفسه لقب سلطان سنة 776هـ / 1374م ليخلفه ابنه حسين⁽¹⁾، وكان معروفاً بضعفه وولعه بالنساء واللهو والطرب⁽²⁾، فكان ذلك سبباً في إفساح المجال لأخويه الشيخ علي حاكم بغداد وأحمد ليتازعاه على السلطة، فانفجر الصراع وانتهى بمقتل السلطان حسين سنة 784هـ / 1382م والشيخ علي سنة 786هـ / 1384م لينفرد أحمد بحكم العراق وأذربيجان⁽³⁾.

غير أن الأمور لم تستقم له، إذ واجه منذ السنوات الأولى لحكمه كارثة الغزو التيموري لتي ستأولها لاحقاً، وكانت سبباً لإضعافه، ومن ثم قتله على يد حليفه قره يوسف القره قوينلوي سنة 813هـ / 1410م.

لقد ورث الجللاطيون النظم والتشكيلات الإدارية التي كانت سائدة عند المغول الأيلخانيين، فالإمارة الجللاتية بوصفها إحدى دول الطوائف الأيلخانية قد استمرت على نفس النظم الإدارية، وكانت إمارة إقطاعية بنفس تنظيمات الولاية والمركز التي كانت موجودة في زمن المغول⁽⁴⁾.

وفي العهد الجللاتي، مثلما كان ذلك في عهد الأيلخانيين، لم تكن السلطة المركزية فائزة سيطرتها على كل العراق، فقد بقي الكثير من المدن والمناطق العراقية تحت حكم القبائل العربية وغير العربية، فالجللاتيون اضطروا مرغمين كآسلافهم الأيلخانيين على الاعتراف

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص 552-553. زامبارو: المرجع السابق، ص 377. العاني، نوري عبدالحميد: العراق في العهد الجللاتي، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1986م، ص 24، 760.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 100. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 166. أقبال: المرجع السابق، ج 1، ص 460-461.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص 553-554. ابن حجر: انباء الغرر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، 1969م، ج 1، ص 294. الغياثي: المصدر السابق، ص 99-104. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 166.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs "B, S, O, A, S. Xviii, Part, I, 1955" P, 53-54.

(4) العاني: المرجع السابق، ص 75، نقلاً عن مكرم خليل.

بنفوذ آل فضل حديثة الطائي على المناطق الغربية من العراق⁽¹⁾. وكانت قبيلة خواجه، وهي بطن من عقيل قد فرضت سطوتها على المنطقة المحصورة بين النجف والبصرة⁽²⁾، وقبيلة عباده على منطقة البطائح⁽³⁾. كما كان الكثير من المدن العراقية بأيدي شيوخ تلك القبائل، فكانت الحلة بيد الشريف أحمد بن رميثة منذ عهد السلطان الایلخاني أبي سعيد، واستمر حكمه حتى مقتله على يد الشيخ حسن الجلّاتري سنة 744هـ/ 1343م⁽⁴⁾، ودانت البصرة والكوفة في مدد متقطعة لسلطة شيوخ قبائل عربية⁽⁵⁾. وفي شمال العراق كان زين الدين بالو يتزعم جماعة كردية يقال لهم كياجي وتحكم أربل بصورة مستقلة طوال المدة من سنة 697هـ/ 1297م حتى سنة

(1) تظهر الخارطة القبلية في العراق خلال عهد الإحتلال الایلخاني والجلّاتري وجود عدة مشيخات عربية، فضلاً عما ذكرناه ولكن دورها لم يكن واضحاً في الأحداث السياسية في تلك الحقبة، وأهم هذه القبائل ومناطق توزيعها قبيلة طيء ومن بطونها بنو زبيدة المششرون، بيرة سنجار، وبنو غزية ومضاربهم على أطراف طريق الحجيج البغدادي، وبنو سنيس الذين انتشرت فروعهم مثل خزاغة وبنو عبيد وجسوح في بطائح العراق. القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص 87-88، أما قبائل تغلب التي ترجع في نسبها إلى وائل، فكانت منتشرة في مناطق سنجار ونصيبين. قلائد الجمان، ص 132. وكان بنو عقيل ويطونهم قد توزعوا على أجزاء واسعة من أرض العراق، ومنهم فضلاً عن بني خفاجة بدو المستنق ومنازلهم بين البصرة والكوفة. قلائد الجمان، ص 121. ومن القبائل العربية الأخرى آل نطاح الذين ينحدرون من حرب العنار، ومنهم الجبور ومضاربهم في المنطقة الواقعة بين الحلة وواسط حتى البصرة. التقزاز: المرجع السابق، ص 329. وكانت هذه المنطقة أيضاً موطناً لقبائل المعادي الذين انتشروا في بطائحها. ابن بطوطة: للمصدر السابق، ص 128.

(2) ابن بطوطة: للمصدر نفسه، ص 128.

(3) الحلو، صادق ياسين: الجيش والسلاح منذ سقوط بغداد حتى العصر العثماني، موسوعة الجيش والسلاح، بغداد، 1987م، ج5، ص 33.

(4) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 221. الحلي الشيخ يوسف كركوش: تاريخ الحلة، ط1، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1965م، ق1، ص 91-94.

(5) الأعظمي، علي طريف: مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد، 1927م، ص 120-121.

710هـ/ 1310م⁽¹⁾، وكان ولاء حكام الموصل وأربل وسنجار يتردد بين الجلائريين والمماليك والقره قويونلو⁽²⁾ ليحسم في النهاية لصالح الآخرين.

وقد ترك الاضطراب السياسي والإداري أثراً سلبية على مجمل نشاطات السكان، ففي الجانب الاقتصادي، تدهورت الزراعة كثيراً، ولعل الاستشهاد بروايات بعض المؤرخين والجغرافيين المعاصرين لحقبة الاحتلال تكفي للتدليل على مقدار ذلك التدهور، فهذا ابن فضل الله العمري المتوفى سنة 749هـ/ 1348م يذكر التدهور على لسان تاجراً سافراً بالقول: سألت الصدر مجد الدين بن الدوري عن السبب في قلة الغلال ببلاد العراق مع امتداد سوادها، فقال: قلة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاء وحوزة للعراق وما جاوره من البلاد. قلت: ويغداد وأن كانت أم الممالك ودار الخلافة فقد أغفل ملوك النثر الالتفات إليها، وصرفوا عنايتهم إلى تبريز والسلطانية⁽³⁾.

وللتدليل على مقدار انخفاض الناتج الزراعي، نستشهد بإحصائية المستوفي القزويني الذي كان مسؤولاً عن ضرائب العراق، فقد أشار إلى أن واردات إقليم الجزيرة الفراتية التي تستحصل بصورة رئيسة من الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية '... تبلغ زمن الأتابكة ويدر الدين لؤلؤ عشرة ملايين دينار، فأصبح الآن - أي في سنة 736 هـ - تساوي 1.925.000 دينار'⁽⁴⁾. ومع انخفاض الناتج الزراعي كانت معاناة الفلاحين مع السلطة الحاكمة كبيرة، لأنها كانت تستحوذ على أكثر من ثلثي الناتج كضرائب⁽⁵⁾، ولم تجر محاولات جدية لتحسين الزراعة باستثناء محاولة الإيلخان غازان الذي أصدر مرسوماً بمسح جميع الأراضي الزراعية على أن تتخذ نتائج المسح أساساً في تقدير ضريبة الخراج، والهدف من ذلك القضاء

(1) زكي بك، محمد أمين: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، 1939م، ص 167-168.

(2) خليل: المغول في الموصل، ص 116، 126-135. العاني: المرجع السابق، ص 51-54.

(3) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 332 (تقلاً عن ابن فضل الله العمري).

(4) Mustawfi of Qazwin, Hamd-Allah: Nuzhat Al-Qulub " Tra. By-G-le- Strange, Leyden-Bril, London, 1919 " P. 102.

(5) اشتور، آ: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبدالحادي عبله، دار قتيبة، دمشق، 1985م، ص 336.

على أهواء المتلاعبين بهذه الضريبة لغرض تشجيع الزراعة⁽¹⁾، ورافق هذا الإجراء تنفيذ بعض المشاريع الإروائية⁽²⁾. كما نلمس بعض الجهود الإصلاحية لدى بعض السلاطين الجللاطيين، كالسلطان أويس الذي أعفى سكان بغداد على أثر غرقها سنة 775 هـ / 1373م مدة خمس سنوات من دفع الخراج مع أعمار ما دمره الفيضان وشق الترع وزرع الأبنان⁽³⁾.

غير أن مثل هذه الجهود لم توقف التدهور، فقد كانت تقابلها بفعل الحروب والثورات وفقدان الأمن هجرات جماعية⁽⁴⁾، ومصادرة غلال⁽⁵⁾ وحرق مزارعات⁽⁶⁾، وكسر سدود⁽⁷⁾، وقتل جماعي⁽⁸⁾، وكوارث طبيعية كالفيضانات وانتشار أمراض وأوبئة، وموجات جراد،

(1) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م، ص 392.

(2) من آثاره الأروائية "نهر أخرجه من الفرات ما بين دجلة وبغداد وعمل عليهما كثيراً من العمارة وسمي بالنهر الغازاتي ... الغيائي: المصدر السابق، ص 51.

(3) الغيائي: المصدر نفسه، ص 89-90.

(4) يذكر ابن العبري اضطراب (70.000) كردي و (400) شخص من طائفة الشيخ علي إلى الحرب إلى بلاد الشام بفعل الإرهاب المغولي لأكراد شمال الموصل. انظر: تاريخ الدول السرياني، ص 142-257. وهناك من يذكر أيضاً أن أعداداً كبيرة من القبائل الشهرزورية العراقية قد تركت موطنها إلى الشام في تلك المدة. انظر: ابن الصابوني وجمال الدين أبا حامد محمد بن علي الحمودي: تكملة أكمال الأكمال، تحقيق: مصطفى جواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1957م، حاشية ص 105. الطونين يوسف جرجيس جبر: جهود العراقيين الحضارية في بلاد الشام ومصر، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب - جامعة بغداد، 1990م، ص 99.

(5) يذكر رشيد الدين أن المالك كانوا يلعمرون ... ديار بكر ... ويأكلون الغلال... وأبقا خان يتألم من أعمالهم. جامع التواريخ، م2، ج2، ص 82.

(6) يذكر التلقشندي أن للمنطقة المحصورة بين الموصل وسنجار كانت تسمى بالمحروقات بفعل الحروب بين الأيلخانيين والمالِك. صبح الأعشى، ج14، ص 401-402.

(7) منها تعمد مرجان والي بغداد كسر سدود نهر دجلة وإغراق ضواحي بغداد لإعاقة تقدم جيش السلطان أويس الجللاطري الذي كان مرجان قد تمرد عليه. الجواهري، عماد: صراع القوى السياسية في المشرق العربي، منشورات جامعة القادسية، 1990م، 23.

(8) عن بعض عمليات القتل التي كانت تطال سكان القرى، انظر: ابن العبري: المصدر السابق، ص 386-388 في حديثه عن قرى أربل والموصل سنة 683 هـ وسنة 684 هـ.

وانحسار أمطار، ولنا في ذلك أمثلة كثيرة لا مجال لذكرها هنا⁽¹⁾ أدت كلها بطبيعة الحال إلى تناقص عدد المشتغلين بالزراعة⁽²⁾. ولهذا فلا نستغرب من أن الكثير من القرى الزراعية التي كنا نسمع بوجودها قبل الاحتلال المغولي، لم يعد لها ذكر في العهدين الإيلخاني والجلائري⁽³⁾، كما أشار إلى ذلك أبو الفدا وهو يتحدث عن البصرة بقوله 'حكى لي من أثق به أن البصرة وبلادها التي على هذه الأنهر المذكورة قد خربت حتى لم يبق منها غير قيراط واحد من أربعة وعشرين قيراطاً'⁽⁴⁾. وكذلك أشار المستوفي القزويني إلى خراب مدن حلوان والخالص ونهروان بفعل المغول وهي مناطق زراعية مهمة⁽⁵⁾.

وما أصاب الزراعة من تدهور أصاب الصناعة كذلك، فقد طال ممتنها الحيف والقتل والأسر على يد الغزاة لاسيما في بداية الاحتلال، ويذكر مؤرخ المغول رشيد الدين الهمداني بأن جند المغول الذين احتلوا الموصل سنة 660هـ/1261م قد 'قتلوا بقية سكان المدينة بحد السيف، وأسروا بعضاً من أرباب الحرف والصناعات بحيث لم يبق أحد في الموصل'⁽⁶⁾. وعلى الرغم من وطأة الاحتلال، فقد تمكن من بقي من أصحاب الصناعات من إعادة نشاطهم لحاجة السكان لمنتجاتهم، ولرغبة الأسر الحاكمة في اقتناء صناعاتهم، فضلاً عن أن الصناعة ستدر عليهم أموالاً عن طريق الضرائب التي تفرض عليها، ولهذا انتعشت الصناعة بسرعة، لاسيما صناعة المنسوجات التي أقام الإيلخانيون مصنعاً حكومياً لها في بغداد، وأقام

(1) عن تفاصيل الكوارث الطبيعية، انظر: خصباك: المرجع السابق، ص 93-94، 213، 227-288. المعاني: المرجع السابق، ص 177-178، 227-228.

(2) يشير روبرت مالك أدمز إلى أن عدد سكان حوض دبال قد تناقص كثيراً في العهد الإيلخاني قياساً لعهود سابقة، انظر: أطراف بغداد تاريخ الاستيطان في سهول دبال، ترجمة: صالح أحمد العلي وآخرون، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م، ص 353.

(3) حدد الطوني أسماء القرى التي اندثرت في منطقة الموصل في هذه الحقبة، وهي: باجبار، باشلي، باشمانا، برقيع، البوازيح، ثمانين، حليمة الموصل، خصا، الدولعية، السن، قبرنا، قصر ريان، كرشا، كرميا، ملكشور، واسطو. جهود العراقيين الحضارية، ص 27-28.

(4) تقويم البلدان، ص 57.

(5) Nazhat - Al - Qulub, P. 41, 47, 50.

(6) جامع التواريخ، م2، ج1، ص 330.

الجلاليريون مصنعاً مثيلاً له لإنتاج أنواع فاخرة من القماش⁽¹⁾، كما انتعشت في بغداد صناعة الورق⁽²⁾، والأسلحة⁽³⁾.

ولمى جانب بغداد كانت هناك مركز صناعية في مدن عراقية أخرى كالموصل وأربل والتجف وواسط والحلة والبصرة، وجميعها كانت تنتج أنواعاً مختلفة من المتوجات لاسيما النسيج والزجاج والأسلحة⁽⁴⁾ التي كانت تلقى رواجاً كبيراً في الأسواق الخارجية⁽⁵⁾.

ويلاحظ أن الجغرافيين والرحالة الذين زاروا العراق خلال حقبة الاحتلال اطروا كثيراً الصناعة العراقية⁽⁶⁾، ولكن يجب ألا يؤخذ هذا الإطراء على أساس أن الصناعة قد استعادت عافيتها وازدهرت مثلما كانت في العهد الذي سبق الاحتلال، بل يجب أن يؤخذ على ضوء الحالة العامة لباقي النشاطات في زمن الاحتلال.

(1) المصدر نفسه، ج2، ص1، مقدمة كاترمير، ص28. الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص151. العاني: المرجع السابق، ص242-244. القيل، محمد رشيد: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الأيلخاني، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد السادس، 1963م، ص312.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص487. ولبر، دونالد: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة: نعيم محمد حسين، القاهرة، 1985م، ص69. القيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد ص314.

(3) يذكر ابن بطوطة أن قسماً من الأسلحة المصنعة في العراق كان يصدر إلى الهند انظر: رحلة ابن بطوطة، ص396، 513.

(4) ابن سعيد المغربي، علي بن موسى: كتاب الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، بيروت، 1970م، ص157. ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ترجمة: عبد العزيز توفيق جساويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م، ص37-38. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص176، 183، 220.

Al-Feel, Muhammed Rashid: The Historical Geography of Iraq Between the Mongolian and ottoman Conquests " Al - adab-Press, Negef, 1965 " Vol. I, P. 265.

(5) عن رواج السلع العراقية في الخارج، انظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ص286، 304، 513. القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص487. ولبر: المرجع السابق، ص69.

(6) عن هذا الإطراء، انظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، منشورات دار صادر، بيروت 1960م، ص262، 313، 315، 462. ماركو بولو: المصدر السابق، ص37، 38. ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص157. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص176، 225، 235.

أما التجارة فقد اعنت من التدهور أيضاً، ولعل أسباب ذلك تكمن فضلاً عما ذكرنا عن الزراعة والصناعة في كثرة الضرائب⁽¹⁾ والتلاعب بالعملة⁽²⁾ والمنافسة الدولية وتغير الطرق التجارية العالمية⁽³⁾ والصراعات السياسية. فالصراع الأيلخاني المملوكي عرقل تجارة العراق مع بلاد الشام ومصر، فقد كان المغول يعمدون في غاراتهم إلى نهب القوافل التجارية، وتخريب أسواق المدن التي يحتلونها، ففي سنة 670هـ / 1271م أغارت جماعة من المغول على حرّان من بلاد الجزيرة الفراتية فنهبت أسواقها⁽⁴⁾، وفي سنة 717هـ / 1317م تعرضت قافلة تجارية كانت خارجة من إحدى مدن ديار بكر لهجوم عند رأس العين لعدوان قوة مغولية، وذهب ضحية ذلك أكثر من ستمائة تاجر⁽⁵⁾. فقابلهم المماليك بالمثل، ففي سنة 683هـ / 1284م انقضت كنية مملوكية على أسواق الموصل فنهبت التجار بعد أن حاصرتهم في سوق البزازين وأفرغوه من جميع امتعتهم من ذهب وفضة وثياب كثيرة ثم حطموا الدكاكين وأبواب السوق ومنها تحولوا إلى باقي أسواق المدينة يهبون ويعيثون، وأسروا خمسمائة من الجوّاري، وأفرغوا المدينة من مواشيها وخيولها. وأعادوا غاراتهم في السنة التالية مستهدفين الموصل وأربل فانتهبوها⁽⁶⁾. كما طالوا بالتخريب ميناء أياس⁽⁷⁾ سنة 722هـ / 1322م و 737هـ / 1336م

(1) يذكر رشيد الدين المحدث أن شدة تصف المغول في جباية الضرائب أوصلت أصحاب بعض المتوجات إلى حالة لم يعد أصحابها يقومون على نصف ما يطلب منهم، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان)، ص 216.

(2) يذكر ابن القوطي أن غازان أمر سنة 698 هـ بأن يصفى الذهب والفضة الذين يستخدمون في النقود من الغش. الحوادث الجامعة، ص 498.

(3) فهمي، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، القاهرة، 1973م، ص 118. رافق، عبد الكريم: العرب والعثمانيون، ط 1، دمشق، 1974م، ص 3-4.

(4) ابن شداد عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم: الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عباره، دمشق، 1978م، ج 3، ق 1، ص 63. الكتي، محمد بن شاك: عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونيلة عبدالنعم، دار الرشيد، بغداد، 1980م، ج 20، ص 40.

(5) ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل: البداية والنهاية، مطبعة المعارف، بيروت، 1966م، ج 14، ص 83.

(6) ابن العبري: المصدر السابق، ص 386-388.

كونه يخدم تجارة العراق الايلخانية⁽²⁾، وعمدوا أيضاً إلى استقطاب أعداد كبيرة من تجار العراق ليستقروا في بلاد الشام ومصر⁽³⁾ بهدف ضرب اقتصاد العراق الايلخاني أولاً ولتسخير أموال هؤلاء التجار لتنشيط اقتصاد دولتهم ثانياً.

غير أن عملية التخريب التجاري والتخريب المضاد لكلتا الدولتين لم تكن دائمة لأن حالة الصلح السياسي بين الدولتين كانت تفعل فعلها الإيجابي مع التجارة، كما نلمس في عهد الايلخان أحمد تكودار (680-683 هـ / 1281-1284 م) الذي وقع اتفاقية صلح مع السلطان المملوكي سيف الدين قلاوون⁽⁴⁾، فحدث تبادل تجاري جيد، إذ فتحت بموجب هذه الاتفاقية "... الطرق وأخذ التجار يسافرون من بغداد والموصل والعجم إلى سوريا، ومن سوريا ومصر إلى بلاد التتر دون أدنى أذى⁽⁵⁾". تكررت هذه الحالة في عهد الايلخاني أبي سعيد الذي وقع اتفاقي صلح مع المماليك سنة 723 هـ / 1323 م، يتضمن أحد بنودها أن "... تكون الطرق بين المملكتين مفتوحة لتسير تجارة كل مملكة إلى أخرى⁽⁶⁾".

وفي العهد الجلائري كانت لاسمة العامة لعلاقات الجلائريين السياسية مع المماليك سلمية⁽⁷⁾، إذ كان التبادل التجاري بين الدولتين مزدهراً لأنه لقي دعم السلطات الحاكمة في كلتا الدولتين⁽⁸⁾.

(1) إياس: ميناء يقع على شاطئ كيليكه فوق الجانب الغربي لخليج الاسكندرونة. هارتمان، مادة إياس: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) م3، ص 168-169.

(2) أبو الفداء: المختصر، ج4، ص 91، 119. هارتمان، مادة إياس، م3، ص 169. طوني: جهود العراقيين، ص 19.

(3) الطوني: المرجع نفسه، ص 104-112.

(4) عن بنود هذه الاتفاقية التي يخص قسم منها التجارة، انظر: ابن عبدالظاهر عمي الدين: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، ط1، القاهرة، 1961 م، ص 8-9، 13-14.

(5) ابن العربي: المصدر السابق، ص 269.

(6) القرطبي: المصدر السابق، ج2، ق1، ص 209-210، 242.

(7) عن الطابع السلمي لهذه العلاقة، انظر: محمد سالم يونس: العراق في السياسة المملوكية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل، 1988 م، ص 131-140.

(8) العاني: المرجع السابق، ص 281-285.

إن ماواجهته حركة التجارة العراقية الايلخانية من مصاعب مع بلاد الشام ومصر لم تكن كذلك مع باقي الدول، فقد كانت حركة التجارة العراقية قائمة مع الصين والهند في العهدين الايلخاني والجلاتوي⁽¹⁾، كما كان هناك نشاط تجاري مع بلاد الروم وأرمينيا⁽²⁾ وبعض البلدان الأوروبية⁽³⁾، هذا فضلاً عن أن تجارة العراق بقت مزدهرة مع بلاد إيران التي دانت هي الأخرى بالتبعية للایلخانيين ومن ثم للجلاتيين ومشاهدات ماركو بولو تجار عراقيين في تبريز تؤكد ذلك⁽⁴⁾.

أما على صعيد النشاط الثقافي، فقد واجهت الثقافة في العراق تحدياً قاسياً، بعد أن طالت سيوف المحتلين الايلخانيين في بداية احتلالهم المدن العراقية أعداد كبيرة من العلماء⁽⁵⁾، وفعلت معاوهم فعلها في مؤسسات العراق العلمية⁽⁶⁾، وتراثه الفكري⁽⁷⁾،

(1) انظر: عن مشاهدات ابن بطوطة للتجار والبضائع العراقية في بلاد الهند والصين. رحلة ابن بطوطة، ص 396، 513، 521، 561، 635. وانظر كذلك: اشتور: المرجع السابق، ص 342-343.

(2) ابن بطوطة: المصدر السابق، 286، 295، 298، 304. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 5، ص 356.

(3) ماركو بولو: المصدر السابق، ص 37-38. بور، ايلين: طواف ارباب الحرف والتجارة في العصور الوسطى (تاريخ العالم)، اشرفت على ترجمته: إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، مكتبة النهضة المصرية، م 5، ص 309-310. رافق: المرجع السابق، ص 10.

(4) ماركو بولو: المصدر السابق، ص 42. وانظر كذلك: اشتور: المرجع السابق، ص 343.

(5) عرفت بعض المصادر أسماء عدد كبير من العلماء العراقيين الذين قتلهم المغول، وللإطلاع، انظر: اليونني: المصدر السابق، م 1، ص 332-340. الغساني: المصدر السابق، ص 635-640.

(6) يذكر ياسين بن خير الله الخطيب العمري أن عدد المدارس التي كانت في الموصل في النصف الأول من القرن السابع الهجري زمن بدر الدين لؤلؤ بلغت (28) مدرسة، انظر: منية الأدباء في تاريخ الموصل تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الهندف، الموصل، 1955م، ص 66. وفي عهد الحكم الايلخاني لما لم تصل إلينا غير أخبار (4) مدارس فقط. انظر: عبود، نافع توفيق: مدارس المدن العراقية خارج بغداد في عهد الاحتلال الايلخاني، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، تصدرها جمعية المؤرخين والأثاريين في العراق، العدد الأول، دار الحرية، بغداد، 1981م، 244-246، وهذه دلالة على أن التخريب قد طال معظمها.

(7) تذكر بعض المصادر أن أكثر من (400) ألف كتاب ضمتها مكتبة نصير الدين الطوسي في مراغة كانت قد نهبت من بغداد والشام والجزيرة الفراتية بيد المغول. الكتي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج 3، ص 247. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت ريتز، ط 2، دار النشر فرانز بفسبادن، 1961م، ج 1، ص 179.

وأشار السخاوي مبالغاً أن بغداد عند احتلالها سنة 656هـ / 1258م لم يبق فيها بفعل المجزرة من يعرف شيئاً من العلم⁽¹⁾. ومن أفلت من القتل فضّل الهجرة إلى البلاد المجاورة طلباً للأمان وحرية الفكر، فوصلت الهجرة من بعض مدنه كالموصل حوالي 52٪ من مجموع العلماء خلال السنوات الست والسبعين من الاحتلال الأيلخاني لها⁽²⁾، وخلال حقبة الاحتلال الجلائري تواصل التراجع الثقافي فيها، فقد أوردت إحدى الدراسات أن عدد العلماء في الموصل كان في العهد الأيلخاني محدود (121) عالماً تناقص في العهد الجلائري إلى (46) عالماً⁽³⁾. كل ذلك حدث بفعل حالة التدهور العام مضافاً إليها عدم تعاطف المحتل مع الثقافة العربية، ولعل اتخاذ المحتلين الفارسية لغة رسمية لدواوينهم⁽⁴⁾ دليل على ذلك. ولهذا لم ينل العلماء العراقيون الحظوة عندهم إلاً بالقدر الذي كان يتماشى مع حاجات المحتل العلمية لاسيما في مجال الفلك لحل مشاكلهم اليومية والمستقبلية، والطب لأغراض العلاج⁽⁵⁾. ومع هذا نجد أن جذوة الثقافة

(1) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن: الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، نشر القدسي، 1349هـ ص 139.

(2) الحسو، احمد عبدالله: الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة المغولية الأيلخانية، موسوعة الموصل الحضارية، م 2، ص 52.

(3) انظر: الحسو: الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الجلائرية موسوعة الموصل الحضارية، م 2، ص 259. ولغرض الاطلاع على تفاصيل واقع الحياة الثقافية في العراق في كلا العهدين، انظر: آل ياسين، محمد مفيد: الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، ط 1، الدار العربية، بغداد، 1979م، زعين، حسن بالاشتراك مع نوري عبد الحميد خليل: الثقافة العربية ومراكز العلم في العراق في الفترة الجلائرية، مجلة دراسات الأجيال، العدد الأول والثاني، آب 1984م، الحمداني، طارق نافع: التكوين التاريخي في العراق (656 - 891 هـ / 1258 - 1486م مع دراسة خاصة عن ابن القوطي والغياثي)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، العدد 29، المجلد الثامن، 1988م.

(4) علي، علي شاكراً بالاشتراك مع علاء محمود خليل: دور الموصل والجزيرة الثقافية في مواجهة التحدي المغولي، (مقبول للنشر في مجلة المورد)، ص 4.

(5) أورد ابن القوطي أسماء عدد من هؤلاء العلماء الذين نالوا الحظوة يومئذ انظر: تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد مطبوعات مديرية إحياء التراث، دمشق، 1965م، ج 4، ص 215-216 و ج 5، ص 91، والجزء الأخير، تحقيق: الحافظ محمد لاهور، 1940م، ويذكر عبد الله الرازي أن سعد الدولة اليهودي الموصلية التوفي سنة 690هـ / 1291م كان المسؤول الأول عن طبابة البلاط

العربية في العراق لم تحمد، فقد واصل العطاء من تحمل منهم وطأة الاحتلال، وبرز منهم علماء كان لهم شأن كبير في عملية الحفاظ على الإرث الثقافي وإغنائه بتأجمات جديدة، ولعل رجوعنا إلى كتاب 'الدرر الكامنة' في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني الذي تضمن ترجمات كثيرة لعلماء عراقيين يكفي للتدليل على مكانة أولئك العلماء العلمية في تلك الحقبة، لكنها لم تكن بأية حال بالمستوى الذي كانت عليه قبل الاحتلال.

وأخيراً على ضوء الصورة العامة لكل النشاطات التي عرضنا لها والتي تمثلت بمحدث حالة تراجع عام، يجب أن نتذكر بتقدير عال أولئك العراقيين الذين واصلوا العطاء الحضاري على الرغم من سطوة الاحتلال وأعمال التخريب وانعدام الأمن، فكان عطاؤهم بمستوى التحدي والمسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه أجيالهم اللاحقة.

الإيلخاني في عهد الإيلخان أرغون. تاريخ كامل إيران، طهران، 1335 هـ م3، ص 310. وانظر كذلك: رشيد الدين: المصدر السابق، م2، ج2، ص 139.

الفصل الأول

ظهور القره قوينلو ((ذو الغنم الأسود))

حتى مطلع القرن التاسع الهجري

أولاً : تسميتهم وأصلهم.

ثانياً : استقرار القره قوينلو في شرق الأناضول وشمال العراق وتوسع دائرة نفوذهم.

ثالثاً : موقف الجلائريين من احتلال القره قوينلو لشمال العراق.

رابعاً : تصدي القره قوينلو للقوات التيمورية المنتهضة نحو أفريجيان وشرق الأناضول.

خامساً : الصراع على زعامة القره قوينلو وبرز قره يوسف.

سادساً : موقف القره قوينلو من القزو التيموري للعراق والجزيرة الفراتية.

الفصل الأول

ظهور القره قوينلو ((ذو الغنم الأسود)) وإمارتهم حتى

مطلع القرن التاسع الهجري

أولاً: تسميتهم وأصلهم:

القره قوينلو: اسم مركب من لفظتين 'قره' بمعنى: الأسود، و'قوين' بمعنى الشياه أو الغنم، واللام والواو للدلالة على النسبة، والتسمية الصحيحة هي قره قوين أي الغنم الأسود ولكن ترجمتها قد شاعت خطأ بـ 'الحروف الأسود'⁽¹⁾، ويتلفظ العثمانيون هذه التسمية 'قره قوينلي' بزيادة حرفي اللام والياء للدلالة على النسبة في اللغة الترية⁽²⁾.

وثمة بعض الآراء حول أصل التسمية، فقد رأى مالکولم ومينورسكي أن أصل التسمية يرجع إلى فكرة طوطمية⁽³⁾ لرسمهم صور الشياه السود على أعلامهم ونصب هياكلها على قبورهم⁽⁴⁾، وهذا الرأي يكاد يجاريه الباحث جويان خضر حيدر الذي رأى أن فكرة الطوطمية

(1) التونجي: المرجع نفسه، ص 442. العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد 1939 م، ج3، ص 24. وانظر: الفياثي: المصدر السابق، ص 237، هامش الحق رقم (2).

(2) منجم باشي، أحمد بن لطف لله المولوي: صحائف الأخبار، المطبعة العامرة، اسطنبول، 1285 هـ م3، ص 149، انش، أحمد، مادة آق قوينلي: دائرة المعارف، بإدارة: فؤاد أقرام البستاني، بيروت، 1956 م، ج1، ص 283.

(3) الطوطم: كانتات حيوانية أو نباتية تلقى الاحترام والتقدیس عند بعض القبائل البدائية، وكل قبيلة من هذه تعتقد بوجود صلة نسب بينها وبين واحد من هذه الكائنات، لذا تسمى باسم الحيوان أو النبات الذي ترتبط به، ولهذا لا تقدم على قتله أو أكله، وتعد مصدراً لقوتها وللدافع عنها عند اللزمات. العلي، صالح أحمد: محاضرات في تاريخ العرب، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1981 م، ج1، ص 131.

(4) Malcolm, Sir John: History of Persia " London, 1814" Vol. I, p.490. sumer, Faruk: kara koyunlular " Ankara, 1967 " I cilt, S, 13.

والمرجع الأخير ورد فيه رأي مينورسكي.

لازمت الأتراك - والقره قوينلو ينحدرون منهم - لكنها لم تتمحور حول الحيوانات البرية، وإنما حول طيور الصيد⁽¹⁾.

ويبدو لنا أن ربط مالكولم ومينورسكي التسمية بفكرة طوطمية افتراض غير صائب لأن الشواهد المادية التي اعتمدا عليها والتي أطلعنا على نماذج مصورة منها تؤكد خلو أعلام القره قوينلو وتقودهم من صور حيوانية كما أن قبورهم تسم بتقليديتها شأنها شأن قبور المسلمين⁽²⁾، ولذا نرى أن التسمية محليّة أطلقها عليهم سكان أذربيجان وشرق الأناضول بعد استقرارهم فيها، وأن سبب التسمية جاءت لاقتنائهم كما ذكر عباس العزاوي⁽³⁾، وفالتر هيتز⁽⁴⁾ شيئاً سوداً، وأن إطلاق مثل هذه التسميات كانت عادة شرقية معروفة في تمييز مجموعة بشرية بما تملك من الحيوانات أو أي شيء آخر⁽⁵⁾.

وفيما يتعلق بالأصول الأولى لنشوء هذه القبيلة وتكوين إمارتها فالأمر ما يزال غير واضح⁽⁶⁾، لنقص المعلومات في هذا الجانب الأمر الذي جعلنا نفترض أن هذه القبيلة لا تخرج عن نطاق كونها إتحاداً بدوياً لمجموعة من القبائل التركمانية⁽⁷⁾، لأن تكوين أية إمارة يرتبط

(1) الميثولوجيا التركية، إصدارات معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، سلسلة الدراسات التركية، 1988م، ص18.

(2) للإطلاع على نماذج مصورة من أعلامهم وتقودهم وقبورهم الحالية من الصور الحيوانية، انظر في الأعلام والقبور:

Uzuncarsili, Ismail Hakki: Anadolu Beylikleri Ve Akkoyunlu, Karakoyunlu Devletleri " Ankara, 1969 "

وذلك في ملحق الصور: 49، 41 وفي النقود: توحيد، أحمد: مسكوكات قديمة إسلامية قتلوغلي، قسطنطينية، محمود بك، مطبعة سي، 1321هـ، ق4، ص 450-451، 454، 459، 467.

(3) تاريخ العراق، ج3 ص 24.

(4)Uzun Hasan Ve Seyh Guneyd Ceviren Tefvik Biyiklioglu " Ankara, 1948 " S, 91. □

(5) العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص24.

(6)Minorsky: The Middle East in Western Politics in the 13th, 14th, and 15th Centuries in " J. R. C. A. S. 1940, part 27", p. 440.

(7) يوجد فرق بين مصطلح ترك وتركمان، فالأول يطلق على مجموعة القبائل الرحل التي كانت تقيم في آسيا الوسطى، والثاني يقصد به قبلة من الترك هم الغز أو الأوغوز وهم إثنان وعشرون بطلاً. الكاشغري،

بموامل سياسية واقتصادية وجغرافية فيعد أن تبرز قبيلة ما عدداً من الانتصارات تجذب إليها قبائل أخرى، ويعد أن تتحد هذه القبائل تتعاظم قوتها ويكون لها شأن كبير. وقد تكون العملية معكوسة تماماً، فقد تضكك هذه القبيلة التي كانت متكونة من اتحاد بدوي إلى مجموعة من القبائل الفرعية، تبحث كل قبيلة منها عن استقلاليتها لتبرز واحدة منها لظرف ما تكون من خلاله قادرة على التأثير في الأحداث السياسية في منطقتها، وبموجب ذلك لا نستبعد أن يكون القره قوينلو من أصل قبيلة واحدة، أو اتحاد قبائل انفصلت عن بعضها فيما بعد لظرف ما، ثم تهيئت لها فرصة الصعود كقبيلة مستقلة لتحقيق ما حققته من نجاحات سياسية⁽¹⁾ بحيث غدت معروفة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين كقوة مؤثرة في الأحداث السياسية في غرب إيران وشرق الأناضول والعراق.

وقبل التحقق من أصلهم لا بد من الإشارة إلى أن نقص المعلومات عن القره قوينلو قبل أن يكونوا إمارة لم يرجع إلى عدم اهتمامهم بتدوين تاريخهم كونهم بدواً رحلاً لا هم لهم سوى تأمين قوتهم وموطناً لهم كما أن المؤرخين لا تجذب انتباههم في العادة إلا الأحداث السياسية الكبرى، لذا نجد أن التدوينات التاريخية لكثير من الأسر والقبائل الحاكمة لا تبدأ إلا بعد أن تشتهر ويكون لها شأن كبير في الأحداث السياسية في المنطقة التي تعمل فيها عند ذاك تجذب انتباه المؤرخين الذين يشرون بتسجيل أخبارها ولاسيما القديمة منها بعد أن تكون قد مضى عليها زمن طويل تحولت فيه الأحداث إلى صور قديمة من الأساطير حتى لتكاد الوقائع الحقيقة تضيق في خيالات المؤرخين⁽²⁾، وأحياناً تدفع القبيلة الحاكمة المؤرخين إلى تدوين تاريخها وإعطائه عمقاً موعلاً في القدم ومنحها نسباً مشرفاً يسوغ شرعية حكمها، لذا لا يمكن الاطمئنان دائماً لمثل هذه التدوينات.

وفي ضوء ذلك لا يبدو مستغرباً أننا لم نثر على معلومات عن أصل القره قوينلو من المؤرخين الذين عاشوا قبل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي والذين تناولوا تاريخ القبائل التركمانية كالكاشغري⁽³⁾ الذي عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر

محمد ابن حسين بن محمد: ديوان لغات الترك ط1 دار الخلافة العلية المطبعة العامرة، 1333هـ م 1، ص

28-56.

(1)Romer, H.R: The Turkmen Dynasties in " C, H, I " Vol. 6, pp. 152-153.

(2) نوار، عبد العزيز: الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية بيروت، 1973م، ص 28.

(3) ألف الكاشغري كتابه الموسوم "ديوان لغات الترك" سنة 466هـ فذكر بارتولد أنه أول من ناقض الحديث في وصف الشعوب التركية ومواطنهم ولغاتهم بما فيهم الترك غير الخالص. انظر: مادة ترك: دائرة المعارف

الميلادي وفصل الحديث عن القبائل التركية، لكنه لم يشر إلى وجود قبيلة باسم القره قوينلو، ولم يتحدث عن أصل هذه القبيلة، بيد أننا بدأنا نسمع عن هذه القبيلة بعد استقرارها في شرق الأناضول وتأسيسها إمارة في هذه المنطقة.

ويذكر صاحب تاريخ قطب شاه الذي يعد مؤرخ القره قوينلو أن قره يوسف زعيم هذه القبيلة يرجع في أصله إلى أوغوزخان بن يافت بن نوح⁽¹⁾، وأغوز هو البطل الأسطوري للقبائل التركية. ولكن هذا المؤرخ لا يعطينا سلسلة نسب متصلة، وعليه لا يمكن أن نعول كثيراً على ما جاء به سوى قوله بانتسابهم إلى أوغوز، ويشير ابن خلدون إلى أن يافت هو أبو الترك في قوله "... وأما يافت فمن ولده الترك ... باتفاق من النسابين⁽²⁾، ومن ترك دخل الأتراك في طور التاريخ بعد أن شرعوا في الاندفاع من جبال تيان شان إلى بوادي آسيا الوسطى، فتكونت في هذه المنطقة خصائصهم العرقية المتميزة التي يسميها علماء الأجناس البشرية بالخصائص الطورانية⁽³⁾. ويشير مؤرخ الترك محمود الكاشغري إلى أن الترك في الأصل عشرون قبيلة تنسب إلى ترك بن يافت، ولكل قبيلة منها عدة بطون، ومن هذه القبائل قبيلة أغز التي تنسب إلى أوغوزخان، ولهذا القبيلة اثنا عشرون بطناً ومنهم قنق وقينغ والثالثة بايندر، ...⁽⁴⁾، والذي يهتما من هذه البطون هو بايندر لأن المؤرخين يرجعون انتساب الآق قوينلو إليه⁽⁵⁾، ومن الباحثين من يرى احتمال انتساب القره قوينلو والآق قوينلو إلى بطن بايندر⁽⁶⁾، ولكن هذا

الإسلامية (الترجمة العربية)، م5، ص46، ومن خلال تصفحتنا لأجزاء كتاب ديوان لغات الترك لم نعر على أية إشارة لوجود قبيلة باسم قره قوينلو أو أي قبيلة تنتمي إلى أحد البطون الاثنتين والعشرين التي ذكرها ونسبها إلى أوغوز. كما أننا رجعنا إلى كتاب بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985م، فلم نعر فيه على ما يشير إلى وجود قبيلة بهذا الاسم.

(1)Minorisky: The Qara Qoyunlu and the Qutab Shahs, p. 53.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، م2، ص 10. القلقشندي: عقد الجمان، ص 28.

(3) بروكلمان: المرجع السابق، ص 259. كتاجي، زكريا: الترك في مؤلفات الجاحظ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص30.

(4) ديوان لغات الترك، م1، ص 56.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 372. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 154.

Uzuncarsille: Anadolu, S, 188. Romer: op.cit, vol. 6. p. 152.

(6)Romer: Ibid., p. 152.

الاحتمال يبقى ضعيفاً للقره قوينلو لأنه غير مدعوم بروايات تاريخية عكس ما عليه الحال للاق قوينلو، وما يزيد الأمر غموضاً في هذا الجانب هو أن القره قوينلو لم يكن لهم مؤرخون اهتموا بنسبهم باستثناء صاحب تاريخ قطب شاه الذي كان مقلداً في كتاباته عن أصلهم، وعلى هذا فإن كل ما نملك من معلومات يشير إلى أنهم يتسبون إلى البارانية⁽¹⁾، ويذهب البعض إلى أن باران هو أحد أحفاد أوغوز، والقره قوينلو يسمون بالبارانية نسبة إليه⁽²⁾، وهذا الاحتمال يبقى ضعيفاً أمام الاحتمال الثاني الذي يبدو أكثر واقعية لأنه يستند إلى شواهد مادية تتعلق بباران، فثمة مدينة تحمل اسم باران، ويذكر المؤرخ التركي فاروق سومر أن المؤلفات التاريخية تفيض في الإشارة إلى أنهم من باران، وأن اسم هذه المدينة، كما يعتقد، أصبح اسماً للقبيلة، ويضيف بأنه يتفق مع مينورسكي بأن باران ليس اسم شخص بل اسم مدينة وهو يعطينا دليلاً على أن باران اسم مدينة بما وجده في متحف اسطنبول من نقود ايلخانية وجلائرية مضروبة في مدينة باران⁽³⁾، ويرجعونا إلى كتب البلدانين وجدنا أن اسم باران يطلق على قرية من قرى مرو⁽⁴⁾، وإذا كانت هذه القرية هي الموطن لهذه القبيلة، فلا بد أنهم قد مكثوا فيها مدة طويلة، ولهذا الصقت بهم هذه التسمية قبل أن يتحول عنها إلى تسمية بهارلو التي عرف بها القره قوينلو أيضاً، وقد ارتبطت بالموطن المسمى بهار إلى الشمال من همدان⁽⁵⁾، حيث استقر القره قوينلو فيها بعد باران على ما يبدو ونسبوا إليها وشكلوا فيها اتحاد قبائل القره قوينلو بعد أن هيمنوا على قبيلة يفا إحدى بطون قبائل الغز التركمانية القوية التي كانت تقطن منطقة بهار في القرن

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 237. والغياثي لم يذكر ماهي البارانية، وكل ما ذكره قد جاء في عنوان لهذه القبيلة، نصه 'الطائفة الخامسة، التركمان، منهم جماعة قراقوينلو وهم البارانية'، ص 237.

(2) وقد جاء عباس المزوي بهذا الرأي في قوله 'الظاهر أن باران أحد أحفاد أوغوز، وصارت - القره قوينلو - تسمى البارانية نسبة إليه' ولكنه لم يدعم قوله بسند تاريخي، انظر: تاريخ العراق: ج3، ص 23.

(3) Kara Koyunlular, cilt 1, SS, 16-19.

(4) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955م، ج1، ص 318. ابن عبدالحق البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن: مرآة الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ج1، ص 150.

(5) بهار وهمدان: الأولى مدينة مازالت قائمة تبعد ثمانية أميال عن همدان وكانت قاعدة لهمدان في زمن السلطان السلجوقي سليمان شاه (554-556هـ). أما همدان فهي واحدة من أكبر أربع مدن في إقليم بلاد الجبل، يقع إلى الجنوب الغربي منها جبل الوند العظيم. لسترنج: المرجع السابق، ص 221، 228، 231.

السابع الهجري⁽¹⁾، وعلى أثر ذلك أثر العديد من القبائل التركمانية الانضمام إلى القره قوينلو ومنهم السالو، ود وخارلو، ويورت، والالبكوت، وأجال أرى، والكارامانلو، ود جاكيرلو أينلو، وقره السوس، وخربنده لو، وربما كان هؤلاء تبعية أو رعية لهم⁽²⁾. وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن القره قوينلو ليسوا قبيلة واحدة بل هم الأرجح مجموعة من القبائل التركمانية انطوت في اتحاد قبلي بزعامة قبيلة قوية فعرفوا جميعاً بالقره قوينلو.

ثانياً: استقرار القره قوينلو في شرق الأناضول وشمال العراق وتوسع دائرة نفوذهم:

تجمع المصادر والمراجع على أن الموطن الأصلي للقره قوينلو هو تركستان⁽³⁾، وبالتحديد المناطق الشرقية منها، وتعد هذه المناطق الموطن الأصلي لقبائل الأوغوز التي ينحدر القره قوينلو منها⁽⁴⁾، وكما هو معروف فإن العديد من قبائل الأوغوز ومنهم السلاجقة كانت قد هجرت موطنها الأصلي تركستان في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، واتجهت غرباً نحو بلاد أذربيجان والقفقاس والأناضول وشمال العراق، ولا يوجد ما يشير إلى أن القره قوينلو تركوا موطنهم في تلك المدة أيضاً، في حين توجد روايتان تؤرخان تاريخ هجرة القره قوينلو من تركستان إلى هذه البلاد بعد المدة المذكورة، والأولى منهما تذكر بوضوح أن طغرل بك الجند السادس لقره يوسف هجر موطنه الأصلي تركستان سنة 596هـ/ 1202م بعد أن اجتاحت جنكيز خان بلاده إلى المناطق السهلية المنبسطة لسمرقند وبخارى. وخلال مدة الصراع بين جنكيز خان وعلاء الدين محمد خوارزمشاه فإن طغرل بك وعشيرته انتقلوا إلى سهول ديار بكر بسبب معارضتهم للمغول⁽⁵⁾. وعلى هذا يكون تاريخ هجرة القره قوينلو إلى هذا الأقليم

(1)Pomer: op. cit, Vol. 6, p. 153. Bosworth, C.E: Islamic Dynasties " Edinbargh, 1980 " p. 168. Minorsky, V: Jihan-Shah Qara-Qoyunlu and his Poetry " B, S, O, A, S. Vol.. XVI, part, II, 1954 " p. 272. Barthold, V.V: Four Studies on the History of Central Asia, " Leiden, 1962" Vol. III , p. 119.

(2)E.L. / II: S.V, Kara Koyunlu, Vol.4, p. 588.

(3) انظر: منجم باشي: المصدر السابق، م، ص 149. القرماني، ابا العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (علم الكتب)، بيروت، ص 336. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 23. الصائغ، سليمان: تاريخ الموصل، ج1، ص 255.

(4)Sumer: A.G.E. 1, cilt, s. 36.

(5)Minerisky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, pp. 53-54.

منحصرًا بحسب هذه الرواية بين سنتي 616هـ/1219م و 617هـ/1220م ، ففي هذا التاريخ اجتاحت جنكيز خان بلاد خوارزم وقتل علاء الدين خوارزمشاه وذلك سنة 617هـ/1220م⁽¹⁾. أما الرواية الثانية فتذكر أن القره قويونلو هم طائفة من التركمان كانت مساكنهم القديمة بلاد التركستان ثم تحولوا عنها في زمن أرغون خان ... إلى بلاد أذربيجان، ثم تحولت طائفة القره قويونلو إلى نواحي أرزنكان⁽²⁾ وسيواس⁽³⁾ واستقحل بها أمرهم⁽⁴⁾. ويلاحظ أن رشيد الدين المهداني الذي كان وزيراً للإيلخان أرغون لا يشير في كتابه جامع التواريخ إلى حدوث أية حركة نزوح لقبائل تركية في عهد أرغون، لأن الدولة الإيلخانية في عهد هذا الإيلخان كانت قد استقرت، وخفت حدة صراعاتها الداخلية والخارجية، لذلك لا توجد أسباب موجبة تدفع القبائل إلى ترك موطنها. لهذا نقول: إن هجرة القره قويونلو لم تحدث في زمن هذا الإيلخان، وإنما حدثت في السنة التي حددتها الرواية الأولى، وما يدعم رأينا هذا أن الاندفاع المغولي الأول الذي قاده جنكيز خان في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كان عامل افزاع لكافة القوى القبلية والكيانات السياسية غير المغولية، فاضطر الكثير من القبائل إلى ترك موطنها والهجرة إلى مناطق أخرى طلباً للأمان، ولنا في ذلك شواهد منها استقرار بعض القبائل الخوارزمية التركية في بلاد الشام في الربع الأول من القرن السابع الهجري بسبب الاجتياح المغولي لبلادهم⁽⁵⁾، وإلى هذه البلاد أيضاً هاجر الكثير من العشائر الكردية بعد أن اجتاحت المغول شمال العراق⁽⁶⁾.

أما ما يتعلق بخط سير هجرة القره قويونلو، فهناك من يشير إلى أنهم بعد تركهم سهول بخارى وسمرقند توجهوا نحو شمال غرب إيران فاستقروا رداً من الزمن في منطقة بهار، ثم تابعوا مسيرتهم عبر أذربيجان إلى أرمينيا وبالتحديد نحو أريفان عاصمة جمهورية أرمينيا

(1) عن الاجتياح للمغولي لخوارزم ومقتل علاء الدين خوارزمشاه، انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 333-334.

(2) أرزنكان أو أرزنجان: بلدة مشهورة كثيرة الخيرات من بلاد أرمينيا تقع بين بلاد الروم وأخلاط قريبة من أرزن الروم. ابن عبدالحق: المصدر السابق، ج1، ص 55.

(3) سيواس: هي إحدى مدن بلاد الروم، وتقع على نهر قزل ايرماق. لسترنج: المرجع السابق، ص 179.

(4) القرماني: المصدر السابق، ص 179.

(5) عن استقرار الخوارزمية في بلاد الشام، انظر: التكريتي، محمود ياسين أحمد: الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد 1981م، ص 295-302.

(6) انظر: ابن العربي: المصدر السابق، ص 142، 257.

الحاضرة والمناطق المحيطة بها⁽¹⁾، ويبدو أن المقام في هذه البلاد لم يطب لهم فتركوه ليستقروا أخيراً في سيواس وارزنكان والمناطق المحيطة ببحيرة وان أوفان⁽²⁾. ومن هذه المنطقة بدأوا يوسعون مناطق نفوذهم في شرق الأناضول والجزيرة الفراتية، فدخلوا في حالة صراع مع جيرانهم من القبائل التركمانية كالأق قوينلو من أجل الاستحواذ على الأملاك ولاسيما على مدينة أرض روم⁽³⁾ التي ساد على أرضها صراع امتد من سنة 733هـ/1332م حتى سنة 735هـ/1334م كان من نتائجه تدمير المدينة المذكورة⁽⁴⁾.

وقد خدمت الظروف السياسية القره قوينلو في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على أثر وفاة السلطان الإيلخاني أبي سعيد بهادر سنة 736هـ/1335م بفوقاته انفجر الصراع السياسي بين أمرائه من أجل الاستحواذ على السلطة⁽⁵⁾، ويقدر تعلق الأمر بالجزيرة الفراتية نجد أن طوغاي بن سوتاي الذي كان نائباً للسلطان أبي سعيد بهادر على إقليم ديار بكر دخل في صراع مع الأمير علي بادشاه خال السلطان أبي سعيد وحاكم العراق وطلب من ممالك مصر مساعدته لمواجهة أعدائه، غير أن الممالك لم يسعفه⁽⁶⁾، فاضطر إلى الاستعانة بالشيخ حسن الكبير نائب السلطان أبي سعيد على بلاد الروم، وشكل معه تحالفاً ضد علي بادشاه الطامع بزعامة الإيلخانيين، وعلى أثر هذا التحالف تمكن الأمير الشيخ حسن الكبير من قتل علي بادشاه والاستيلاء على العراق وإقليم ديار بكر وتأسيس الكيان الجلائري فيهما واتخاذ بغداد مركزاً له⁽⁷⁾، أم الموصل التي كانت مركزاً

(1) Sumer: A.G. e, 1 cilt, ss, 19-20. Romers: op. cit., Vol. 6, p., 153. E./ II S.V , Turkomans to present day, Vol. 4, p. 33.

(2) القرمانى: المصدر السابق، ص 336. الصائغ: المرجع السابق، ج 1، ص 255.

(3) أرض روم أو أزون الروم: تقع على الفرات الأعلى الغربي، وقد عرفها الأرمن باسم كرن. لسترنج: المرجع السابق، ص 149.

(4) Romer: op. cit, Vol. 6, p. 154.

(5) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص 322. سرور، محمد جمال الدين: دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م، ص 213-215-216. محمد: العراق في السياسة المملوكية، ص 134، 137.

(6) حافظ أبرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف الله الخوافي: ذيل جامع التواريخ رشيدى، شركة تضامنى علمى، تهران، 1317هـ ص 152-153. المقرئى: المصدر السابق، ج2، ق2، ص 397-398، 504. العائى: للمرجع السابق، ص 22-24.

(7) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 231. خليل: المغول في الموصل والجزيرة، ص 131.

لإقليم ديار بكر فقد خضعت للأمير إبراهيم شاه بن برنباي بن سوتاي⁽¹⁾ الذي لم يتمكن من الاحتفاظ بها مدة طويلة، فقد انتزعها منه الشيخ حسن الكبير بعد حروب طويلة ثم ما لبث أن انتزعت من الشيخ حسن لمصلحة الأمير الكردي بدر الدين حسن بن هندو الذي سيطر عليها وعلى سنجار سنة 751هـ/1350م ومنها قام بشن غارات وصلت إلى حدود ماردين والرحبة⁽²⁾، فشكل بغاراته هذه مصدر خطر على الممالك الذين كان لهم في الجزيرة الفراتية مناطق نفوذ، ولغرض إيقاف هذا الخطر أرسل الممالك حملة عسكرية سنة 751هـ/1350م إلى سنجار لمحاصرتها، وعند ذاك أدرك بدر الدين عدم قدرته على المواجهة فأعلن تبعيته لهم، فأقروه حاكماً على الموصل وسنجار على أن يقيم الخطبة فيها باسم سلطان مصر⁽³⁾.

وباستقرار حكم بدر الدين على الموصل وسنجار برز دور القره قوينلو في شمال العراق بشكل واضح، ولاسيما دور بيرام خواجة⁽⁴⁾. زعيم هذه القبيلة، الذي استغل ما لحق بالسكان من أضرار نتيجة ما قام به بدر الدين حسن من أعمال نهب وتخريب وقطع الطرق⁽⁵⁾ تأليب بعض أمراء الموصل على بدر الدين فأمدوه بقوات تمكن بها من شن هجوم على قوات حسين بك التركماني حليف بدر الدين حسن بن هندو ودارت معركة في خريف سنة 752هـ/1351م بالقرب من العمادية⁽⁶⁾ انتهت بمقتل حسين بك، وبمقتله ضعف موقف بدر الدين الذي قتل بعدئذ على يد صاحب ماردين سنة 754هـ/1353م وبذلك أصبح بيرام خواجة

(1) ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على ديسر وادا ونصيبين من بلاد الجزيرة الفراتية. ابن عبدالحق: المصدر السابق، ج3، ص 1219.

(2) الرحبة: سميت برحبة مالك بن طوق نسبة إلى مؤسسها الذي يخرج من بين القررات فوق قرقيسيا. لسترنج: المرجع السابق، ص 136-137.

(3) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص 417، ج2، ص 134. المقريزي: المصدر السابق، ج2، ق3 ص 830. الحضي: تاريخ البدر الطالع في أوصاف أهل العصر (نسخة الدكتور أحمد الحسو مصورة عن مكتبة المتحف البريطاني ذات الرقم 33360) الورقة 56. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو الغساس يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية)، ج10، ص 295. العاني: المرجع السابق، ص 51. محمد: العراق في السيادة المملوكية، ص 137.

(4) بيرام خواجة: ويرد أحياناً باسم بيرم خجا. انظر: ابن حجر: إنباء الغمر، ج1، ص 107.

(5) عن أعمال النهب والتخريب التي قام بها بدر الدين. انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص 134. المقريزي: المصدر السابق، ج2، ق3، ص 830، 907. ابن إياس، محمد بن أحمد الحضي: تاريخ ابن إياس (بنايع الزهور في وقائع الدهور)، ط1، مطبعة بولاق لمصر، 1311هـ ج1، ص 193.

(6) العمادية: قلعة حصينة شمالي الموصل كان اسمها السابق آشب. ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص 149.

طليق البدين في منطقة الموصل وأطرفها، وغدت المنطقة الممتدة من ماردين إلى الموصل خاضعة لحكمه⁽¹⁾. وبهذا يكون القره قوينلو قد مدوا نفوذهم على المناطق الممتدة من سيواس وارزنكان وارض روم نزولاً إلى الموصل التي اتخذوها مركزاً شتوياً لهم، في حين اتخذوا من مدينة موش مركزاً صيفياً⁽²⁾. وبذلك شكّلوا أمانة كان لها من ثم شأن كبير في الأحداث السياسية للمنطقة.

ثالثاً: موقف الجلائريين من احتلال القره قوينلو لشمال العراق:

أثار استيلاء بيرام خواجه على معظم ديار بكر ومنها الموصل وتوابعها حفيظة الجلائريين. ويدعو أن القره قوينلو في تلك المدة لم يكن لديهم من القوة ما يجعلهم قادرين على الاحتفاظ بالموصل أمام إصرار الجلائريين على إعادة السيطرة عليها، لذلك ما لبثت أن خضعت ثانية لحكمهم⁽³⁾.

بقيت الموصل وسنجان تابعة للجلائريين بحكمها نواب عن الشيخ حسن الجلائري حتى سنة 757 هـ / 1356م التي توفي فيها الشيخ حسن، فأعلن نوابه في الموصل وسنجان تمردهم على ابنه أويس الذي خلفه في الحكم، وأعلنوا ولاءهم للمماليك وخطبوا لهم، فأرسل السلطان المملوكي الذي استقبل الخبر بترحاب تقاليد السلطانية لهم دليلاً على قبوله تبعيتهم له⁽⁴⁾.

كان الوضع الداخلي للجلائريين في تلك المدة مضطرباً بفعل سلسلة هجمات القبائل العربية على البصرة⁽⁵⁾، والثورات التي حدثت في الموصل وسنجان وأرجيش⁽⁶⁾ فأرغقت القوات الجلائرية بحيث أصبحوا عاجزين عن استعادة المدن التي ثارت عليهم، لذلك كان لابد لهم من الاستعانة بقوة خارجية، ولما كان القره قوينلو هم أقرب القوى من الموصل وسنجان

(1) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص 134. المقرئ: المصدر السابق، ج2، ق3، ص 907. ابن تقي بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص 295.

Sumer: A. g. e, 1 cilt. s, 39. E.L/ II S. V. Kara koyunlu, Vol, 4, p. 584.

(2) Ibid., Vol. 4, p. 584.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 315. العاني: المرجع السابق، ص 51.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 39.

(4) ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص 293. المقرئ: المصدر السابق، ج2، ق3، ص 830، 907.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p. 54.

(5) العاني: المرجع السابق، ص 43.

(6) أرجيش: أشهر بحيرات أرمينيا ويطلق عليها اسم بحيرة وان، وتقع على هذه البحيرة مدينة أرجيش ووان واخلاط ووسطان. لسترنج: المرجع السابق، ص 217.

فإن ذلك مما دفع السلطان الجلائري أويس إلى طلب المساعدة منهم⁽¹⁾. فوجد القره قوينلو في ذلك فرصة مشجعة تخدم مصالحهم في إيجاد مناطق نفوذ جديدة لهم، لذلك رحب الأمير بيرام خواجه وابنه قره محمد- الذي كان قد برز نجم زعامته ومشاركته لوالده بيرام خواجه في قيادة القره قوينلو- بطلب السلطان أويس، ففقدا معه اتفاقاً على أن يكونا في خدمته مقابل عدم تعرضه لمناطق نفوذهما في ديار بكر⁽²⁾.

وبموجب هذه الاتفاقية تحرك بيرام خواجه نحو الموصل ومستجار، وتمكن من القضاء على حركة المقاومة في كلتا المدينتين وأعادتهما لحكم الجلائريين⁽³⁾، وهو بذلك قد حقق حرية التحرك في المنطقة وفرض هيمنته على المناطق المتاخمة لنفوذه دون الخوف من التدخل الجلائري، كما أتاح له ذلك مجال الاستفادة من أي ظرف ملائم لتوسيع مناطق نفوذه، حتى إذا ما وجد نفسه قادراً على مواجهة الجلائريين أعلن من جانب واحد تحليته عن التحالف مع السلطان أويس، وقاد قواته مستهدفاً طرد الجلائريين من شمال العراق، وتمكن من احتلال الموصل سنة 765هـ / 1363م⁽⁴⁾، مستغلاً بذلك فرصة انشغال السلطان أويس بقمع ثورة مرجان في السنة نفسها⁽⁵⁾.

ولم يكف بيرام خواجه بما حققه من مكاسب على حساب الجلائريين بل بدأت تحرشاته تستهدف إمارة الاراتقة في ديار بكر من خلال التعرض للمردين والمدن التابعة لها ونهب غلاتها، كما حدث سنة 767 هـ / 1365م⁽⁶⁾ ولغرض مواجهة هذه التحرشات طلب صاحب ماردين الملك المتصور المساعدة من السلطان الجلائري أويس الذي لم يتردد في الاستجابة لهذا

(1) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p., 54.

(2) منجم باشي: المصدر السابق، ج3، ص 149. ادعم خليل: دول إسلامية، ملي مطبعة، استنبول، 1927م، ص 404.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and Qutb-Shahs, p. 54.

(3) Uzuncarsili: Anadolu, s, 180.

(4) للقرنيزي: المصدر السابق، ج3، ق1، ص122. العاني: المرجع السابق، ص 51-52.

(5) عن ثورة مرجان وأسيابها، انظر التفاصيل في: الغياثي: المصدر السابق، ص 91-92. ميرخواتك محمد حيد الدين بن سيد برهان الدين: تاريخ روضة الصفا، تهران، 1339هـ جك ص 72-73. خواندمير، غياث بن همام الدين الحسيني: حبيب السير في أخبار أفراد البشر، كتابخانه خيام، تهران، 1333 ش، ج3 ص 240. مينورسكي، مادة أويس: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، ج5، ص 163. الأعلمي: المرجع السابق، ص 50.

(6) حافظ ابرو: المصدر السابق، ص 194. للقرنيزي: المصدر السابق، ج3، ق1، ص 121.

الطلب⁽¹⁾، لأن ذلك سيحقق له هدفين، الأول استعادة المناطق التي سبق أن سيطر عليها بيرام خواجه بما فيها الموصل، والثاني تشكيل حلف مع الأراقة لتضييق الخناق على القره قوينلو وشل تحركاتهم في المنطقة. وبالفعل تحرك السلطان الجلائري أويس نحو الموصل سنة 767 هـ / 1365م لمواجهة غريمه بيرام الذي كان موجوداً فيها بصحبة شقيقه بردي خواجه، وما أن علم بيرام بأمر هذا التحرك حتى ترك أمر الدفاع عن الموصل لأخيه بردي خواجه، وتوجه بعشائره نحو سهل موش، فسهل ذلك للسلطان أويس سرعة السيطرة على الموصل بعد أن ضعفت المقاومة فيها⁽²⁾.

ثم شرع بمتابعة غريمه بيرام حتى أدركه في سهل موش وانقض عليه كالصاعقة وأطلق يد السلب والنهب في أموال عشائره وقبائله⁽³⁾. فاضطر بيرام على التقهقر والإنسحاب باتجاه تبريز، غير أن السلطان أويس لم يتركه بل تعقبه حتى أرغمه في نهاية الأمر على الاستسلام ودفع أتاوة سنوية له. وبذلك يكون بيرام قد دخل في التبعية الفعلية للجلائرين حتى سنة 771 هـ / 1369م⁽⁴⁾. وفي هذه السنة تمكن بيرام من إعادة سيطرته على الموصل ثانية، غير أن بقاءه فيها لم يدم طويلاً، فقد اضطر إلى تركها سنة 773 هـ / 1371م⁽⁵⁾، وفي سنة 774 هـ / 1372م احتل سنجار، ومنها عاود الكرة على الموصل⁽⁶⁾ مستغلاً الفوضى السياسية التي عمّت الإمارة الجلائرية بعد موت السلطان أويس سنة 776 هـ / 1374م والمشاكل التي واجهت خليفته السلطان حسين، فتمكن من السيطرة عليها سنة 777 هـ / 1375م ثم نافسه عليها بيرما التركماني في أواخر العام نفسه، فاستجد بيرام خواجه بأراقة ماردين وحصن كيفا

(1) حافظ أيرو: المصدر السابق، ص 194.

Sumer: A. g. e, 1 cilt, s, 41. E.L/ II. s.v, Kara Koyunlu, Vol, 4, p. 584

(2) حافظ أيرو: المصدر السابق، ص 194. القريري: المصدر السابق، ج3، ق1، ص 122. مينورسكي: مادة أويس، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) م2، ص 164. ويغد شرف خان البديلي سنة زحف السلطان أويس على غريمه بيرام سنة 766 هـ. شرفنامه، ترجمة: محمد على عوني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ج2، ص 52.

(3) البديلي: المصدر نفسه، ج2، ص 52. مينورسكي: مادة أويس، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، م2، ص 164.

(4) حافظ أيرو: المصدر السابق، ص 194.

Sumer: A. g. e. 1 cilt, ss, 41-42. E.L/ II, S.V., Kara Koyunlular, Vol. 4, p. 584.

(5) Sumer: A. g. e, 1k cilt, s, 42.

(6) E.L / II, S.v, Kara Koyunlu, Vol. 4, p. 584.

فأمدهو بعسكر حاصر به الموصل مدة أربعة أشهر، وانتهى الحصار سنة 778 هـ / 1376م، باستسلام بيرما التركماني، واستتاب بيرام أخاه بردى خواجه على الموصل⁽¹⁾ لينصرف هو في توسيع وقعة إمارته على حساب الجلائريين، فتمكن من ضم كل من أرجيش وخوى⁽²⁾ وئحجوان⁽³⁾ وقلعة أونك⁽⁴⁾ للملكة⁽⁵⁾.

توفي بيرام خواجه سنة 782 هـ / 1380م فاستقرت الزعامة لقره محمد بن توميش بن بيرام خواجه⁽⁶⁾ الذي لم يتمكن الاحتفاظ بالموصل إذ استعادها منه السلطان الجلائري حسين بن أويس، فاضطر قره محمد إلى مصالحته على أن يدفع للسلطان حسين عشرين ألف رأس غنم في كل سنة رمز للتبعية وأن يلازمه في بلاطه⁽⁷⁾. وفي عهد قره يوسف الذي تولى الزعامة بعد سنة 791 هـ تحولت العلاقة مع الجلائريين من التبعية إلى التحالف، وبذلك يكون القره قوينلو قد حققوا استقلالهم الفعلي عن الجلائريين.

(1) ابن حجر: أنبأ الغمر، ج1، ص 107، 133.

(2) خوى: مدينة تقع في أنديجان على نهر يجرى شمالاً فيصب في نهر الرس. لسترنج: المرجع السابق، ص 200-201.

(3) ئحجوان: بلدة كبيرة بأقصى أنديجان شمال نهر الرس وتقع إلى الشرق منها قلعة التجف. لسترنج: المرجع نفسه، ص 201.

(4) قلعة أونك أو أنيك أو أفانيك: قلعة عظيمة فوق قمة جبل بالقرب من أحد منابع نهر الرس وتبعد ثمانية فراسخ عن أرض روم. لسترنج: المرجع نفسه، ص 150.

(5) العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 26. الرازي: المرجع نفسه، م3، ص 674. أدهم: المرجع السابق، ص 404. لين بول ستانلي: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، دار المعارف بمصر، 1972م، ج2، ص 535.

E.I./ II, S.V, Kara Koyunlu, Vol, 4, p. 584.

(6) عن تولى قره محمد زعامة القره قوينلو، انظر: ص 66 'مبحث الصراع على زعامة القره قوينلو'.

(7) ميرخواند: المصدر السابق، ج3، ص 579. خواننمير: المصدر السابق، ج3، ص 243.

رابعاً : تصدي القره قويونلو للقوات التيمورية المنهضة نحو أذربيجان وشرق الأناضول :

شهد العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي موجة مغولية غازية جديدة بقيادة تيمورلنك⁽¹⁾ الذي اندفع من أواسط آسيا بعد توحيدها نحو إيران، ولم تكن إيران آنذاك موحدة، بل كانت تنقسمها مجموعة من الإمارات، منها إمارة الكرت 643-792هـ / 1245-1289م ومناطق نفوذها في الجزء الشمالي الشرقي من فارس، فضلاً عن أفغانستان الحاضرة، والإمارة المظفرية 713-795هـ / 1313-1392م في جزء من فارس مع إقليم كرمان، والإمارة الجللاترية في غرب إيران والعراق الحاضر، والإمارة السربدارية 738-783هـ / 1337-1381م في خراسان. ومعظم هذه الإمارات قد انهار أمام تيمورلنك⁽²⁾ الذي كان يدعى أنه الوريث الشرعي لأملاك المغول الأيلخانيين⁽³⁾، ولم يبق أمامه غير الإمارة الجللاترية التي كان إقليم أذربيجان جزءاً منها، ولهذا أدرج هذا الأقليم في خطط توسعته ضمن حملته على إيران سنة 788هـ / 1386م⁽⁴⁾ مستهدفاً تأمين موارد اقتصادية جديدة لبلاده التي كانت قد انهكتها الحروب عن طريق الغنائم فضلاً عن تأمين طرق القوافل المتجه إلى بلاد ما وراء النهر من المشرق العربي، والبحر الأسود وأوربا حيث تشكل الضرائب المفروضة على هذه القوافل والخدمات التي تقدم لها موارد مالية مهمة للمناطق التي كانت تحت سيادة تيمور، وهي موارد كانت قد تعطلت قبل هذه الحملة بسبب تعرض القوافل التجارية لغارات بعض القبائل في المنطقة، وكان من نتائجها تدهور اقتصاد بلاد ما وراء النهر⁽⁵⁾.

(1) عن أصل تيمور وظروف نشأته وكيف تمكن من توحيد أواسط آسيا، انظر: ابن عربشاه شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله: عجائب القندور في أخبار تيمور، ط1، مطبعة وادي النيل، القاهرة، 1285م، ص 5-17. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، 1986م، ج4، ص 103-107. يكويفسكي . أ. يو: تيمورلنك (وصف موجز لسيرة حياته)، ترجمه عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات، تصدرها الجامعة الأردنية، المجلد الخامس عشر، العدد السابع، تموز 1988م، ص 110-119.

(2) يكويفسكي: تيمورلنك، ص 125-126.

Savory, R. M: The Struggle For Supremcy in Persia After the Death of Tiur " Der Islam, Band 40, Heft, 1, Mai, 1964, Berline, p. 36.

(3) خليل، نوري عبد الحميد: حملات تيمور على بغداد، مجلة للمورد المجلد الثامن، العدد الرابع، 1979م، ص 65.

(4) ابن حجر: انباه الغمر، ج4، ص 20-21، 312.

(5) حسين، جاسم مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام وآثاره السياسية 1386-1405، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، 1976، ص 59-60، 73.

تمكن تيمور سنة 788هـ / 1386م من احتلال تبريز عاصمة اقليم آذربيجان م دون أية مقاومة جلائية⁽¹⁾، ومنها بدأ يوجه قواته نحو المناطق التي تشكل تهديداً لطرق القوافل التجارية لاسيما منطقة وجود القره قوينلو المسيطرين على بحيرة وان ذات الموقع المهم الذي يشكل حلقة وصل بين آذربيجان وأرمينيا والأناضول والجزيرة الفراتية لوقوعه على طرق التجارة بين الشرق والغرب⁽²⁾، ومنه كان القره قوينلو يشنون غاراتهم على قوافل الحج والتجارة⁽³⁾. وكانت أول منطقة استهدفها تيمور من أملاك القره قوينلو مدينة أرجيش، فقد أرسل تيمور ابنه ميرانشاه على رأس قوة كبيرة من عسكره لمهاجمة القره قوينلو فيها بعد أن رفض قره محمد - بن تورميش الذي كان قد تولى زعامة القره قوينلو بعد سنة 782هـ / 1380م - التهديد التي كان تيمور قد أرسلها إليه يدعوه فيها إلى الاستسلام⁽⁴⁾، ولكن هذه الحملة أخفقت، ولم تحقق نتائجها بسبب المقاومة العنيفة التي أبداهها قره محمد وأتباعه⁽⁵⁾. فأتار إخفاق ميرانشاه والده تيمور الذي أعد حملة أخرى أكثر قوة من الأولى، واستند قيادتها إلى ميرانشاه أيضاً والأمير ميراك برلاس، ولكن هذه الحملة لم تحقق أهدافها أيضاً، فضلاً عن تكبد كلا الطرفين خسائر جسيمة⁽⁶⁾. وأمام هذا الاستئصال القره قوينلوي غير تيمور خطته من مواجهتهم بشكل مباشر كمجموعة واحدة إلى سياسة حصار المدن، فاضطر القره قوينلو إلى تجزئة قواتهم وإرسالها كمجموعات إلى مدنهم وقلاعهم للدفاع عنها أمام الزحف التيموري. وبدأ تيمور بتنفيذ خطته، بعد أن عبأ جيشه وألحق به كل قطعاته التي كانت تحاصر قلعة النجا⁽¹⁾ التابعة للجلاليتين فاندفع بها نحو شرق الأناضول، وحاصر قلعة بايزيد⁽²⁾ التي ما

Howorth, Henry. H: History of the Mongols From the 9th to the 19th Century
" Burtfranklin. New York " Vol. 3, p. 657.

(1) شامي، نظام الدين: ظفرنامه، بسعي وامتعام وتصحيح: فلكنس تاور، جاب مطبعة امريكاتي در، بيروت، 1973، ص 99. العيني: تاريخ البدر، ورقة 125.

Howorth: Op-cii Vol. 3, p. 661

(2) Minorsky: Jihan-Shah. Qara-Qoyunlu, p. 273.

(3) اليزدي، شرف الدين علي: ظفرنامه، تصحيح وإقام: محمد عباسي، سامي جاب - زكمين، ج 1، ص 302.

(4) Uzuncarsili: Anadolu, S, 180.

(5) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p. 55.

(6) Ibid., p. 55.

لبث أن سقطت ونهبت مع قراها ومنها توجه نحو قلعة أونك فنهب القبائل التركمانية المحيطة بها، ولكنه لم يتمكن من فتحها، فتركها وتوجه إلى أرض روم فاستولى عليها بعد حصار يوم واحد، ثم خيم في منطقة تدعى جابكجور، ومنها أرسل مبعوثاً إلى طهرتن والي أرزنجان من قبل قره محمد يدعو إلى الخضوع والطاعة فأجابته إلى ذلك وأرسل إليه ضريبة الأمان⁽³⁾.

وقد أخذ الموقف العسكري للقره قوينلو يتدهور بسبب الكثير من مدتهم وقلعهم ونشبت أنباعهم، وأصبح قره محمد في موقف لا يحسد عليه أمام خيارين لا ثالث لهما، أما الاستسلام وهو أمر لم يرضه لنفسه لما عرف عنه من شجاعة وتحمل الصعاب أو القتال الذي لا تميل نتائجه لصالحه بسبب اختلال ميزان القوى لصالح تيمور. ومع ذلك فضل الخيار الثاني وعباً ما بقي من قواته التي كانت قد انسحبت إلى ملطية⁽⁴⁾ انتظاراً للمعركة الحاسمة التي كان تيمور قد أعد لها باختيار ثلاثة أفواج من خيرة قواته أَسَدَ قيادتها إلى ثلاثة من أشجع قواده منهم ابنه ميرانشاه والأمير لاله خواجه، والتقى الجمعان في إحدى الممرات الجبلية، فدارت معركة طاحنة برز فيها قره يوسف ابن قره محمد الذي أصبح له عندئذ شأن كبير عند قبائل القره قوينلو لما أبداه من شجاعة فائقة، فقد تمكن من دحر فوجين من الأفواج الثلاثة التيمورية، وقتل قائد الفوج الثالث الأمير لاله خواجه، وعلى أثر ما تكبدته التيموريون من خسائر اضطر

(1) قلعة النجاق: تقع في إقليم أنزريجان بالقرب من بلدة نخجوان. لسترنج: المرجع السابق، ص 201.

(2) قلعة بايزيد: وتسمى أيضاً بقلعة آيدن وهي لا تبعد كثيراً عن قلعة أفانيك أوأونك.

Sumer. A. g. e, 1 cilt, 49.

(3) الشامي: المصدر السابق، ص 103. اليزدي، المصدر السابق، ج1، ص 302-303. الغياثي: المصدر السابق،

ص 181. ابن أبياس: المصدر السابق، ج1، ص 367. الحلبي، محمد راغب بن محمود بن هاشم: اعلام

النبله بتاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية، حلب 1924م، ج2، ص 460.

Howorth: op. cit, Vol. 3, pp. 661-662.

وعن ضريبة الأمان، انظر عنها: في الفصل الاقتصادي.

(4) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالحجيم: تاريخ ابن الفرات، عني بنشره: قسطنطين زريق، المطبعة

الأمريكانية، بيروت، 1936م، ص 9، ج1، ص 10. المقرئزي: المصدر السابق، ج2، ص 563. المعني:

تاريخ البدر، ورقة 127. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص 247. الصيرفي، علي بن داود: نزهة

النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسين حبشي، دار الكتب، 1970م، ج1، ص 154. ملطية:

ويسمى الروم مليتين وقّع على بعد ثلاثة أميال من نهر القباب بالقرب من ملطى هذا النهر بالفرات.

والقباب يسميه الأتراك اليوم طوخه صو. لسترنج: المرجع السابق، ص 152.

ميرانشاه للانسحاب من ساحة المعركة⁽¹⁾. فقام تيمور بنفسه بحملة أخرى في سنة 789هـ/ 1387م بجميع قواته لتكون ثمة معركة فاصلة، فعمل قره محمد على استدراج تيمور إلى منطقة جبلية ليسهل عليه أمر الدفاع⁽²⁾ وبمساعدة الأكراد تمكن من كسر جيش تيمور الذي كان قد استند القيادة إلى ابنه لقمان على الرغم من وجوده بنفسه ضمن الحملة⁽³⁾.
 إن خفاق تيمور في كسر شوكة القره قوينلو على الرغم من حملاته الخمس ضدهم، ووصول أخبار تعرض بلاد ماوراء النهر لحملة قادها ضده توقناميش خان القبيلة الذهبية في القفجاق⁽⁴⁾ في نهاية سنة 789هـ / 1387م فرض عليه التخلي مؤقتاً عن مواجهة القره قوينلو والانسحاب من أراضيهم ليعود إلى بلاده مدافعاً عنها⁽⁵⁾.
 وقد استغل قره محمد فرصة انسحاب تيمور من بلاده لإعادة تحصين القلاع التي خربها التيموريون، فبنى معسكراً لقواته في أعالي القرات⁽⁶⁾، وبعد أن أكمل تحصيناته وجه قواته نحو أذربيجان مستغلاً فرصة انسحاب الجيش التيموري منها بخلاف حامية صغيرة بقيت في تبريز، فاستهدف قره محمد تبريز قبل غيرها من مدن أذربيجان⁽⁷⁾ لتخوفه من عودة السلطان أحمد الجلائري إليها لأنها كانت فيما سلف عاصمة للجلائريين أولاً ولتأمين موارد جديدة له لتعويض ما فقد من ممتلكات على يد التيموريين ثانياً، ولتكون تبريز قاعدة له ينطلق منها لتوسيع رقعة إمارته في إيران ثالثاً.

(1) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 55.

(2) Ibid., pp. 55. 56.

(3) ابن القرات: المصدر السابق، م2، ج1، ص12. للقريري: المصدر السابق، ج3، ق2، ص564. ابن حجر: انباء الغمر، ج1، ص335-336.

(4) القبيلة الذهبية: تنتمي إلى دوشي بن جنكيز خان الذي أسس أول دولة مغولية باسم دولة مغول القفجاق أو القبيلة الذهبية، ودولة القفجاق مملكة بدوية عاش أهلها على الرعي في المناطق السهلية الواقعة جنوب روسيا. ابن خلدون: المصدر السابق ج1، ص533-534. الحجي، حياة ناصر: العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حويات كلية الآداب، جامعة تكريت، الحولية الثانية، 1981م، الرسالة الثامنة، ص10.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص107، 182. الرمزي، م. م: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التار (أونبورغ) ج1، ص590-592. يكويفسكي: تيمورلنك، ص123.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 56

(6) Ibid., p. 56.

(7) E. D./ II. S. V, Kara Koyunlu Vol. 4, p. 584.

وقد تمكن قره محمد من احتلال تبريز سنة 790هـ / 1388م⁽¹⁾، وعين عمه مصر خواجه حاكماً عليها⁽²⁾، وهنا خطا قره محمد خطوة تم عن ذكاء وفهم لمتطلبات ((السياسة الدولية وتوازن القوى)) حين أدرك أن القوى المحيطة بإمارته من تيموريين وآق قويونلو - الذين كانوا في خصام معه - لن يغفروا له احتلال تبريز فرأى أن الضرورة تقتضي البحث عن حليف قوي يعمل معه لمواجهة أعدائه، وتثبيت رقعة إمارته، فوجد بغيته عند المماليك في مصر والشام الذين كانوا محتاجين أيضاً إلى حليف يواجهون معه أعداءهم الآق قويونلو الطامعين بارض الشام⁽³⁾، والجلاتريين كذلك بهدف إزاحتهم عن حكم العراق.

لذا قدم قره محمد ولاءه لسلطان المماليك برقوق وأرسل إليه سنة 790هـ / 1388م من يعلمه بأنه نائب السلطان في هذه البلاد، وأنه خطب وسك الدينار والدراهم باسمه، فاستجاب السلطان لطلبه⁽⁴⁾. غير أن هذا التحالف لم يدم، لمقتل قره محمد سنة 791هـ / 1389م⁽⁵⁾ في معركة مع أمير تركماني يدعى قره حسن⁽⁶⁾. ومقتله شهدت إمارته أحداثاً جساماً كانت نتائجها وخيمة على المنطقة، كما سنعرض ذلك لاحقاً.

خامساً: الصراع على زعامة القره قويونلو وبروز قره يوسف:

أشرنا فيما سبق إلى أن يرام خواجه كان الزعيم القوي للقره قويونلو، وهو الذي نقلهم بجهوده من قبيلة رحالة غير مستوطنة إلى قبيلة تحكم منطقة شاسعة تمتد من بحيرة وان إلى الموصل. ولا شك أن مقام به من جهد في توحيد القره قويونلو وتثبيت موطن قدم لهم في المنطقة

(1) المقرئزي: المصدر السابق، ج2، ص 585. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 349-350. الصيرفي:

نزعة النفوس والأبدان، ج1، ص 177.

(2) الصيرفي: المصدر نفسه، ج1، ص 177.

(3) عن أطماع الآق قويونلو في الشام، انظر: الزهيري، حنان جاسم محمد: العلاقات السياسية للمملوكية التركمانية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى عمادة كلية الآداب - جامعة الموصل، 1991م، ص 44-45.

(4) المقرئزي: المصدر السابق، ج2، ص 585. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 349-350. العيني: تاريخ

البدن، ورقة 131. الصيرفي: نزعة النفوس والأبدان، ج1، ص 177.

(5) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص 88. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (نسخة المكتبة الوطنية، باريس، تحت رقم 2072، نسخة ميكروفلم لدى الدكتور أحمد الحسني) باب الميم والحاء.

(6) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 378.

Uzuncarsili: Anadolun, s. 180. Romer: op. cit, Vol. 6, p. 160.

لا يعني أن القره قوينلو جميعاً كانوا موافقين على زعامته، لأن أمر التنافس على زعامة القبيلة كان قائماً بين بيرام خواجه وحسين بيك وكان من نتائج ذلك وقوع معركة بينهما انتهت بمقتل حسين بيك سنة 752هـ / 1351م⁽¹⁾، ومقتله انفرد بيرام خواجه بزعامة القره قوينلو حتى وفاته سنة 782هـ / 1380م⁽²⁾، ثم تولى الزعامة من بعده لمدة قصيرة كل من مراد خواجه وتورميش بن بيرام خواجه، ثم انتقلت الزعامة إلى قره محمد⁽³⁾ الذي واجه أيضاً منافسة عمه مصر خواجه، ثم انتهت المنافسة بموافقة العم على زعامة قره محمد⁽⁴⁾، بعد أن تطلب الموقف السياسي والعسكري توحيد جهودهما لمواجهة الخطر المحدق بالقبيلة المتمثل بالغزو التيموري سنة 788هـ / 1386م، وما يؤكد توحيد هذه الجهود اشتراك مصر خواجه والأمير قره حسن بن الأمير حسين بيك المقتول على يد قره محمد في مواجهة التيموريين تحت زعامة قره محمد⁽⁵⁾. غير أن هذا التأخر سرعان ما انفرط عقده بانتهاء الخطر التيموري، فقد استذكر قره حسن مقتل والده على يد قره محمد فأراد الانتقام طالباً الثأر. ويبدو أن رغبته في الزعامة هي التي دفعته إلى التمرد على قره محمد وليست الرغبة في الثأر، لذلك استغل فرصة انشغال قره محمد في تبريز لتنظيم أمره فيها فثار عليه في شرق الأناضول، مما حل قره محمد على ترك تبريز والتوجه لقمع حركة تمرد قره حسن⁽⁶⁾، وبعد مواجهات عدة انتهى الأمر بمقتل قره محمد، وذلك في ربيع الآخر سنة 791هـ / 1389م⁽⁷⁾.

ومقتل قره محمد تسلم الزعامة الأمير قره حسن، لكن زعامته لم تدم طويلاً فقد حدث أن بايع معظم أمراء القره قوينلو مصر خواجه زعيماً عليهم بدلاً من قره حسن، وطلبوا المساعدة من صاحب ماردين. ولعدم تمكن مصر خواجه من تحقيق نصر حاسم على قره حسن

(1) Sumer: A. g. e, I, cilt, s, 39.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 237-238. ادهم: المرجع السابق، ص 404.

(3) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 219. الغياثي: المصدر السابق، ص 238.

(4) المزايي: تاريخ العارق، ج3، ص 27.

Uzuncarsili: Anadolun, s, 180.

(5) E.I./ II, S. V, Kara Koyunlu, Vol. 4, p. 584.

(6) Ibid., Vol. 4, p. 584.

(7) ابن القرات: المصدر السابق، م9، ج1، ص 177. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 378. الرازي: المرجع السابق، م3، ص 674.

Uzuncarsili: Anadolun, s, 180.

استبدله الأمراء بقره يوسف بن قره محمد⁽¹⁾ الذي كان نجمه قد برز عندما تمكن من دحر التيموريين سنة 788هـ / 1386م، كما سبق الإشارة إلى ذلك آنفاً.

قاد قره يوسف مهمة النضال ضد قره حسن فحدثت بين الطرفين وقائع كثيرة لم تسفر عن نتائج حاسمة⁽²⁾، عند ذاك اضطر الطرفان على القبول بالصلح⁽³⁾، ليتفجر الصراع ثانية بعد وفاة قره حسن سنة 793هـ / 1391م بين أتباع الأمير حسين بن قره حسن وأتباع قره يوسف، وكان من نتيجة هذا الصراع اندحار الأمير حسين بعد أن كان قره يوسف قد تعقب خطاه حتى تبريز⁽⁴⁾. وبهذا الاندحار انتهى دور الأمير حسين، فالمصادر لم تعد تشير إلى أي شيء عنه وعن مصيره. وبذلك يكون قره يوسف قد انفرد بزعامة القره قوينلو دون منافس.

سادساً: موقف القره قوينلو من الغزو التيموري للعراق والجزيرة الفراتية:

سبق أن ذكرنا أن بلاد ما وراء النهر تعرضت لغزو توقاميش خان القبيلة الذهبية سنة 789هـ / 1387م بهدف الاستيلاء عليها، مستغلاً فرصة غياب تيمور في بلاد أذربيجان وشرق الأناضول، فاضطر تيمور على الانسحاب من هذه البلاد لغرض الدفاع عن موطنه، فواجه توقاميش في حلتين وقعت الأولى سنة 791هـ / 1389م، والثانية سنة 793هـ / 1391م وأسفرتا عن اندحار توقاميش⁽⁵⁾. فسنتح الفرصة لتيمور لاستئناف حملاته نحو الغرب مستهدفاً بالدرجة الأولى القره قوينلو، لعدة أسباب:

أولاً: لإفشالهم خطته المركزية التي كانت قائمة على تأمين طرق التجارة المارة عبر تبريز إلى بلاد ما وراء النهر والتي كانوا قد طردوا التيموريين منها.

ثانياً: لرفضهم التبعية لتيمور في الوقت الذي قبلتها معظم القوى السياسية الأخرى في إيران⁽⁶⁾.

(1) Uzuncarsili: A. n. e, ss, 180-181.. E.L/ II, S. V, Kara Kounlular, Vol. 4, p. 586. □

(2) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 378.

E.L/ II, S.V, Kara Koyunlar, Vol. 4, p. 586.

(3) Ibid., Vol. 4, p. 586. □

(4) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 402، 419.

E.L/ II, S. V, Kara Koyunlu, Vol. 4, p. 586. Islam Ansikaloedisi: Kara Koyunlular, Madis " Istanbul, 1977, Milli egitin pasimevi " 6 cilt, s, 296. □

(5) ابن عريشاه: المصدر السابق، ص 14-15. الغياثي: المصدر السابق، 107، 183. ويسميه تحتشم خان. يكيوفسكي: تيمورلنك، ص 123.

(6) عن القوى السياسية التي دانت بالتبعية لتيمور في إيران، انظر: حسين: المرجع السابق، ص 113-117.

ثالثاً: مشكلة تحالف القره قوينلو مع المماليك من التحدي له، لأن المماليك كانوا مناهضين لتوسعاته.

ولغزة الأسباب وأسباب أخرى منها رغبته في التوسع، والثار لهزيمة السابقة.⁽¹⁾ وجه انظاره صوب العراق والجزيرة الفراتية⁽²⁾، ولعل أهم الأسباب التي حدثت بتميمور للتوجه نحو العراق والجزيرة الفراتية قبل التعرض لأذربيجان وشرق الأناضول رغبته بتطويق القره قوينلو من الجهتين الجنوبية والجنوبية الغربية للجزيرة الفراتية للحيلولة دون حصولهم على مساعدات من حلفائهم المماليك والجلاتريين⁽³⁾.

زحف تيمور بقواته نحو بغداد بعد أن رفض السلطان أحمد الجلاتري تقديم فروض الطاعة له وذكر اسمه في الخطبة والسكة⁽⁴⁾، فوصلها في 21 شوال سنة 795هـ/ 1393م⁽⁵⁾ في الوقت الذي فر منها السلطان أحمد الجلاتري مع عائلته وأمواله وأسلحته إلى الحلة ومنها إلى مصر. فدخلها تيمور دون مقاومة تذكر⁽⁶⁾.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 661

(1) الدويهي، اسطفتانوس: تاريخ الأزمنة، بيروت، 1951م، ص 192. خليل: حملات تيمور على بغداد، ص 27.
Iesterabadi, Aziz Bn Erdesir: Bezm Urezm " Ceviven Narsel, Ozturk, Ankara, 1990 " S, 411..

(2) Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 662.

(3) كان القره قوينلو في تلك المدة قد تحالفوا مع الجلاتريين، وذلك بزواج السلطان أحمد من بنت قره محمد، كما دعم القره قوينلو السلطان أحمد، وأمدوه بـ (5000) مقاتل تمكن بهم من القضاء على خصومه من الأمراء الجلاتريين. انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 102.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 659.

(4) عن تفاصيل هذا الرفض ودوافعه، انظر: بياني: شيرين: تاريخ آل جلاير، دلتشكاف، تهران، 1345، ص 84-82. حسين: المرجع السابق، ص 121-123.

(5) نطرتي، معين الدين: منتخب التواريخ معني، بتصحيح: زان أوين، كتا بفروشي خيام، تهران، 1336هـ ص 566.

(6) للتفاصيل عن غزو تيمور ببغداد وفرار السلطان أحمد، انظر: ابن القرات: المصدر السابق، م 9، ق 2، ص 362. ابن حجر: أنباء الغمر، ج 1، ص 453. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 43. الغياثي: المصدر السابق، ص 110-113.

ويدو أن بغداد لم تكبد خسائر جسيمة على أثر دخول جنود تيمور لأنها لم تقاوم، فعد تيمور فتحها صلحاً، ولم يستبجها بل فرض عليها ضريبة مال الأمان⁽¹⁾. وهناك من يشير إلى أن جند تيمور قد تعرضوا للسكان في أثناء جمع الضريبة فذهب ضحية ذلك ثلاثة آلاف شخص⁽²⁾.

ويعد أن أحكم تيمور احتلاله لبغداد توجه نحو الموصل التابعة للقره قوينلو، وكان يحكمها سنة 795هـ / 1393م يار علي بن قره محمد من نقبل أخيه قره يوسف⁽³⁾، ولنع تيمور من تدمير الموصل، وضع قره يوسف خطة مواجهة ذات شقين، الأول الطلب من أخيه يار علي حاكم الموصل عدم مقاومة تيمور والإسراع قبل وصوله إلى الموصل في تقديم فروض الطاعة له. والثاني سحب قواته الموجودة في الموصل باتجاه موش⁽⁴⁾. يهدف إبعادها عن جيش تيمور ليتسنى له من موش مراقبة تحركات تيمور العسكرية، لكي لا يفاجئ بهجوم تيموري سريع عليه، كما حدث للسلطان أحمد الجلائري.

ونجحت خطة قره يوسف إلى حد ما، فقد توجه يار علي إلى تيمور قبل احتلاله لتكريت في عرم سنة 796هـ / تشرين الثاني 1393م وقدم له التحف والهدايا دليلاً على التبعية والخضوع قبلها تيمور وأكرمه وأقطع كركوك (سيورغال)، وألحقها بحكمه في الموصل⁽⁵⁾. ولعل الأسباب التي دفعت تيمور إلى عدم إلحاق الأذى بالموصل وبحكمها يار علي عند دخوله فيها سنة 796هـ / 1393م⁽⁶⁾ رغبته أولاً بأن يجعل الموصل قاعدة لتحركاته العسكرية في الجزيرة الفراتية ومركزاً لتموين قطعاته بالمون والأعلاف. وثانياً أن يجعل من يار علي منافساً

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 113. أوبان، جان: تيمورلنك في بغداد، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الثامن، 1979م، ص 492. Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 663. وعن

هذه الضريبة، ينظر: الفصل الاقتصادي - مبحث الضرائب.

(2) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص 790.

(3) ابن حجر: انباء الغمر، ج2، ص 472، وأورد اسمه بعلي بن بدر خجا. نظرتي: المصدر السابق، ص 357. (4) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 57.

(5) الشامي: المصدر السابق، ص 145. ابن حجر: انباء الغمر، ج2، ص 472. ميرخواند: المصدر السابق، ج6، ص 220. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 348.

I. A/ Kara Koyunlular, Madesi, 6, cilt, s, 296.

(6) الشامي: المصدر السابق، ص 145. ابن حجر: انباء الغمر، ج2، ص 472. ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج6، ص 334.

لأخيه قره يوسف في زعامة القره قوينلو عن طريق إجبار يار علي على الاشتراك معه في عملياته العسكرية ضد أتباع قره يوسف، وهذا هو ما حدث فعلاً عندما شارك يار علي تيمورا في قتال أتباع قره يوسف القره قوينلوين الموجودين في رأس العين، فالحق بهم تيمور خسائر فادحة و'نهب أموالهم وحيواناتهم ... وأسر رجالهم وشتتهم شذراً مذراً ومبا نساءهم وأطفالهم...'⁽¹⁾. ومن رأس العين توجه تيمور نحو الرها في أواخر صفر سنة 796هـ/ 1394م فدانت له⁽²⁾، ثم أعلن كل من حاكم حصن كيفا وجزيرة أبين عمر وماردين تبعيته له⁽³⁾. وبذلك حقق تيمور هدفه الذي سبق أن ذكرناه وهو تطويق قره يوسف من جهتي الجنوب والجنوب الغربي.

ثم رجع إلى الموصل بعد أن دانت المناطق الآففة الذكر له⁽⁴⁾، ومنها انطلق نحو مركز تجمع قوات قره يوسف في شرق الأناضول، فحاصر أخلاط القرية من موش، وتمكن من احتلالها ومنها بدأت عملياته العسكرية ضد قره يوسف، فأرسل في البداية قوة بقيادة الأميرين جنكيز إيتاخ وجهانشاه بهادور لتعقب قره يوسف، غير أن هذه القوة لم تغلح في الوصول إليه. فقام بقيادة قطاعاته بنفسه مبتدئاً بقلعة أفانك أو أونك فحاصرها عازلاً فتحها، أدرك حاكمها القره قوينلوي مصر خواجه الذي قاوم الحصار مدة تسعة أشهر في نهاية المطاف عدم قدرته على الاستمرار في المقاومة فطلب العفو من تيمور لقاء استسلامه، فوافقه تيمور⁽⁵⁾ الذي دخل القلعة، وأقنّى رجالها عن آخرهم، وارتركب فيها من أعمال النهب والسلب والتدمير ما لم يرتكبه أي غاز آخر⁽⁶⁾، أما عن مصير مصر خواجه فاللعلومات تشير إلى أنه اعتقل وأرسل أسيراً إلى سمرقند⁽⁷⁾. ومن أونك توجه تيمور نحو مدينة أرجيش التي فتحها بعد أن أخضع القلاع

(1) نظري: المصدر السابق، ص 357. حسين: المرجع السابق ص 168.

Iesterabadi: A. g. e, s, 414. LA/ Kara Koyunlular, Madesi, 6, cilt, s, 296.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 189. ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص 344.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 189-190.

(4) ابن عرشاه: المصدر السابق، ص 52. الغياثي: المصدر السابق، ص 190.

(5) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p. 56.

ويشير إلى هذه الحادثة نظري: منتخب التواريخ، ص 362. ولكنه يختلف عن صاحب تاريخ قطب شاه في الإشارة إلى أن الحصار لم يدم غير شهر واحد.

(6) Iesterabadi: A. g. e, ss, 407-408.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 191.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p. 56.

القرية منها، ومنها بدأ يعد العدة لمواجهة قره يوسف الذي كان قد نحاشى الاصطدام به في ارجيش بسحب قوته منها قبل احتلال تيمور لها نحو مناطق أكثر تحصيناً⁽¹⁾. وفي هذه الأثناء حدث أمر لم يكن تيمور يتوقعه وهو قيام توقتاميش باحتلال أكثر بلاد مرة أخرى مستغلاً فرصة غيابه في شرق الأناضول فاضطر تيمور التوقف عن متابعة هجومه في شرق الأناضول، حيث قاد قواته لمواجهة توقتاميش⁽²⁾. وقد أعطى انسحاب معظم القوات التيمورية من شرق الأناضول الفرصة لقره يوسف في الإغارة على ما تبقى من القوات التيمورية في منطقته فدخل معها في معركة بقواته البالغة (5000) فارس فهزمها هزيمة منكرة وذلك في شهر ذي الحجة سنة 797هـ / 1395م⁽³⁾، وتابع ما تبقى منها، وقبض على بعض أمرائها، ومنهم اطملمش الذي كان نائباً لتيمور على بعض القلاع القريبة من تبريز⁽⁴⁾، كما أنه قام باسترداد بعض المدن التي سبق لتيمور أن احتلها ومنها الموصل التي استعادها في شهر جمادي الآخرة سنة 798هـ / 1396م، ونصب أخاه يار علي الذي كان قد فر من تيمور حاكماً عليها مرة أخرى⁽⁵⁾، وبذلك يكون قره يوسف قد استعاد السيطرة على معظم مناطق نفوذه السابقة باستثناء تبريز التي كانت في حوزة ابن تيمور ميرانشاه⁽⁶⁾. وبهذا أثبت قره يوسف كما أثبت والده قره محمد من قبله قدرته في الحفاظ على إمارته الفتية من الانهيار أمام الغزو التيموري الثاني 795 هـ - 796 هـ / 1393 - 1394م لتبدأ في مطلع القرن التاسع الهجري صفحة أخرى من الصراع مع التيموريين ولكنها أكثر عنفاً وهولاً قادت نتائجها قره يوسف إلى الانقلاب على حلفائه الجلائريين، ليحتل في نهاية المطاف مناطق نفوذهم ويسقط إمارتهم، كما سنذكر ذلك لاحقاً.

(1) Lesterabadi: A. g. e, s, 424. □

(2) ابن القرات: المصدر السابق، م، 9، ج2، ص 416. المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص 842-843. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 489. ابن عماد: للمصدر السابق، ج6، ص 347.

(3) ابن القرات: المصدر السابق، م، 9، ج2، ص 416. المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص 843. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 494.

(4) ابن القرات: المصدر السابق، م، 9، ج2، ص 430. المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص 850. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 509. ويذكر ابن أبياس أن اطملمش كان نائباً لتيمور على الرها في أثناء أسرهِ انظر: تاريخ ابن أبياس، ج1، ص 306.

(5) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص 513.

(6) Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 667. □

الفصل الثاني

الاحتلال القره قوينلوي ((ذو القنم الأسود)) لبغداد

أولا : الاحتلال القره قوينلوي الأول لبغداد سنة 806 هـ

ثانيا : اقتسام السلطان احمد وقره يوسف العراق وأنريجان

ثالثا : انقراط عقد التحالف بين السلطان احمد وقره يوسف

رابعا : معركة اسد آباد وهزيمة السلطان احمد الجلائري

خامسا : الاحتلال القره قوينلي الثاني لبغداد وانهيار الحكم الجلائري

الفصل الثاني

الاحتلال القره قوينلوي ((ذوالغنم الأسود)) لبغداد

أولاً: الاحتلال القره قوينلي الأول لبغداد سنة 806 هـ:

شهد العراق خلال مدة الاحتلال التيموري الأول فوزى سياسية وإدارية واقتصادية، إذ لم يتمكن الغزاة من ادامة نفوذهم على جميع اجزاء العراق، بسبب ضعف حامياتهم العسكرية فيه⁽¹⁾، وصعوبة وصول الامدادات العسكرية اليهم من عاصمتهم البعيدة سمرقند⁽²⁾، ولعدم وجود حضور لهم في العراق، بحيث يجعل السكان مطمئنين فيه على انفسهم بوجودهم، لذلك قاوموهم⁽³⁾، لايل تعاونوا مع القوى السياسية المحلية ضدهم⁽⁴⁾، تلك القوى التي استغلت حالة الضعف التيموري فأعادت سيطرتها على العراق ثانية، بعد طرد التيموريين منه، فقد تمكن قره يوسف من اعادة سيطرته على الموصل سنة 798 هـ / 1396م⁽⁵⁾، في الوقت الذي تمكن فيه السلطان احمد الجلائري من العودة إلى بغداد بمساعدة المماليك⁽⁶⁾، غير ان الامور لم تستقم لهم، لان تيمور لم يتركهما طويلا دون التعرض لهما

(1) قدر اليزدي عدد افراد الحامية التيمورية في بغداد بـ (3000) مقاتل، ظفر نامد، ج1، ص457، 469. في حين قلدها علي بن حسن الخنرجي بـ (5000) مقاتل. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسبوني عسل، مطبعة الهلال بالنفجالة، مصر، 1914م، ج2، ص261. وعلى ما يبدو ان تقديرات اليزدي هي الاقرب لانه كان مطلعا عن كتب على احداث العراق.

(2) خليل: اوضاع العراق السياسية، 145.

(3) عن هذه المقاومة، انظر: ابن الفرات: المصدر السابق، م9، ق2، ص347-348. القريري: المصدر السابق، ج3، ق2، 790-791. الصيرفي: نزعة النفوس والابدان، ج1، ص366. ابن اياس: المصدر السابق، ج1، ص300.

(4) عن هذا التعاون، انظر: ابن نصرت، محمد بن محمد: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق: وليم. م. برينر، جامعة كاليفورنيا، بركلي، ص158-159. العيني: تاريخ البدر، الورقة، 186. خليل: حملات تيمور على بغداد، ص169.

(5) ابن حجر: انباء الغرر، ج1، ص513.

(6) لمزيد من التفاصيل عن عودة السلطان احمد، والدعم المملوكي له، انظر: ابن ابي علية، شهاب الدين احمد: مختصر التاريخ الكبير (مخطوط في مكتبة اوقاف الموصل برقم 15/10، خزنة حسين بك)، 405-406. ابن

فأرسل في سنة 799هـ / 1397م حملة عسكرية بقيادة واحد من ابنائه لم تحدد المصادر اسمه نحو بلاد الجزيرة الفراتية، والموصل، للقضاء على نفوذ القره قوينلو فيها، فتمكنت هذه القوة من السيطرة على الموصل دون أن تفلح في القبض على قوه يوسف، الذي كان قد فر منها إلى اطراف الشام⁽¹⁾. غير أنه لم يستسلم لهذا الأمر، فهو ما لبث أن أعاد سيطرته ثانية على الموصل، وذلك سنة 800هـ / 1398م⁽²⁾. أما بغداد فكانت قد تعرضت أيضاً لحمليتين تيموريتين فاشلتين في سنة 801هـ / 1399م⁽³⁾، 802هـ / 1400م⁽⁴⁾ استهدفتا السيطرة عليها، والقبض على السلطان أحمد الجلائري. وعلى الرغم من تمكن السلطان أحمد من رد هاتين الحملتين، إلا أنهما أضعفتا من مركزه كثيراً، لاسيما بعد مؤامرة شروان⁽⁵⁾، التي ذهب ضحيتها الفان من امرائه، والمقرين اليه.

وقد تركت هذه الحادثة جرحاً عميقاً في نفس السلطان أحمد الجلائري فأخذ يتوجس خيفة من المقرين اليه، وأصبح غير مطمئن إلى وضعه السياسي في بغداد، خاصة وأن غاطر الغزو التيموري لبغداد ما تزال قائمة وفي محاولة منه لتقوية مركز نفوذه فيها، خرج سرا وتوجه إلى قره يوسف في الموصل طالبا منه العون، فوافق قره يوسف، وقدم الاثنان إلى بغداد وعسكرا في الجانب الغربي منها⁽⁶⁾. وذلك سنة 802هـ / 1400م. وفي الوقت الذي أشارت فيه بعض

الفرات: المصدر السابق، ج9، ق2، ص383-386. ابن حصري: المصدر السابق، ص159-161. العيني: تاريخ البدر، ورقة 186.

- (1) ابن حجر: انباء الغمر، ج1، ص523.
- (2) العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص28.
- (3) الغياثي: المصدر السابق، ص118-119.
- (4) الزيدى: المصدر السابق، ج2، ص167-168.

Howorth: op. cit, vol. 3, P. 668.

(5) مؤامرة شروان: دبرها تيمور مع أمير من امرائه يدعى شروان بن شيخ براق المنصوري، وتمثلت خطتها بأن ادعى شروان للسلطان أحمد أنه قد هرب اليه من تيمور، في حين أن هروبه لم يكن إلا بقصد تنفيذ أوامر تيمور بالقبض على السلطان أحمد بمعاونة بعض امرائه الذين كان قد رشاهم بأموال جليها معه إلى بغداد ولكن المؤامرة كشفت في مراحلها الأخيرة، فقتل السلطان الأمراء الذين اشتركوا في تلك المؤامرة والذين ذكرنا عددهم في المتن. الغياثي: المصدر السابق، ص119-121.

Howorth: op. cit, vol. 3, P. 668.

- (6) الزيدى: المصدر السابق، ج2، ص169. الغياثي: المصدر السابق، ص122.

المصادر المملوكية إلى هذه الحادثة وذكرت ان اهل بغداد قد تصدوا لهما واجبروهما بعد قتال على الفرار إلى الشام⁽¹⁾ نجد اليزدي والغياثي يشيران إلى ان السلطان احمد قد ترك قره يوسف في الجانب الغربي، ودخل وحده بغداد دون ان يعترضه احد ثم ندم على استقدامه قره يوسف، مخافة ان يسيطر على بغداد، ويرميحه عنها، لذلك حاول استرضاءه، بان قدم له كميات ضخمة من الاموال والنفاس والخيول، وطالبه بالعودة إلى بلاده، فوافق قره يوسف⁽²⁾. ويسدو ان ما ذكره اليزدي والغياثي هو الراجح لان انهزام السلطان احمد وقره يوسف إلى الشام لا يتفق مع ما ذكر من ان السلطان احمد كان قد أوكل أواخر سنة 802هـ / 1400م إلى الامير فرج مهمة الدفاع عن بغداد في حال تركه لها اذا ما تعرضت لغزو تيموري⁽³⁾ بعد ان كانت القوات التيمورية قد وصلت شرق الأناضول⁽⁴⁾.

وقد قويت العلاقة بين السلطان احمد وقره يوسف بعد تزايد الخطر التيموري عليهما، اثر تعرض مناطق نفوذهما لغاراته المتكررة⁽⁵⁾، واقتضت الحالة إلى ان يوافي احدهما الآخر بالمعلومات المتوفرة لديه عن القوات التيمورية وتحركاتها عن طريق الجواسيس⁽⁶⁾. وما ان علم السلطان احمد بأن تيمور قد غزا شرق الأناضول حتى أدرك انه لا محالة سيستهدف بغداد⁽⁷⁾، لذلك ترك بغداد بعهدة الأمير فرج، وتوجه بأهله وأمواله إلى الموصل فاستقبله حليفه قره يوسف بالاكرام⁽⁸⁾.

ولعل الأسباب التي دفعت السلطان احمد إلى ترك بغداد هي خوفه أولاً من ان يسد تيمور عليه منافذ الحرب كما يشير إلى ذلك الغياثي⁽⁹⁾، وإدراكه على عدم قدرته على مواجهة

(1) للقرنبي: المصدر السابق، ج3، ق3، ص1020-1021. ابن قري بردي: المهمل الصافي، ج1، ص137-138.

(2) ظفر نام، ص169. التاريخ الغياثي، ص122.

(3) عن هذا التوكيل ينظر: ابن عربشاه: المصدر السابق، 124.

Howorth: op. cit, vol. 3, P. 669.

(4) اليزدي: المصدر السابق، ج2، ص169.

(5) Howorth: op. cit, vol. 3, P. 669-670.

(6) اليزدي: المصدر السابق، ج2، ص169. الغياثي: المصدر السابق، ص123.

(7) اليزدي: المصدر السابق، ج2، ص169.

Howorth: op. cit, vol. 3, P. 669.

(8) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 60.

(9) التاريخ الغياثي، ص123.

تيمور بعد ضعف امكانياته العسكرية بسبب مؤامرة شروان ثانيا، فضلا عن وفاة حليفه السلطان المصري بقوق، الذي كان عوناً له في الازمات⁽¹⁾.

ولم يكن موقف قره يوسف احسن حالا من موقف السلطان احمد الجلائري فقد كانت القوات التيمورية على قاب قوسين او ادنى منه، واحتمال تعرض هذه القوات له قد اصبح يحكم المؤكد لا سيما بعد قبول قره يوسف وفادة السلطان احمد. ولغرض مواجهة الموقف، قرر قره يوسف سحب كافة قطعاته الموجودة بالقرب من بحيرة وان إلى الموصل⁽²⁾، ومن الموصل توجه بها وبصحبه السلطان احمد نحو أراضي الدولة العثمانية في بلاد الأناضول⁽³⁾ تفاديا لأي اصطدام مع قوات تيمور. وقد اختلفت المصادر في تقدير عدد قوات قره يوسف المنسحبة، ففي الوقت التي قدرها المقرئزي وابن تغرى بردى بـ (7000) مقاتل⁽⁴⁾، نجد الصيرفي يقدرها بـ (20,000) مقاتل⁽⁵⁾، ويبدو ان التقدير الأول هو المقبول لان فكرة سحب القوات دليل على قلة عددها وعدم تمكنها من مواجهة الخطر، فضلا عن ان صاحب تاريخ قطب شاه قد نص على ان القوات المنسحبة كانت قليلة⁽⁶⁾.

واجه قره يوسف والسلطان احمد في اثناء توجههما إلى بلاد الأناضول عن طريق الشام متاعب فقد اعترضهما بالقرب من حلب قوة مملوكية قدرت بحوالي (1000) مقاتل، دخلا معها في معركة في شهر شوال سنة 802 هـ / حزيران 1400م أسفرت عن اندحار القوات المملوكية، بعد تكبيدها حوالي (300) قتيل، من ضمنهم اتابك حلب جانبك اليحيائي، وأسر عدد من امراء الشام الذين أطلق قره يوسف سراحهم لقاء فدية مالية كبيرة⁽⁷⁾. وعلى اثر هذه

(1) سبق للسلطان بقوق ان قدم مساعدات للسلطان احمد، لغرض التصدي للقوات التيمورية، وللنفاذ على انظر: ابن الفرات: المصدر السابق، م 9، ج2، ص 383-386. العيني: تاريخ البدر، ورقة 186.

(2) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 60. (2)

(3) اليزدي: المصدر السابق، ج2، ص 169-170. الغياثي: المصدر السابق، ص 123.

Romer: op. cit, Vol. 6, p. 160.

(4) السلوك ج3، ق3، ص 1021. النجوم الزاهرة، ج12، ص 216.

(5) نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص 60-61.

(6) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shah, p. 56. (6)

(7) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق3، ص 1020-1021. ابن حجر: انباء الغمر، ج2، ص 108-109. ابن ابي علفية: مختصر التاريخ الكبير، الورقة 419. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج12، ص 215-216. المنهل الصافي، ج1، ص 238. الشوكاني: محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص 42.

المعركة قامت القوات القره قوينلوية بنهب القرى والمدن الواقعة على طريقها باتجاه الأناضول⁽¹⁾، مما دفع السلطان المصري بالإيعاز إلى قواته في الشام بالتصدي لها ثانية، وقد تمكنت القوات الشامية في نهاية سنة 802هـ / 1400م من إيقاع الهزيمة بالسلطان أحمد ونهب ما معه⁽²⁾، غير أن المصادر لم تثر إلى تعرض قره يوسف إلى هجوم مماثل، وهذا ما يدعونا إلى القول بأن قره يوسف والسلطان أحمد الجلائري، قد افترقا بعد معركة حلب وسلك كل منهما طريقا خاصا.

وفي هذه الأثناء كان تيمور قد أرسل الكمائن تباعا إلى شمال العراق وأطراف الشام لقطع الطريق على قره يوسف والسلطان أحمد الجلائري فتمكن أحد الكمائن من اعتراض طريق قره يوسف الذي فر هاربا تاركا حريمه وابته السلطنة دلشاد في الأسر⁽³⁾.

دخل قره يوسف والسلطان أحمد بلاد الأناضول بالتعاقب، فاستقبلهما السلطان العثماني بايزيد بلدرم (792-805هـ / 1390-1402م) بترحاب، واقطع قره يوسف مقاطعة آق شهر⁽⁴⁾، والسلطان أحمد مقاطعة كوتاهية⁽⁵⁾. ويبدو أن السلطان العثماني قصد من قبول وفادتهما توحيد الجهود، والتنسيق معهما لاستدراج تيمور - الذي كانت تهديداته قد طالت السلطان العثماني -⁽⁶⁾ إلى خوض معركة في قلب الأناضول، تكون هزيمته فيها امرا ميسورا⁽⁷⁾.

(1) الصيرفي: نزعة النفوس والأبدان، ج2، ص61.

(2) المقريزي: المصدر السابق، ج3، ق3، ص1023.

(3) Howorth: op. cit, Vol. 3, P. 669.

(4) آق شهر: تقع بالقرب من بحيرة تحمل الاسم نفسه، وإلى غربها يقع الحصن العظيم قره حصار. لسترنج: المرجع السابق، ص185.

(5) علي، شرف الدين: تيمور تزوكاتي، ترجمة من الفرنسية إلى التركية: مصطفى رحيمي، استبول، 1339هـ ص21. البديلي: المصدر السابق، ج2، ص67. الرازي: المرجع السابق، م3، ص674. خليل: أوضاع العراق السياسية، ص149.

I. A / Kara Koyunlular Madisi, 6, cilt, s, 297.

كوتاهية أو قطية: كما يسميها المؤرخون العرب، تقع في وسط بلاد الأناضول تقريبا بالقرب من بحيرة تحمل الاسم نفسه. لسترنج: المرجع السابق، ص186. وينظر كذلك: خارطة بلاد الروم مقابل الصفحة 159 من الكتاب نفسه.

(6) وردت هذه التهديدات ضمن رسائل عدة أرسلها تيمور إلى السلطان العثماني بايزيد، وللإطلاع عليها أنظر:

Browne: op. cit, Vol. 3, pp. 204-205.

ولغرض الاستفادة من قوات قره يوسف، أوعز السلطان بايزيد اليه بان يكون حاكما على ارزنجان - التي سبق ان دخلت في حوزة العثمانيين - (2)، على ان يتعاون مع سليمان بن بايزيد الذي كان موجودا في سيواس ليكون الاثنان قوة تصد أولى لمواجهه تيمور، اذا ما تعرض لممتلكات العثمانيين في هذه المنطقة. فحين استهدف تيمور سيواس بداية محرم سنة 803 هـ / 1401م ترك قره يوسف ارزنجان فعلا والتحق بقوات سليمان بن بايزيد ليدخلا معا في معركة ضد تيمور، اسفرت عن هزيمتهما وفرارهما إلى العاصمة العثمانية برصا (3)، بعد ان تكبدتا خسائر جسيمة (4).

وكان تيمور قبل معركة سيواس، قد أرسل جزءا من قواته بقيادة الأمير زاده رستم لمحاصرة بغداد، بعد ان علم بانسحاب السلطان احمد الجلائري منها، وقد لاقى قواته مقاومة عنيفة من قبل المقاتلين العرب والتركمان بقيادة الأمير فرج الذي تمكن من افشال الهجوم مما حدى بتيمور - الذي كان قد اكمل اهدافه في شرق الأناضول والشام - على التوجه بقطعاته عن طريق الموصل - اربيل نحو بغداد ليحاصرها، وبعد حصار دام اربعين يوما تمكن جنده من اقتحام اسوار المدينة، ومن ثم الدخول فيها وذلك في 26 ذي القعدة سنة 803 هـ / 1401م، وأعملوا في اهلها القتل، فذهب ضحية ذلك عشرات الآلاف من الاشخاص (5).

وبغزو تيمور شرق الأناضول وبلاد الشام والعراق، ودحره لمراكز القوى في هذه البلدان، يكون قد طوى الدولة العثمانية من جهتي الشرق والجنوب، ومنع بذلك أي تعاون كان بالامكان ان يحدث بين العثمانيين، وهذه القوى. ثم بدأ يستفز السلطان العثماني بايزيد

(1) الجواهرى: المرجع السابق، ص 24-25.

(2) ابن عريشاه: المصدر السابق، ص 87.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 672. Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 62-63.

(3) برصا او يروسة: مدينة كبيرة تقع في الطرف الشمالي الغربي من بلاد الروم. ينظر: لسترنج: المرجع السابق، ص 189، والخارطة مقابل ص 159.

(4) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ص 1027. ابن عريشاه: المصدر السابق، ص 88. ابن ابي عتيبة: مختصر التاريخ الكبير، الورقة 420. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج2، ص 216-265-266.

(5) علي: المصدر السابق، ص 21. ابن عريشاه: المصدر السابق، ص 124. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج2، ص 366. الفياثي: المصدر السابق، ص 124-126، 202-203. حسين: المرجع السابق، ص 353-367. اويان: تيمولنك في بغداد، ص 493. العابد: العراق بين احتلالين، ص 554-555.

Howorth: op. cit, Vol. 3, pp. 690-671.

يلدرم برسائل تحط من مكانته بهدف جره إلى مواجهة عسكرية. ولغرض التعرف على ما جاء في هذه الرسائل نستشهد بواحدة منها جاء فيها '... يا ملك الروم بايزيد اعلم فنحن في بلاد الله ملك جديد مظفر ومنصور على جميع الاعداء بالنصر والتأييد فجملة الخلائق لنا عيد، فته ان قره يوسف والسلطان احمد قد هربا من سطوة سيوفنا ومن هية جيوشنا، ولا يخفى عليك انهما مادة الفساد ... واياكم ان تصحبوهم بل اخرجوهم ... واياكم ومخالفة أمرنا فستحل عليكم دائرة قهرنا، قد سمعتم أحوال مخالفتنا وتبين لكم كيف فعلنا بهم ... والسلام على من هداه الله، والأمر يومئذ لله⁽¹⁾.

وكان رد فعل السلطان العثماني بايزيد عنيفا تجاه تيمور، الذي كانت مطالبه تمس القيم القبلية السائدة عند العثمانيين للمثلة بحماية من يلتجئ اليهم، فضلا عن ادراكه لمطامع تيمور التوسعية، ولهذا ضمن رسالته الجوابية رفض مطالبه والاستعداد للمنازلة والاصرار عليها، فقال '... وأنا أعلم ان هذا الكلام يبعثك إلى بلادنا اتباعا، فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثا بته، والسلام على القوم المسلمين، ولعنة الله عليك، ومن تبعك اجمعين إلى يوم الدين⁽²⁾. اما موقف قره يوسف والسلطان احمد الجلائري من تهديدات تيمور لبازيزيد فقد تمثل بالتخاذل، فبدلا من موازرتهم، قررا الانسحاب لمواجهة السلطان العثماني بايزيد وحده مصيره المحتوم على يد تيمور، وهربا من مدينة برصا إلى العراق، وسلكا طريق قلعة الروم شمال سوريا، واتجهتا منها جنوبا بمحاذاة نهر الفرات حتى وصلا هيت، فاستقر قره يوسف فيها، في حين واصل السلطان احمد الجلائري سيره باتجاه بغداد ودخلها سنة 804 هـ / 1402م بعد ان كان تيمور قد سحب قواته منها استعدادا لغزو الدولة العثمانية⁽³⁾.

ولم يجهل تيمور السلطان احمد طويلا في بغداد، فقد ارسل في السنة المذكورة نفسها قوة كبيرة من عسكره لاسترداد بغداد بقيادة الأمير زادة ابن ابي بكر فزحف هذا باتجاه بغداد

(1) ينظر التصل الكامل للرسالة: عبد المولى، مصطفى بن احمد: كنة الاخبار، اسطنبول، 1277 هـ ج2 ص84.

(2) النص الكامل للرسالة: ابن عريشاء: المصدر السابق، ص126-128. عبد المولى: المصدر السابق، ج2 ص85. وقد اورد براون فقرات من الرسائل المتبادلة بين تيمور وبازيزيد لانهج جميعها عن نطاق التهديدات، والتهديدات المضادة، وللإطلاع انظر:

A Literary history of Persia, Vol. 3, pp. 204-206.

(3) اليزدي: المصدر السابق، ج2، ص275-276. الغياثي: المصدر السابق، ص203-206. ميرخواند: المصدر السابق، ج6، ص495.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 672.

فدخلها ليلة السبت 8 رجب سنة 804 هـ / 1402م بعد ان كان السلطان احمد وابنه طاهر قد لاذا بالفرار منها إلى الحلة، وقد تعقبتهما قوة تيمورية، فاضطر على ترك الحلة إلى جزر خالد ومالك اسفل الفرات⁽¹⁾.

وامتغل طاهر بن السلطان احمد فرصة استدعاء تيمور لقواته في العراق لغرض الهجوم على الدولة العثمانية فسيطر على الحلة، وتمكن ان يجمع حوله أمراء ابيه، ويتفق معهم على منع آيه من دخول الحلة، فما كان من السلطان احمد، إلا ان طلب المساعدة من حليفه قره يوسف، الذي كان قد استقر به المقام مع اتباعه عند هيت، فلبى طلبه وتوجه بقواته نحو الحلة ودخل في معركة مع طاهر، انتهت باندحار طاهر ومقتله⁽²⁾.

وبعد هذه الحادثة دانت الحلة وبغداد للسلطان احمد، غير ان قره يوسف اظهر طمعه في بغداد، لاسيما بعد ان أدرك ان السلطان احمد لا يمتلك من القوة ما يجعله قادرا على التصدي له، وقد اتخذ من قيام السلطان احمد بقتل اتابك قره يوسف ذريعة لتحقيق نيته، فقام بقيادة قواته بالسير نحو بغداد وتمكن من دخولها، مفاجئا بذلك السلطان احمد، الذي لم يتوقع حدوث مثل هذا الامر لصداقتهما، فاضطر إلى الهرب وحده إلى تكريت، وذلك في 5 محرم سنة 806 هـ / 1403م ومنها توجه إلى الشام طالبا اللجوء عند المماليك⁽³⁾.

ولم يكف قره يوسف بتحقيقه احتلال بغداد التي اتخذها مركزا لامارته بل وسع مناطق نفوذه لتشمل بعض انحاء العراق، وهذا هو ما يؤكد الغيائي بأشارته إلى ان قره يوسف قد تصرف في العراق⁽⁴⁾ دون منافس، ويشير ميرخواند إلى ان الذي مهد لقره يوسف السيل في هذه السيطرة بعد انهيار قوة الجلائريين هم المتطوعون من القبائل العربية لاسيما القبائل القاطنة في اطراف الفرات والتي سبق لها ان انضمت إلى جيشه في أثناء استقراره في هيت، بعد عودته

(1) اليزدي: المصدر السابق، ج2، ص276-277. الغيائي: المصدر السابق، ص203-204.

(2) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق3، ص1107. الغيائي: المصدر السابق، ص206-207. ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص445.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 56.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 673.

(3) الصبري: نزعة النفوس والأبدان، ج2، ص183. الغيائي: المصدر السابق، ص131، 207-208، 239-240. ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص447.

Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, pp. 56-57.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 673.

(4) التاريخ الغيائي، ص208.

من بلاد الأناضول⁽¹⁾. ويدور ان انضمام المتطوعين العرب اليه كان بهدف الاستعانة به على استعادة مضاربهم التي سبق للتيموريين ان استهدفوها، وأجلوهم عنها في اثناء الحملات التيمورية المتكررة على وسط العراق وجنوبه⁽²⁾.

ولم يدم احتلال قره يوسف لبغداد والعراق طويلا، إذ ما كاد تيمور يدحر السلطان العثماني بايزيد يلدرم في معركة انقرة سنة 805 هـ / 1403م حتى ارسل جزءا من قواته لاحتلال بغداد، فدهرها اليزدي والغياثي بـ (3000) مقاتل⁽³⁾، وصاحب تاريخ قطب شاه بـ (30,000) مقاتل⁽⁴⁾، وان حجر بـ (100,000) مقاتل⁽⁵⁾. ويدور ان التقدير الأول لا يتناسب مع حجم قوة المقابل التي قدرت بمحدود (30,000) مقاتل⁽⁶⁾، كما ان التقدير الاخير مبالغ فيه، لهذا يمكن ترجيح ما قدره صاحب تاريخ قطب شاه لتناسبه مع قوة قره يوسف بحيث يستطيع الانتصار عليها. وهذا ما حصل على ما سنذكره فيما بعد.

وامام اندفاع القوات التيمورية، أدرك قره يوسف ان لا خيار امامه الا الدفاع عن بغداد او الانسحاب منها، وبحكم معرفته المسبقة بان تيمور لا يفضل ابقاء قوات كبيرة في المناطق التي تحتلها قواته لحاجته اليها لتنفيذ خططه التوسعية في انحاء واسعة من قارة اسيا، قرر حفاظا على قواته، الانسحاب من بغداد بعد احتلال دام (88) يوما⁽⁷⁾ على امل ان يعود اليها ثانية، بعد ان تنسحب القوة التيمورية الرئيسة منها. ولكن هذا الأمل لم يتحقق، فبعد ان عسكرت قواته بالقرب من نهر الغتم مقابل المسيب قرب الحلة فوجئ بتعقب القوات التيمورية له فدخل معها في معركة عنيفة⁽⁸⁾، وتمكن في البداية من احرار انتصار جزئي⁽⁹⁾، غير ان هذا لم يستمر، فسرعان ما خارت قواه فأطلق سيقانه للريح، بعد ان خسر عدد كبير من اتباعه قتلى، ووقعت زوجته في

(1) ميرخواند: المصدر السابق، ج6، ص445.

(2) عن الحملات التيمورية على مضارب القبائل العربية في وسط وجنوب العراق، انظر: حسين: المرجع السابق، ص146-152.

(3) الظفر نام، ج2، ص391. التاريخ الغياثي، ص208-209.

(4) Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

(5) ابن حجر: انباء الغمر، ج2، ص263.

(6) الصيرفي: نزعة النفوس والأبدان، ج2، ص183. وانظر كذلك: ميرخواند: المصدر السابق، ج6، ص445.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص130.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص129-130، 208-210. انظر: الصيرفي: نزعة النفوس والأبدان، ج2، ص183.

ميرخواند: المصدر السابق، ج6، ص446-447.

(9) المقرئ: المصدر السابق، ج3، ص1118. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص301-302.

الأمر، وتبعه من تبقى من اتباعه إلى بلاد الشام⁽¹⁾، ليلتحق بحليفه القديم السلطان أحمد الجلائري في اللجوء عند السلطان المملوكي.

ثانياً: اقتسام السلطان أحمد وقره يوسف العراق وأذربيجان:

وصل كل من قره يوسف والسلطان أحمد الجلائري مدينة دمشق طريدين من العراق، على التوالي في شهر ربيع الأول وجمادى الأولى من سنة 806 هـ / 1404م⁽²⁾، وعلى الرغم من أن نائب دمشق الأمير شيخ الحمودي قبل وفادتهما، إلا أن السلطان المملوكي فرج رفض ذلك وأصدر لئابه هذا مرسوماً باعتقالهما⁽³⁾، لانهما يشكلان خطراً على الدولة المملوكية، التي سبق لها أن عقدت اتفاقية مع تيمور تضمن أحد بنودها النص عدم إيواء كل طرف أعداء الطرف الآخر⁽⁴⁾.

وبموجب هذا المرسوم سجن السلطان أحمد في برج السلسلة، وقره يوسف في برج الحمام في قلعة دمشق، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة 806 هـ / 1404م⁽⁵⁾، وهناك من يشير إلى أن المعتقلين كانا قد التقياً أكثر من مرة⁽⁶⁾. ويبدو أن هذا اللقاء كان يعلم نائب دمشق، ذلك لأن الدلائل أظهرت كما ستلاحظ لاحقاً وجود تواطؤ بين هذا النائب وهذين المعتقلين ضد السلطان المملوكي. وعلى أية حال فقد كان اللقاء بينهما فرصة لإعادة الصداقة ونسيان ما حصل. ومن منطلق الحرس على تعزيز الصداقة، عرض السلطان أحمد على قره يوسف فكرة أن يتبنى أحمد ولده المسمى بيريوداق الذي كان قد رزق به في أثناء وجوده في السجن فوافق

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 209-210، ميرخواند: المصدر السابق، م 6، ص 447.

Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

(2) القريري: المصدر السابق، ج 3، ق 3، ص 1118-1119. الصيرفي: نزعة النفوس والأبدان، ج 2، ص 183.

الشوكاني: المصدر السابق، ج 1، ص 43.

(3) ابن تغري يردى: النجوم الزاهرة، ج 2، ص 302.

(4) ميرخواند: المصدر السابق، م 6، ص 549. بياني: المرجع السابق، ص 100.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 673-674.

Browne: op. cit, Vol. 3, p. 191.

(5) القريري: المصدر السابق، ج 3، ق 3، ص 1120. ابن تغري يردى: النجوم الزاهرة، ج 2، ص 302.

(6) ميرخواند: المصدر السابق، م 6، ص 549. خواندمير: المصدر السابق، م 3، ص 567.

Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

قره يوسف⁽¹⁾، وقد كان لهذا الاتفاق أثره المجمع على الجلائريين، لأن قره يوسف اتخذ من هذا التثني فيما بعد حجة لتسوية شرعية حكمه على الجلائريين على ما سنذكره لاحقاً. كما أن لقاءهما هذا تمخض أيضاً عن اتفاق وتعاهد بينهما بأن تكون أذربيجان لقره يوسف ويكون العراق للسلطان أحمد في حال تمكنهما - بعد إطلاق سراحهما - من إعادة السيطرة على هذين البلدين⁽²⁾.

وشاءت الظروف اضطراب الأحوال السيامية في بلاد الشام ومصر، على أثر قيام الأمير شيخ الحمودي نائب دمشق بحركة تمرد على السلطان المملوكي فرج⁽³⁾، ولغرض دعم موقفه العسكري أطلق سراح قره يوسف والسلطان أحمد الجلائري في شهر رجب سنة 807 هـ / 1405م بعد أن منح كلا منهما مبلغ (100,000) درهم فضة وثلاثمائة فرس⁽⁴⁾، لقاء اشتراكهما معه ضد السلطان. وبالفعل خاض قره يوسف وأتباعه الذين كانوا يقدرون بـ (500) فارس ومعه السلطان أحمد عمليات عسكرية مع شيخ الحمودي ضد السلطان⁽⁵⁾، كانت الأخيرة منها المعركة التي وقعت بالقرب من القاهرة، وأسفرت عن هزيمة شيخ الحمودي وفراره مع قره يوسف إلى الشام⁽⁶⁾. ومن الشام قفل السلطان أحمد وقره يوسف عائدين إلى مناطق نفوذهما السابقة، بعد أن وصلتهما أخبار موت تيمور⁽⁷⁾ في أثناء حملته على الصين

(1) ميرخواتند: المصدر السابق، م 6، ص 549. خواندمير: المصدر السابق، م 3، ص 567. منجم باشي: المصدر السابق، م 3، ص 151. بياني: المرجع السابق، ص 99.

Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

Uzuncarsili: Anadolu, s. 181.

(2) خواندمير: المصدر السابق، م 3، ص 567.

Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

I. A. / Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s. 298.

(3) عن هذا التمرد أنظر: الصيرفي: نزعة القوس والأبدان، ج 2، ص 196-198.

(4) المقرئزي: المصدر السابق، ج 3، ق 3، ص 1154. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 310. ويذكر خواندمير بأن الحمودي زودهم بما يحتاجه ألف فارس مع علف، أنظر: تاريخ حبيب السير، م 3، ص 568.

(5) المقرئزي: المصدر السابق، ج 3، ق 3، ص 1143-1144، 1148، 1162-1163. خواندمير: المصدر السابق، م 3، ص 568.

(6) المقرئزي: المصدر السابق، ج 3، ق 3، ص 1164-1165. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج 4، ص 318.

(7) المقرئزي: المصدر السابق، ج 3، ق 3، ص 1165، 1173. ابن حجر: انباء الغرر، ج 3، ص 230. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج 1، ص 240. الغياثي: المصدر السابق، ص 240.

وذلك يوم الأربعاء 17 شعبان سنة 807 هـ / 1405 م⁽¹⁾ وسلكا في عودتهما الطريق إلى ديار بكر، فوصلا الرها، وفيها أكد الاثنان ما اتفقا عليه سابقا⁽²⁾، وعند الرها افترقا، فسلط السلطان احمد طريق الفرات باتجاه الحلة فوصل إليها بعد ان التحق به اتباعه الذين ازداد عددهم في اثناء زحفه على بغداد. وعندما علم سكان بغداد بزحفه، تمردوا على الحاكم التيموري دولت خواجه، فاضطر هذا على الفرار إلى فارس، فدخلها السلطان من دون مقاومة⁽³⁾، وذلك في 5 محرم سنة 808 هـ / 1405 م⁽⁴⁾.

أما قره يوسف فانه اتجه من الرها إلى الموصل⁽⁵⁾، ومنها إلى بدليس⁽⁶⁾، التي استقبله حاكمها شمس الدين بن حاجي شرف بالاكرام وزوجه ابنته وأقطعها مقاطعة باسين⁽⁷⁾، وقلعة اونك⁽⁸⁾. ومن هذه المقاطعة بدأ قره يوسف يخطط لعملية إعادة هيمنة على أذربيجان ثانية، بعد ان انضم اليه الكثير من القبائل التركمانية في شرق الأناضول⁽⁹⁾، فأصبح له منها جيش قوامه (10,000) مقاتل⁽¹⁰⁾. فبدأ بالاغارة على وان ووسطان⁽¹¹⁾ فدانتا له بالتبعية⁽¹²⁾، كما دخل في

(1) ابن عريشاه: المصدر السابق، ص 172. ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 270. الغياثي: المصدر السابق، ص 240.

(2) الغياثي: المصدر نفسه، ص 131، 240.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م 3 ص 568-569. بياني: المرجع السابق، ص 100.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 674.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 131.

(5) ابن حجر: انباء النعم، ج 3، ص 230. السخاوي، شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج 6، ص 217.

(6) بدليس: تقع جنوبي غربي بحيرة وان، في واد عميق يجري فيه نهران أحدهما يصب في دجلة عند تل فافان. لسترنج: المرجع السابق، ص 145، 218.

(7) باسمين: كورة تقع بالقرب من أرزن الروم. لسترنج: المرجع نفسه، ص 150.

(8) البدليس: المصدر السابق، ج 3، ص 390. فريج: كرد لر، كتيخانه مهاجرين مديرية عمومي، اسطنبول، 1334 هـ ص 336.

(9) خواندمير: المصدر السابق، م 3، ص 568.

(10) Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

(11) وان ووسطان: الأولى تقع قرب الشاطئ الشرقي لبحيرة وان، والثانية قلعة تقع على ساحل بحيرة وان الجنوبية وتسمى الآن طاق بستان. لسترنج: المرجع السابق، ص 218، 222.

(12) خواندمير: المصدر السابق، م 3، ص 568.

صيف سنة 809 هـ / 1407م في معركة عنيفة مع قوات الميرزا ابي بكر بن ميرانشاه بن تيمور، وبعد ثلاثة ايام من القتال، في موضع يقال له جخر سعد، انهزم الميرزا ابو بكر بعد ان تكبدت قواته خسائر جسيمة، فاستمر قره يوسف هذا الانتصار بان مد نفوذه على مدن مرند ونخجوان وسرور وماكو⁽¹⁾.

وعلى ما يبدو توقع ميرانشاه بن تيمور الذي كان حاكما على خراسان وأذربيجان وبلاد الجبل ان ما حققه قره يوسف من انتصار على جيش ابنه الميرزا ابي بكر، سيدفعه للسيطرة على تبريز، لذلك جهز جيشا جرارا توجه به من خراسان في سنة 810 هـ / 1408م ومعه ابنه الميرزا ابو بكر إلى أذربيجان لقتال قره يوسف، وطرده من المدن التي سيطر عليها، وكان قره يوسف قد هيا الاستعدادات اللازمة لمواجهة مثل هذا الجيش، فالتقى الجيشان في موضع يقال له نشيب غازان، بالقرب من تبريز، وأسفرت المعركة عن مقتل ميرانشاه وهزيمة جيشه⁽²⁾. وعلى أثر هذا الانتصار دخل قره يوسف تبريز، ويدخوله فيها دانت له بالتبعية كل بلاد أذربيجان⁽³⁾.

ثالثا: انقراط عقد التحالف بين السلطان احمد وقره يوسف

انشغل كل من السلطان احمد الجلائري وقره يوسف في تثبيت دعائم سلطته على المناطق التي خضعت لحكمه بعد عودته من بلاد الشام، ولم تقف على ما يشير إلى حدوث أي توتر سياسي في علاقتهما حتى سنة 810 هـ / 1408م التي بدأت فيها علامات التوتر تشوب علاقتهما بسبب تنصيب قره يوسف ابنه بير بوداق حاكما على أذربيجان، ومنحه لقب سلطان⁽⁴⁾، وقد هدف قره يوسف من ذلك إلى اضعاف الشرعية على حكم ابنه أولا وتطلعا

(1) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص569-570. البديلي: المصدر السابق، ج1، ص390. فريج: المرجع السابق، ص336.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

(2) البديلي: المصدر السابق، ج1، ص390-391، ج2، ص72. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص150. Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 674.

(3) البديلي: المصدر السابق، ج1، ص390-391. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص150. Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص150. ادهم: المرجع السابق، ص405.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

Uzuncarsili: Anadolun, s, 181. Savory: op. cit, p. 37.

لاغتنام إبة فرصة ممكنة لتنصيبه سلطانا على الجلّاترين، وحاكما على أملاكهم في حال موت السلطان أحمد الجلّاتري ثانيا، منطلقا في ذلك من اعتبار أن ير بوداق هو ابن السلطان أحمد بالتبني، ومن حق الابن أن يرث أباه في السلطنة بعد موته، ولكي يسبق على ابنه معالم السلطة وأبنتها أجلسه على كرسي من ذهب ووضع على رأسه التاج، وأخذ يقف بجوار كرسي العرش باحترام، كما أنه أمر بأن تصدر الخطبة وتسك العملة باسمه⁽¹⁾، وأن تكون الأوامر تحت عنوان ((ير بوداق بهادرخان بن أبي النصر يوسف بهادره))⁽²⁾.

وقد حظيت إجراءات قره يوسف بموافقة حكام المدن التابعة له فبادروا بإرسال رسائلهم محملين بالهدايا، وأعلنوا طاعتهم للسلطان الجديد⁽³⁾. وفي الوقت نفسه أرسل قره يوسف رسالة إلى السلطان أحمد الجلّاتري يبين له فيها أن تنصيب ير بوداق حاكما على أذربيجان ومنحه لقب سلطان لا يتعارض مع ما اتفقا عليه وطلب منه موافقته على هذا التنصيب⁽⁴⁾.

وقد توجس السلطان أحمد خيفة من عمل قره يوسف، لأن هذا الأمر لا يخرج عن نطاق الرغبة في إزاحته عن السلطة، وإحلال ير بوداق محله، لذلك قرر العمل على مواجهة قره يوسف بالشكل الذي لا يستغره ويثير شكوكه، فظاهر أمام رسل قره يوسف بأن إجراءات قره يوسف قد حظيت بموافقته، وأنها تحقق مراده، لذلك فهو على عهده معه، ولتأكيد ذلك، أرسل إلى ير بوداق، تاجا أميريا وهدايا⁽⁵⁾، دليلا على هذه الموافقة.

ولكنه لم يستعجل مواجهة قره يوسف، لأدراكه بأنه أقوى منه ولنرض إزاحته عن أذربيجان، لا بد من القيام بعمل ينطوي على حيلة، لذلك لجأ إلى الاكثار من مراسلات المودة والصدقة لقره يوسف، وتضمنت أحداها اعلام قره يوسف بأنه مريض وأن الأطباء نصحوه

(1) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص102-103.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

(2) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص102.

Uzuncarsili: Osmanli Devleti Teskilatina Medhal "Istanbul, Maarif Matbaasi, 1941" s, 296.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص103.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص103.

(5) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

بالاصطياف في همدان لأن جو بغداد الحار لا يتوافق مع صحته، وكان غرضه من هذا الاعلام تضليل قره يوسف عن عملية تجميع قواته في همدان لتكون اكثر قربا إلى تبريز من بغداد⁽¹⁾. ولم تنطل خطة السلطان احمد على قره يوسف، الذي ارسل إلى السلطان احمد رسالة ينهيه فيها من مغية أي تحرك عسكري ضده⁽²⁾ وهنا ثمة حادثة لها علاقة بتطور الاحداث بين الطرفين، وترتبط بعلاء الدولة ابن السلطان احمد الذي قد تمكن من الافلات من الاسر التيموري في سمرقند سنة 808 هـ / 1406م وبعد تنقل في بلاد ايران دام اربع سنوات قصد تبريز، فاستقبله قره يوسف بالاكرام⁽³⁾. وكان علاء الدولة يرى انه أحق بحكم آذربيجان من قره يوسف وابنه بير بوداق، لذلك خطط لازاحتها عن الحكم بالاعتماد على المناصرين لأسرته في تبريز. ولغرض ازالة الشكوك في نيته هذه تظاهر بالتوجه إلى بغداد لملاقاة ابيه، بعد ان علم بأن قره يوسف قد عزم على التوجه إلى خوى لقمع حركة تمرد وقعت فيها. وما ان خرج قره يوسف حتى قفل علاء الدولة راجعا إلى تبريز، فاستجمع مناصريه لغرض السيطرة على المدينة، ولكن حاجي كوجك نائب قره يوسف تنبه لذلك والقى القبض على علاء الدولة وسجنه في قلعة عادل جواز التي تقع شمال بحيرة وان⁽⁴⁾. ويورد الغياثي روايتين أخريين فيهما بعض الاختلاف عما تقدم ذكره ويذكر في إحدى الروايتين ان علاء الدولة غضب عندما سمع بأن أباه في اثناء توجهه إلى همدان قد عين أحد أمرائه نائبا عنه في بغداد بدلا منه، لذلك تمرد على ابيه، فترك الحلة التي كان حاكما عليها، وتوجه إلى تبريز عن طريق اربيل، ويذكر في الرواية الثانية ان السلطان احمد هو الذي ارسل علاء الدولة⁽⁵⁾ لغرض التمهويه على قره يوسف بوجود خلاف بينهما على السلطة، وكان السلطان يهدف من ذلك ألا تثار شكوك قره يوسف في أهداف ذهاب علاء الدولة إلى تبريز وهي تحصر في كسب الاتباع وتنظيمهم على ما يبدو ولاستغلالهم عند الحاجة في ازالة قره يوسف وابنه عن حكم آذربيجان.

(1) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576-577. بياني: المرجع السابق، ص103-104.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 676.

(2) بياني: المرجع السابق، ص105.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 676.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص104.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 59.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص105.

(5) التاريخ الغياثي، ص131-132.

ويبدو لنا ان علاء الدولة بعد افلاته من الاسر قصد بغداد قبل تبريز لوجود اسرته الحاكمة فيها، ومنها قصد تبريز بعد ان اتفق مع ابيه على ازاخه قره يوسف عنها، لذلك كان هرويه إلى تبريز باتفاق مسبق مع ابيه، والا فكيف يمكننا ان نفسر ارسال السلطان احمد إلى قره يوسف قاصدا مع هدايا يتشفع فيها لولده المسجون عنده ويعتذر اليه، ويطلب منه اطلاق سراحه⁽¹⁾، فلو كان السلطان احمد على خلاف مع علاء الدولة لكان قد طلب من قره يوسف الاقتصاد منه او ارساله مخفورا بدلا من التشفع له وطلب اطلاق سراحه.

ولم يستجب قره يوسف لطلب السلطان احمد اطلاق سراح علاء الدولة⁽²⁾، وكان رفض الاستجابة سببا كافيا لتفجير الصراع بينهما بشكل علني، وقد حدث ذلك عندما قاد السلطان احمد جيشه إلى همدان في خريف سنة 812 هـ / 1409م بهدف احتلالها⁽³⁾. وقد باءت هذه المحاولة بالفشل لوقوع ثورة ضده في بغداد⁽⁴⁾ قادها على ما يبدو احد شيوخ قبيلة عبادة فاضطر للعودة سريعا إلى بغداد⁽⁵⁾، وما ان تمكن من الثورة حتى قاد في 12 محرم سنة 813 هـ / 1410م جيشه البالغ (45,000) مقاتل ثانية مستهدفا هذه المرة تبريز⁽⁶⁾ بدلا من همدان، لغياب قره يوسف عنها وانشغاله بقمع حركة تمرد وقعت في ارزنجان⁽⁷⁾. وعند مدينة سلماش⁽⁸⁾ تصدى له شاه محمد بن قره يوسف، الذي كان ابوه قد أنابه على تبريز خلال مدة غيابه في ارزنجان، بقوة صغيرة كانت سببا في اندحاره وهربه⁽⁹⁾. ومن سلماش تقدم السلطان

(1) عن هذه الرسالة، ينظر: الغياثي: المصدر نفسه، ص 133.

(2) الغياثي: المصدر نفسه، ص 133.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م 3، ص 577.

(4) عن هذه الثورة ودوافعها، انظر: خواندمير: المصدر نفسه، م 3، ص 577.

(5) خواندمير: المصدر نفسه، م 3، ص 577. ياني: المرجع السابق، ص 106.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 59.

(6) خواندمير: المصدر نفسه، م 3، ص 577. ياني: المرجع السابق، ص 106.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 59.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 677.

(7) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 59-60.

Uzuncarili: Anadolen, s. 182.

(8) سلماش: إحدى مدن إقليم اذربيجان تقع إلى الشمال من أرمية. لسترنج: المرجع السابق، ص 200.

(9) خواندمير: المصدر نفسه، م 3، ص 577.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 677.

احمد نحو تبريز محيطا نفسه بمظاهر العظمة باستقدامه مئة رجل خيامه وامتعته، والسير تحت المظلة الملكية وفوق رأسه طير كبير من الذهب وملابس اتباعه من الامراء مطرزة بشكل مهيب⁽¹⁾، كل ذلك بهدف اصفاء الهية على شخصه، وكسب اهل تبريز لجانبه، وتذكيرهم بعظمته وباتنه سلطانهم، وقد دخل تبريز دون مقاومة تذكر، وذلك في شهر ربيع الأول سنة 813 هـ / 1410م⁽²⁾ في الوقت الذي كان فيه قره يوسف في ارزنجان. ويدخوله تبريز يكون السلطان احمد قد نقض الاتفاقية التي كان قد عقدتها مع قره يوسف والتي نصت على ان اذربيجان لقره يوسف والعراق له، وبهذا النقض يكون التحالف بينهما قد انقضى عقد.

رابعا : معركة اسد آباد وهزيمة السلطان احمد الجلائري :

كان السلطان احمد قبل دخوله تبريز، قد أعاد ترتيب علاقاته انسيابية مع بعض القوى المناهضة للقره قوينلو لضمان وقوفها إلى جانبه في معركته المقبلة مع قره يوسف، فاستغل حادثة مقتل ميرانشاه بن تيمور على يد قره يوسف الذي تمكن من طرد التيموريين من اذربيجان وفارس، بأن تقرب لشاهرخ الذي كان قد تولى زعامة التيموريين بعد ان ازيح السلطان خليل سنة 808 هـ / 1406م فعقد معه اتفاقية تحالف ضد قره يوسف⁽³⁾، كما تمكن من كسب ولاء حاكم الدريند⁽⁴⁾ الشيخ ابراهيم الدريندي⁽⁵⁾، وملك ارمينيا سنباز افانيه بورير، الذي عقد معه اتفاقية تحالف ضمن بموجيها وقوفه إلى جانبه ضد قره يوسف⁽⁶⁾. وعلى الرغم من اننا لم نعرش على معلومات تشير إلى محاولة السلطان احمد التقرب من الآق قوينلو، الا ان موقف الآق قوينلو كان أقرب إلى السلطان احمد منه إلى قره يوسف، فقد كان القره قوينلو والآق قوينلو في تلك المدة في حالة صراع على مناطق الترخوم لامارتيهما⁽⁷⁾.

(1) بياني: المرجع السابق، ص 106.

(2) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(3) بياني: المرجع السابق، ص 100.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 677.

(4) دريند: ويسمى العرب باب الأبواب، وهي أجل موانئ بحر قزوين. لسترنج: المرجع السابق، ص 214.

(5) الغياي: المصدر السابق، ص 240. بياني: المرجع السابق، ص 100.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(6) Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 677

(7) خواندمير: المصدر السابق، م 3، ص 577.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 79-80.

وعلى الرغم من هذه التحالفات، بقي قره يوسف الأقوى عسكرياً لامتلاكه جيشاً يضاهي في عدده جيش السلطان احمد، فضلاً عن المتطوعين⁽¹⁾. وقد عرف افراد هذا الجيش الذي كان معظمه من التركمان بصراحتهم وشدة بأسهم في القتال، خلافاً لجيش السلطان احمد الذي كان مزيجاً من أجناس عدة من عرب وتركمان وأكراد وفرس، ومعظم هؤلاء كانوا متطوعين يقاتلون بهدف الاستلاب، أو بسبب الترامات عقدتها زعمائهم مع السلطان مقابل بعض المكاسب كالاقطاعات والمناصب والانعامات⁽²⁾.

وبعد تمكن قره يوسف من القضاء على غمرد ارزنجان فقل راجعا إلى تبريز لمواجهة السلطان احمد، وفي يوم الجمعة 28 ربيع الثاني سنة 813 هـ / 30 آب 1410 م⁽³⁾ التقى الجمعان عند مدينة اسد آباد القرية من تبريز، ودارت بينهما معركة لم تدم سوى يوم واحد، بانت نتائجها لصالح قره يوسف منذ الساعات الأولى لغدر عدد كبير من أمراء الجلائرين بالسلطان بانضمامهم إلى قره يوسف، الأمر الذي اربك الجيش الجلائري، وأوقع الكثير منه في الأسر، فاضطر السلطان احمد على الهرب من ساحة المعركة، بعد ان اصيب بجرح في ساقه والتجأ متخفياً بزي فقير إلى بستان قريب، فشاهده رجل كبير السن يدعى بهاء الدين جللاه، فعرفه السلطان بنفسه، ووعد باعطاء بعقوبة سيورغالا في حال ايصاله إلى بغداد ولكن بهاء الدين غدر به بأن عرف قره يوسف بمكانه، فتمكن هذا من القبض عليه⁽⁴⁾، وقد عاتبه عتاباً شديداً

(1) تذكر بعض المصادر ان قره يوسف كان له جيش دائم محدود (40,000) مقاتل، ينظر: ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص230. السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص216. وقد ذكر أوزن جاوشلي ان هذا الجيش كان يتبعه دائماً عدد كبير من المتطوعين من افراد العشائر، انظر:

Osmanli Devleti, s, 304.

(2) العاني: المرجع السابق، ص156.

(3) اختلفت المصادر في تحديد يوم تاريخ المعركة، فابن تغري يردى يحددها بليلة الأحد آخر شهر ربيع الآخر سنة 813 هـ النجوم الزاهرة، ج13، ص181. والغياثي في سابع عشر ربيع الآخر سنة 813 هـ التاريخ الغياثي، ص134. ولكننا اعتمدنا ما حدده خواندمير في كتابه تاريخ حبيب السير، م3، ص577، لأنه فصل الحديث أكثر من غيره عن هذه الواقعة.

(4) خواندمير: المصدر نفسه، م3، ص577. ياني: المرجع السابق، ص106-107.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 677. Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 84-85.

Uzunçarili: Anadolun, s, 182.

لتكره للعهد الذي كان قد قطعه على نفسه معه، عندما كانا في سجن دمشق وقال له 'باسم الانتصار الذي حققته عليك، لن أفعل بك شيئا، وسأعاملك بالحسنى' (1).

واستغل قره يوسف حالة ضعف السلطان احمد في اسره بأن طالبه بالتنازل عن مناطق نفوذه لولديه، فطلب منه ان يكتب أمرا سلطانيا بماء الذهب وتوقيعه، يتعهد فيه بتنازله عن أذربيجان لير بوداق، والعراق لشاه محمد، فوافق السلطان مضطرا، وصدرت الأوامر بذلك بتوقيعه (2)، وبذلك يكون قره يوسف قد أعطى لحملته القادمة على العراق غطاء شرعيا.

خامسا: الاحتلال القره قويونلوي الثاني لبغداد وانهييار الحكم الجلائري؛

اتخذ قره يوسف بعد اجبار السلطان احمد على التنازل عن سلطته لمصلحة ولديه عدة اجراءات سياسية وعسكرية بهدف تثبيت دعائم سلطته، ومد نفوذه على العراق، وتمثلت هذه الاجراءات بقتله السلطان احمد في 28 ربيع الثاني سنة 813 هـ / 1410م وقتل ابنة علاء الدولة لقطع اية محاولة قد يقوم الاثنان لاستعادة نفوذهما (3)، ولغرض اعلان استلام ير بوداق مقاليد السلطة الجلائرية دعا قره يوسف سنة 814 هـ / 1411م إلى عقد اجتماع حاشد في تبريز، ضم كافة امراء القره قويونلو، أعلن فيه تسلم ير بوداق مقاليد السلطة الجلائرية بلريعة مقتل السلطان احمد، ومن حق الابن ان يحل محل والده المقتول (4).

أما اجراءات قره يوسف العسكرية التي سبقت اعلان ير بوداق سلطانا فتمثلت بإرسال حملة عسكرية بقيادة ابنه الشاه محمد لاحتلال بغداد، ويسط نفوذه على العراق (5). وقد انطلقت الحملة التي لم تحدد المصادر عدد افرادها من تبريز سنة 813 هـ / 1410م بعد مقتل السلطان احمد مباشرة على طريق تبريز - أربيل - كركوك - بعقوبة - بغداد (6). وقد ساد الاضطراب ببغداد حال تلقيها خبر مقتل السلطان، وحملة الشاه محمد، ولكن الاسرة الجلائرية الموجودة في بغداد قد واجهت هذا الموقف باتخاذ جملة اجراءات منها احلال شاه ولد سلطان على

(1) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(2) خواندمير: المصدر نفسه، م3، ص 577-578.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 85.

(3) نظرتى: المصدر السابق، ص 167-168. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 578. الغياثي: المصدر السابق، ص 135-136. منجم ياشي: المصدر السابق، م3، ص 150.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(4) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 87-88.

(5) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 578. الغياثي: المصدر السابق، ص 244.

(6) Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 678. I. A. / Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 300.

الجلاليتين⁽¹⁾ بدلا من السلطان احمد المقتول وحدث ذلك باجاء من قبل زوجته دوندى خاتون بنت السلطان حسين وأم الصبي اويس⁽²⁾ صاحبة الامر والنهي⁽³⁾، قامرت لغرض تعطيل تقدم الشاه محمد نحو أسوار المدينة بفتح سداد دجلة واغراق جميع جوانب المدينة بالمياه⁽⁴⁾. ولغرض تهدئة اضطراب سكان بغداد، فتحت مخيلتها عن خطة لا تحلو من براعة ودعاء، فقد أوعزت إلى بخشايش الذي كان شحنة على بغداد في أثناء حملة السلطان احمد على تبريز، ان يث اشاعات بان السلطان احمد حي لم يقتل، وانه مخنئ في احدى دور بغداد، ولتأكيد ذلك استمر بخشايش في الخطبة باسم السلطان⁽⁵⁾، واستهدفت دوندى من هذا الاجراء ايضا تسخير الأهالي للوقوف إلى جانبها لمواجهة الغزاة، ومن الثمرات الايجابية لهذه الخطة رفض اعيان بغداد طلبا للشاه محمد بتمكينه من المدينة وقالوا لرسوله "ان السلطان احمد لم يقتل، وانما هو حي ..."⁽⁶⁾ فضلا عن تضامنهم مع الجلائريين وشروعهم بالقتال من فوق الاسوار دفاعا عن مدينتهم بعد حصار الشاه محمد لها⁽⁷⁾.

(1) تضارب اقوال المؤرخين في تحديد الشخص الأول الذي تسلم مقاليد السلطة الجلائرية بعد مقتل السلطان احمد الجلائري. فلقريزي يعد اويس شاه ولد اول من اقام في السلطنة، انظر: السلوك، ج4، ق1، ص146. وابن حجر يعد شاه ولد اول من تسلطن. انظر: انباء الغمر، ج3، ص205. وهورث يذكر ان شاه ولد هو الذي تولى السلطنة بعد مقتل السلطان احمد سنة 813 هـ انظر:

History of Mongols, Vol. 5, p. 678.

ونظرتى يقدم محمود بن شاه ولد على الآخرين. انظر: منتخب التواريخ، ص164. والغياثي لا يجزم في هذا الامر. انظر: التاريخ الغياثي، ص136-137. وللمزيد من التفاصيل عن هذا التضارب، انظر: ما ذكره الحمداني محقق كتاب التاريخ الغياثي في الهامش الثالث، ص136.

(2) لقريزي لا يذكر اسم دوندى الصريح، وانما يذكرها باسم ام الصبي اويس: انظر: السلوك، ج4، ق1، ص146. والغياثي يذكر ان اويس هو ابن دوندى، انظر: التاريخ الغياثي، ص244.

(3) علي، علي شاكز: العراق والغزو القره قوينلوي في القرن الخامس عشر الميلادي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 28، السنة الحادية عشرة، 1986م، ص38.

(4) أوج أوق، بحرية، النساء الحاكمت في التاريخ، ترجمة: ابراهيم الداوقوي، مطبعة السعدون، بغداد، 1973م، ص135.

(5) لقريزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص146. الغياثي: المصدر السابق، ص244.

(6) لقريزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص146.

(7) المصدر نفسه والصفحة.

وعلى الرغم من هذا الموقف الايجابي لسكان المدينة، نجد ان بعض افراد السلطة الحاكمة لم يكن يهمهم من امر المدينة شيء سوى تحقيق المكاسب، ومنهم بخشايش والي بغداد الذي طلب الزواج من ابنة دوندي خاوتون طمعا بعرش السلطنة، ولم يكن امام دوندي الا القبول بهذا الطلب⁽¹⁾، لان بخشايش كان له من الاتباع ما يجعله قادرا على زعزعة الوجود الجلائري في بغداد وفي اثناء حفلة الزواج فكرت دوندي بطريقة للتخلص من بخشايش واتباعه، فاستغلت افراط بخشايش في شرب الخمر، وانشغال الحاضرين بحفلة العرس التي اقيمت في دار الجلائق⁽²⁾ الذي يقع في خان القلندرية⁽³⁾، فامرت اتباعها بقتل بخشايش حال توجهه إلى بيت العروس فما ان ركب فرسه مترنحا حتى قطعوا رأسه وربطوا جسده على الفرس، وعلق رأسه على رمح، والدخوف تضرب حتى الصباح. وأشاعت دوندي ان مقتله ومقتل عدد من اتباعه حدث بامر من السلطان احمد⁽⁴⁾.

وقد انطلت اشاعة بقاء السلطان احمد حيا على اهالي بغداد، لذلك لم يظهروا أي رد فعل سلبي لقتل بخشايش لانه وقع بامر السلطان، ولغرض تعزيز تضامن الاهالي مع دوندي وشدهم للمقاومة، عمدت إلى تعيين واحد من اعيانهم يدعى عبد الرحيم الملاح شحنة على بغداد بدلا من بخشايش المقتول⁽⁵⁾، فكان هذا خير معين لها لانه اشاع للاهالي بانه شاهد السلطان في منامه وهو راكب على فرسه، ووعد بالخروج في النهار⁽⁶⁾. كما ان هذا الشحنة استمر على الخطبة وسك النقود باسم السلطان احمد⁽⁷⁾.

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 244-245.

(2) دار الجلائق: تقع على شط دجلة، وكانت هذه الدار من قبل لعلاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من امراء بغداد زمن الخليفة المستعصم بالله وفي زمن هولاء سكنها جلائق النصارى. جواد، مصطفى وأحمد موه: دليل خارطة بغداد المفضل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1958م، ص 198، 223-224.

(3) خان القلندرية: يقع في الجهة الشرقية من نهر دجلة وسمي بهذه التسمية نسبة إلى القلندرية وهم طائفة من المتصوفة. جواد: المرجع نفسه، ص 223.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 245، وأشار إلى هذه الحادثة بشكل مقتضب. القريري: المصدر السابق، ج 4، ق 1، ص 146.

(5) القريري: المصدر نفسه، ج 4، ق 1، ص 146. الغياثي: المصدر السابق، ص 245. أوج: المرجع السابق، ص 135.

(6) ابن حجر: انباه الغمر، ج 2، ص 460. اقبال: المرجع السابق، ج 1، ص 464. علي: العراق والغزو القره قوينلو، ص 39.

(7) القريري: المصدر نفسه، ج 4، ق 1، ص 147.

وقد أثارت اشاعة قرب ظهور السلطان احمد روح المقاومة والامتنعالية عند سكان بغداد، على الرغم من مضي قرابة ثمانية أشهر على الحصار⁽¹⁾، فلم يكفوا بالدفاع عن بغداد بل قاموا بغارات خاطفة على معسكر الشاه محمد، تمكنوا خلالها من انزال خسائر جسيمة بعسكره والحصول على غنائم منه، مما اربك الشاه محمدا، فاضطر إلى الانسحاب وعسكر في بعقوبة، لكن قوات بغداد، لم تدعه وشانه، فقد هاجته قوة من خمسمائة مقاتل تمكنوا من قتل عدد من امرائه وجنده⁽²⁾، فتلاشى أي أمل من أماله في امكانية احتلال بغداد بعد هذه المقاومة، والخسائر التي تكبدها، لذلك كتب لوالده قره يوسف بعزمه على الانسحاب من معسكره في بعقوبة، والتوجه إلى تبريز⁽³⁾، وفي اثناء شدة الرحال تلقى خبر انفجار الصراع بين دودنى خاتون وعبد الرحيم الملاح، ومقتل الملاح، مما دعاه إلى استغلال الموقف ومحاصرة بغداد ثانية⁽⁴⁾.

وقد أشار المقرئ والمقريزي والغياثي بشكل مقتضب إلى حادثة مقتل عبد الرحيم وآثارها، فذكروا ان عبد الرحيم الملاح قتل مع عدد من اتباعه⁽⁵⁾. ويبدو ان قتلها لعبد الرحيم جاء بعد ان استنفذت غرضها منه، ولأنه أظهر الطموح بالسلطنة كما فعل من قبل مجاشيش.

أثار مقتل عبد الرحيم ردود فعل أهالي بغداد ضد دودنى، مما دفعها إلى الانتقام منهم، وقد أكد الغياثي هذا بإشارته إلى وقوع السيف بعد مقتل عبد الرحيم في أهل بغداد وقتل خلق كثير منهم⁽⁶⁾ وقد رأت دودنى بعد هذه الحادثة ان قدرتها على ضبط البلد أصبحت بحكم المستحيل لتخلي السكان عنها⁽⁷⁾، ولطول مدة الحصار⁽⁸⁾، فخططت للهروب مع افراد أسرته،

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 678.

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 245.

(2) للمقريزي: المصدر السابق، ج 4، ق 1، ص 146-147. ابن حجر: انباه الغمر، ج 3، ص 230. وانظر كذلك: السخاوي: الضوء اللامع، ج 6، ص 217.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 246. ابن حجر: انباه الغمر، ج 3، ص 230.

(4) للمقريزي: المصدر السابق، ج 4، ق 1، ص 147.

(5) للمصدر نفسه، ج 4، ق 1، ص 147. التاريخ الغياثي، ص 245.

(6) التاريخ الغياثي، ص 245.

(7) للمصدر نفسه، ص 246.

(8) للمقريزي: المصدر السابق، ج 4، ق 1، ص 146. ابن حجر: انباه الغمر، ج 3، ص 205-206.

ولتسهيل عملية الحرب عمدت كما يشير المقرئزي إلى تسريب خبر مفاده ان السلطان احمد حي قد ظهر، فأحدث ذلك ضجة في بغداد وتسابق الناس إلى داره لرؤيته، فخرج عليهم رجل في زي السلطان احمد راكبا فرسا فأنهّل الناس وقبلوا له الأرض، ثم ما لبث ان عاد إلى الدار ثانية بعد ان وعدهم بالخروج عند غروب الشمس.

واستغلت دوندى انطلاء هذه الخدعة على الناس وانشغالهم برؤية السلطان بالحرب من بغداد إلى شوشتر، وهرب خمسمائة فارس من اتباعها إلى البصرة وامام هذا الامر وجد أهل بغداد الا طاقة لهم على الاستمرار في المقاومة بعد مقتل الكثير منهم مع عبد الرحيم الملاح كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فاضطروا على استدعاء الشاه محمد لدخول بغداد، فدخلها سنة 814 هـ / 1411م⁽¹⁾.

وقد أشار الغياثي إلى هذه الحادثة بشيء من الاختلاف عن المقرئزي ولكن روايته أقرب إلى العقول، فذكر ان دوندى أمرت الاهالي بتزين المدينة على شرف خروج السلطان احمد من محبته، وبينما كان الناس منشغلين بامر التزيين الذي استغرق ثلاثة ايام، انسلت ليلا مع أولادها الستة وأموالهم وجماعتها، وانحدرت بهم على ظهر سفينة إلى واسط، ومنها توجهت إلى شوشتر. ولما علم أكابر البلد بذلك استدعوا الشاه محمد لدخول بغداد، فدخلها قبل ظهر نهار الخميس خامس محرم سنة 814 هـ / 1411م⁽²⁾ بعد حصار دام سنة تقريبا⁽³⁾.

وقد اتجه الشاه محمد بعد ان نهيت قواته بغداد يوما كاملا⁽⁴⁾ إلى الانتصاف من الذين قاموا بالحملة، فطلب من ابن الشيخ احمد السهروردي، احد اعيان بغداد، ان يقدم له اسماء الجماعة التي روجت فكرة بقاء السلطان احمد حيا، فقدم هذا جريدة كادت تستوعب اسماء

(1) السلوك، ج4، ق1، ص147-148.

(2) التاريخ الغياثي، ص246. وقد أشارت بعض المصادر الأخرى إلى هذه الحادثة بشكل مقتضب، وللإطلاع، انظر: ابن حجر: انباء الفهر، ج3، ص230، حيث حدد تاريخ دخول شاه محمد بغداد في جمادى الأولى سنة 814 هـ. السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص217. غفاري، القاضي احمد بن محمد بن عبد الغفور: تاريخ جهان ارا، كتابغروشي حافظ، تهران، ص215.

(3) اختلقت المصادر في تحديد مدة الحصار. فالمقرئزي يجلده بمدة (10) أشهر. السلوك، ج4، ق1، ص146. وابن حجر بستة واحدة. انباء الفهر، ج3، ص205. والسخاوي يكثر من عشرة أشهر. الضوء اللامع، ج6، ص217. ويبالغ نظري في القول بان الحصار دام سنتين. منتخب التواريخ، ص169.

(4) للمقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص183-184. الغياثي: المصدر السابق، ص247.

كل اهل بغداد، الامر الذي جعل الشاه محمد يتردد في معاقبتهم جميعا، واكتفى بقتل الشيخ احمد السهروردي، بوصفه من مروجي تلك الاشاعة⁽¹⁾.

بعد ان احكم الشاه محمد سيطرته على بغداد جرد هو ووالده عدة حملات عسكرية استهدفت السيطرة على باقي انحاء العراق، وكانت عانة أولى المدن التي استهدفت. وهناك من يشير إلى ان قره يوسف قصدوا في شهر ربيع الآخر سنة 814 هـ / 1411م، وتمكن من احتلالها بعد ان كسر عسكر حاكمها الأمير العجل بن نعيال فضل⁽²⁾، كما تمكن الشاه محمد من احتلال قلعة هيت⁽³⁾، ويبدو ان تكررت قد سقطت سنة 814 هـ / 1411م، فهناك من يذكر ان ابا القاسم بن قره يوسف كان حاكما عليها في هذه السنة⁽⁴⁾ وكذلك اربيل والموصل التي منح الشاه محمد حكمها لولده شاه علي⁽⁵⁾، وكركوك وداقوق وجصان التي حكمها افراد من أسرته⁽⁶⁾، وفي سنة 816 هـ / 1413م قاد الشاه محمد حملة عسكرية على كردستان فتمكن من اخضاعها واخضاع مدينة شهرزور وأسر أميرها محمد ساروا التركماني⁽⁷⁾. وفي عهد شقيقه اسبان⁽⁸⁾ امتدت السيطرة القره قوينلوية إلى اطراف البصرة بما فيها الخويزة⁽⁹⁾. وبذلك يكون القره قوينلو قد استكملوا احتلالهم للعراق بعد عمليات تخريب وتدمير.

(1) الغياثي: المصدر نفسه، ص 247. علي: العراق والغزو القره قوينلو، ص 31.

(2) المقرئزي: المصدر السابق، ج 4، ق 1، ص 181.

(3) خوافي: فصيح احمد بن جلال الدين محمد: مجمل فصيح، تصحيح ونحوية: محمود فرخ، جاب طوس، مشهد، 1336، ج 3، ص 207.

(4) Sumer: A. g. e, I, cilt, s, 85.

(5) خوافي: المصدر السابق، ج 3، ص 207.

Sumer: A. g. e, I, cilt, s, 89.

(6) خوافي: المصدر السابق، ج 3، ص 207، 213-214.

(7) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 679.

(8) اسبان: وردت هذه التسمية في المصادر التاريخية مختلفة، منها أصبهان وأسبهان وأسبند وهي عند الغياثي: اسبان، ومنه أخذنا بها. انظر: التاريخ الغياثي، ص 260.

(9) الشوشتری: سيد نور الله: مجالس المؤمنین، جامعانه اسلامية، تهران، 1376، ج 2، ص 398-399. كسروی:

احمد: تاريخ بانصد ساله خوزستان، تهران، 1312 هـ ص 15-16.

الفصل الثالث

الصراع الأسري القره قوينلوي ((ذو الغنم الأسود))

على ولاية بغداد وأثاره على السكان

أولاً: الصراع الأسري:

- 1- تمرد الشاه محمد على سلطة والده قره يوسف.
- 2- النزاع اسيان ولاية بغداد من الشاه محمد.
- 3- الصراع بين الوند وأمرء اسيان وتدخل جهانشاه.
- 4- تمرد بير بوداق على سلطة والده جهانشاه.

ثانياً: آثار الصراع على السكان:

- 1- القتل والنهب والتجويع.
- 2- تشريد السكان.
- 3- انتشار الامراض والاوبئة.

الفصل الثالث

الصراع الأسري القره قوينلوي ((ذوالقلم الأسود)) على ولاية بغداد وأشاره على السكان

أولاً: الصراع الأسري:

1- تمرد الشاه محمد على سلطة والده قره يوسف:

منح قره يوسف ابنه الشاه محمد تفويضا يحكم بغداد لمدة عشرين سنة⁽¹⁾. وعاشت بغداد خلال السنوات الأولى من حكم الشاه دون اضطراب لظهوره السيرة الحسنة⁽²⁾، وإعقابه أرباب الخراج من الدفع لمدة سبع سنوات⁽³⁾ بهدف تنشيط الحياة الاقتصادية ولكن اجراءه هذا أدى إلى انخفاض كبير في الواردات التي تحصل عليها خزينة بغداد والتي كان معظمها يأتي من الخراج، فضعفت قدرته على تسديد التزاماته المالية السنوية تجاه والده قره يوسف الذي لم يكن يهجمه شيء من أمر ولاية ابنه الا بقدر ما تدره عليه من الاموال لادامة عملياته العسكرية بهدف السيطرة والتوسع. لذا لم ترق لقره يوسف اصلاحات الشاه محمد، وعد امتناع ابنه عن الدفع بمثابة تمرد عليه. فتوجه بجيشه لغزو بغداد. واستيقاء ما هو مقرر عليها من اموال وذلك سنة 816 هـ / 1413م، ولكن شامت الاقدار الا يكمل قره يوسف، الذي كان قد وصل همدان مسيرته نحو بغداد لحدوث حركة تمردات عليه في عدة مدن من بلاد فارس وديار بكر⁽⁴⁾. ولتهديد شاهرخ التيموري له باحتلال تبريز في حال عدم اقامته الخطبة له وضرب السكة باسمه، ولمعالجة الموقف اضطر قره يوسف إلى اعادة النظر في علاقته مع ابنه الشاه محمد، فقد ارسل يستدعيه للدفاع عن تبريز في حال تعرضها لهجوم تيموري⁽⁵⁾.

(1) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(2) القريني: المصدر السابق، ج4، ق2، ص924. الصيرفي: زمة القوس والأبدان، ج3، ص267. الغياثي:

المصدر السابق، ص247.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص248.

Minorsky: Jihan - Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 274.

(4) المزوي: تاريخ العراق، ج3، ص234.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 61.

Savory: op. cit, p. 38.

(5) القريني: المصدر السابق، ج4، ق1، ص300.

وعلى الرغم من اننا لا نملك معلومات تؤكد استجابة الشاه محمد لطلب والده، لكن تحركه سنة 818 هـ / 1415م لاحتلال شوشتر⁽¹⁾ - التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من ايران - يجعلنا نقول بوجود علاقة بين غزوه لهذه المدينة وتهديدات شاهرخ لتبريز، فقد قصد شاه محمد من تحركه باتجاه شوشتر - على ما يبدو - وضع قوات شاهرخ التي كانت قد احتلت السلطانية بين فكي كماشة - قواته من جهة الجنوب الغربي وقوات والده من جهة الشمال الغربي، أي من جهة تبريز - ولكن شاهرخ تبه لهذه الخطة فكف بسببها على ما يبدو عن تهديده وانسحب عن السلطانية لمصلحة قره يوسف⁽²⁾.

وقد شاعت الظروف ان تحسن العلاقة بين قره يوسف وشاهرخ سنة 820 هـ / 1417م⁽³⁾ الامر الذي أفسح المجال لقره يوسف بان يطالب الشاه محمد ثانية بما هو مستحق على ولايته من اموال، ولغرض تأكيد نيته على هذا المطلب، أخذ يعد العدة لغزو بغداد⁽⁴⁾، فأنار بذلك مخاوف الشاه محمد الذي شرع في جمع الاموال الكثيرة من اهل بغداد⁽⁵⁾، غير ان هذه الاموال لم تدفع لقره يوسف فحملة ذلك على تنفيذ غزوه لبغداد سنة 821 هـ / 1418م فاستصفي اموال الشاه محمد بعد استسلامه له⁽⁶⁾، ومع هذا فان الشاه محمد لم يتعظ من غزو والده له، فقد كرر ثانية الامتناع عن الدفع، فعاود قره يوسف غزو بغداد سنة 823 هـ / 1420م وبعد حصار دام ثلاثة ايام دخلها واعتقل الشاه محمد، وصادر جميع امواله، وعزله عن ولايته، وعين بدلا منه شقيقه أسبان⁽⁷⁾. وقد اتخذ قره يوسف هذا الاجراء للحد من تطلعات الشاه محمد.

(1) للمصدر نفسه، ج4، ق1، ص317.

(2) E. L / II, S. V., Kara Koyunlular, Vol. 4, p. 587.

(3) عن هذه العلاقة وأسباب تحسنها، انظر:

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 98. Savory: op. cit, p. 38.

I. A / Kara Koyunlular, Madisi, 6 cilt, s, 300.

(4) العيني: عقد الجمان، ص301.

(5) ابن حجر: انباء النعمان، ج3، ص136. العيني: عقد الجمان، ص301.

(6) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص466. ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص163. الزواوي: تاريخ العراق، ج2، ص44.

(7) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص533. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص98.

2. انتزاع أسبان ولاية بغداد من الشاه محمد:

توفي قره يوسف في لوجان⁽¹⁾ سنة 823 هـ / 1420م في أثناء استعداداته للتصدي لشاهرخ التيموري المتقدم لاحتلال أذربيجان⁽²⁾. وبوفاته اضطربت أحوال القره قوينلو لعدم تسمية قره يوسف من يخلفه من أبنائه بعد أن كان خليفته بير يوداق قد توفي في حياته سنة 821 هـ / 1418م⁽³⁾. وفي لوجان لم يكن أبان الوفاة أحد من أبنائه الخمسة ليتولى مهمة الزعامة وقيادة الجيش فشاء محمد كان بعد عزله عن ولاية بغداد معتقلاً في نخجوان⁽⁴⁾، وأسبان كان في قلعة عادل جوز⁽⁵⁾ الواقعة على بحيرة وان، وجهان شاه في السلطانية وأبو سعيد في أرزنجان واسكندر في كركوك⁽⁶⁾.

وقد دخل الأبناء حال سماعهم نبأ وفاة والدهم في صراع من أجل الزعامة والسيطرة على بغداد وتبريز. وفي الوقت الذي فضل فيه كل من الشاه محمد وجها نشاء السيطرة على بغداد⁽⁷⁾ البعيدة عن التهديد التيموري، لم ير أسكندر الذي كان قريباً من بغداد هذه المدينة الاهتمام، وفضل تبريز عليها لأنها مقر والده أولاً ولتلقية دعوة من معظم أمراء آبيه في استانه

(1) لوجان: تقع على إحدى روافد نهر سراو على بعد عشرة فراسخ عن تبريز في طريق ميانة. لسترنج: المرجع السابق، ص 198.

(2) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص543. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص230-231. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص607-608. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص151. ويخطئ الخوافي في تحديد سنة الوفاة بسنة 821 هـ انظر: مجمل فصيح، ج3، ص253.

(3) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص466.

I. A / Kara Koyunlular, Madisi, 6 cilt, s, 300.

Sumer: A. g. c, 1, cilt, s, 116.

(4) نخجوان: من أعمال أذربيجان تقع شمال نهر الرمس إلى الشرق من قلعة النجف. لسترنج: المرجع السابق، ص201.

(5) تمزى أسباب وجود أسبان في عادل جوز في هذا الوقت بدلا من بغداد إلى تلقيه أوامر من والده قره يوسف قبل وفاته بأن يلتحق به لمواجهة شاهرخ. ويبدو أن الوفاة قد حصلت في أثناء وصوله إلى عادل جوز، انظر:

Sumer: A. g. c, 1, cilt, s, 116.

(6) Savory: op. cit, p. 39.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص248.

لتولي الزعامة ثانياً⁽¹⁾. أما أسبان فقد قاده الطموح نحو تبريز التي من يسيطر عليها تكون له الزعامة على القره قوينلو، ولكن ما واجهه من هزيمة على يد التيموريين عند محاولته استرجاع تبريز التي كانت قد سقطت بيد بای سقر بن شاهرخ⁽²⁾، والتضاف معظم امراء القره قوينلو حول أخيه اسكندر قد حال دون تحقيقه لهدفه، لذلك قفل راجعاً بسرعة إلى بغداد لإعادة ولايته عليها، ولكن الشاه محمد كان قد سبقه وسبق جهانشاه اليها فأصبحا تحت الامر لواقع، ورضياً بحكم الشاه محمد لبغداد⁽³⁾ مؤقتاً حتى تتوفر فرصة لهما لازاحته عنها. ويشير الغياثي إلى ان جهانشاه بعد استقراره مدة في بغداد اضطر مع والدته إلى الهرب منها صوب تبريز بعد خوف حصل لديه من شاه محمد⁽⁴⁾. ويبدو ان الهرب حصل بعد ان حاول الشاه محمد القبض عليه لمحاولة الفاشلة في ازاحته عن حكم بغداد.

أما أسبان الذي رأى بعد ان امض أربع سنوات في بغداد بان احوال الشاه محمد قد غدت مضطربة لاسيما بعد اعطاء الشاه العسكر اجازة بالرواح عنه وقال: مالي حاجة إلى عسكر، الشط والسور هو عسكري⁽⁵⁾. فقد استغل أسبان ذلك وتوجه إلى الدجيل فسيطر عليها وعلى حربي التي اتخذها مقراً له، كما بسط نفوذه على الخالص وطريق خراسان ومهرود وتكريت، وقام بجباية الاموال منها له⁽⁶⁾.

ولم يتخذ الشاه محمد أية اجراءات عسكرية لمواجهة أسبان، وكان يقول لابن عمه ميرزا علي "هذا أخي وما أنازعه في هذا المقدار ..."⁽⁷⁾، ويقول لابنه شاه علي "البلد تكفيني والولاية تكون لأخي"⁽⁸⁾. ولكن شاه علي لم يرتض بهذا الاستسلام لذلك تصدى لعمه أسبان ودخل

(1) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 62.

(2) خراتدمير: المصدر السابق، م3، ص 608، 610.

Savory: op. cit, p. 40.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 248.

(4) المصدر نفسه، ص 140، 249.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 248. وانظر كذلك: المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق2، ص 924.

Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu, p. 274.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 251، 260. الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 71. علي: العراق والغزو قوينلوي، ص 40.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 260.

(8) المصدر نفسه، ص 261.

معه في معركة قرب بعقوبة قتل فيها من الطرفين عدد من الجند دون ان يتمكن احدهما من احراز النصر على الآخر⁽¹⁾.

وقد انشغل الشاه محمد وأولاده بعد هذه الحادثة بالأكل والشرب واللهو⁽²⁾ وأصبحوا لا يتجاسرون على ان يتجاوزوا سور بغداد⁽³⁾، في الوقت الذي كان أسبان يوسع فيه من مناطق نفوذه في العراق تمهيدا للسيطرة على بغداد فقد سيطر على كركوك وداقوق والتون كوبري واربل⁽⁴⁾ كما سيطر على الموصل سنة 833 هـ / 1429 م⁽⁵⁾، وهيت والحلة سنة 835 هـ / 1432 م⁽⁶⁾. وبهذا التوسع يكون أسبان قد جرد الشاه محمد من عناصر قوته، ومنع عنه وصول أية امدادات من المدن العراقية التي كانت تدين بالتبعية له.

عند ذلك قرر دخول بغداد، ولتحقيق هذا الامر يسر ولضمان القبض على الشاه محمد ومصادرة امواله، تظاهر بالتوجه إلى واسط واعمالها ومنها ارسل للشاه محمد من يقول له ان الاعراب قد احاطت بي ولم أقدر على الخروج ادركي⁽⁷⁾ و هو - أي أسبان - عارف ان شاه محمد ليس عنده عسكر لكن ذلك حيلة ومكر⁽⁸⁾. فأرسل الشاه محمد اليه جوابا قال فيه ان ليس لي عسكر ارسله اليك لكن اؤيدك بالهمة⁽⁹⁾. عند ذلك أدرك أسبان ان الشاه محمد غافل عن قصده، فحث خطاه مسرعا من واسط إلى النعمانية فسلمان باك⁽¹⁰⁾، ومنها ارسل اربعين رجلا من جنده على هيئة متصوفة تمكنوا خلسة من اجتياز اسوار بغداد، ومن ثم فتح احد

(1) المصدر نفسه، ص 251.

(2) المصدر نفسه، ص 251، 261.

(3) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص 837. ابن تقي يردى: النجوم الزاهرة، ج4، ص 349.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 262.

(5) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص 837. ابن تقي يردى: النجوم الزاهرة، ج4، ص 348.

(6) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص 866. ابن حجر: انباء الفهر، ج3، ص 481. الصيرفي: تركة

النفوس والأبدان، ج3، ص 231. مجهول، مؤرخ شامي: حوليات دمشق، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة،

1968، ص 26.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 265.

(8) المصدر نفسه والصفحة.

(9) المصدر نفسه والصفحة.

(10) المصدر نفسه والصفحة.

ابواب السور بعد مقتل الموكلين عليه ليدخل منه جند أسبان المدينة⁽¹⁾ وذلك ليلة الخميس ثامن عشر شعبان سنة 836 هـ / 1421م وقد باشروا فوراً بالبحث عن الشاه محمد للقبض عليه ولكنه تمكن مع ابنه شاه بوداق من الهرب عن طريق دجلة إلى الكاظمية فالدجيل ومنها إلى حديثة التي استقبله حاكمها حارث بالاعزاز والاکرام⁽²⁾.
اما عما أصاب بغداد، فالعلوم تشير إلى ان أسبان قد سلب أهلها، ما يمتلكون⁽³⁾، كما استصفى اموال الشاه محمد وأموال رعاياه⁽⁴⁾.

تجدد الصراع ثانية بين أسبان والشاه محمد لمحاولة الشاه استعادة نفوذه ثانية على بغداد، ولتحقيق هذا الهدف اتبع خطة أسبان السابقة في تجريد بغداد من بعض عناصر قوتها عن طريق الاستيلاء على المدن التابعة لها ومن ثم الاستيلاء عليها، فسيطر بمساعدة الشيخ حارث حاكم حديثة على الموصل، ومنها بسط نفوذه على اربل وداقوق وكركوك⁽⁵⁾، فتصدى له أسبان واسترد منه كركوك في 25 شوال سنة 836 هـ / 1432م وقتل حاكمها علي اتابك كما استرد داقوق ومنها خطط لاسترجاع اربل والموصل، ولكن مداهمة المرض له⁽⁶⁾ حال دون تحقيق ذلك، فاضطر إلى الرجوع إلى بغداد⁽⁷⁾، فأتاح بذلك الفرصة للشاه محمد لاسترجاع كركوك وداقوق ثانية ومنها أخذ يعد العدة للسيطرة على بغداد بعد ان أخذ يخرب المناطق الزراعية في حوض نهر دبالى لا سيما المناطق المحيطة ببعقوبة ودرتک لحوان⁽⁸⁾ فاضطر أسبان على الرغم من مرضه التصدي له، وخرج بجيشه إلى حدود خاتقين، وكان الشاه محمد في أثناء ذلك يحاصر

(1) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص899. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص502. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص266. مجهول: حوليات دمشق، ص63. الغياثي: المصدر السابق، ص252، 265-266.

(2) الغياثي: المصدر نفسه، ص252-253، 265-266.

(3) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص918. ابن تفرى بردى: النجوم الزاهرة، ج15، ص45. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص289. مجهول: حوليات دمشق، ص64.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص266-267.

(5) المصدر نفسه، ص253، 267. الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص87-89.

(6) يذكر الغياثي ان أسبان كان معلول الصحة، فعينه كاتنا قبل توليه ولاية بغداد قد أصيبنا بالرمم، كما أنه مصاباً بمرض القولنج، التاريخ الغياثي، ص250، 268، 279.

(7) الغياثي: المصدر نفسه، ص267. الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص88.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص253-254، 267.

قلعة درتلك فعلم بقصد أسبان له، لذلك أرسل قوة عسكره بقيادة ابنه شاه علي ولكن هذه القوة لم تصطدم بأسبان الذي رجع إلى بغداد⁽¹⁾ بعد أن اشتد به المرض.

قصد الشاه محمد شيكان⁽²⁾ بعد تركه درتلك، ويهدف الاستطلاع خرج الشاه محمد من معسكره مع قلة من جنده لتحصن أسوار القلعة بهدف اقتحامها، فخرج على حين غفلة منه أربعين فارساً تمكنوا من قتله وجنده وذلك يوم السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة 837 هـ / 1434م⁽³⁾ وبمقتله حسم الصراع نهائياً لمصلحة أسبان الذي ما لبث أن استرجع سنة 839 هـ / 1436م الكرخيني "كركوك" وأربل والموصل وتلعفر وسنجار⁽⁴⁾. وبعد أن أحكم سيطرته على هذه المناطق وجه اهتمامه نحو مناطق العراق الجنوبية وتمكن سنة 847 هـ / 1444م من احتلال الحوزة وأطراف البصرة⁽⁵⁾، وبذلك يكون أول حاكم قره قوينلوي يستطيع أن يوحد العراق تحت إدارة سياسية واحدة.

3. الصراع بين الوند وأمراء أسبان وتدخل جهانشاه:

توفي أسبان في ذي القعدة سنة 848 هـ / 1444م⁽⁶⁾ وحدث قبل وفاته أن أوصى بالحكم بعده لابن أخيه الوند بن اسكندر بدلاً من ابنه الصغير فولاد، خوفاً من أن يستأثر

(1) المصدر نفسه، ص 254، 268. المزوي: تاريخ العراق، ج 3، ص 88.

(2) شيكان أو شيخان: التسميتان وردتا عند الغياني، انظر: التاريخ الغياني، ص 254، 268. والمصادر للملوكة تذكرها باسم شنكان، انظر: للمقريزي: المصدر السابق، ج 4، ق 2، ص 924. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 15، ص 193. وشيخان: بلدة ما تزال معروفة في أنحاء خاقين. المزوي: تاريخ العراق، ج 3، ص 89.

(3) الغياني: المصدر السابق، ص 254. وباقتضاب ذكر مقتله المقريزي: المصدر السابق، ج 4، ق 2، ص 924. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 15، ص 193. السخاوي: الضوء اللامع، ج 8، ص 292. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 172. وحند الغفاري وصاحب تاريخ قطب شاه مقتله سنة 836 هـ انظر: تاريخ جهان اراء، ص 248.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

(4) الغياني: المصدر السابق، ص 255، 268-271، 272.

(5) للمصدر نفسه، ص 275. الشوشترى: المصدر السابق، ج 2، ص 398-399. كسروي: المرجع السابق، ص 15-16.

(6) الغياني: المصدر السابق، ص 276-277. الغفاري: تاريخ جهان اراء، ص 248. كسروي: المرجع السابق، ص 17.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

جهانشاه بحكم بغداد⁽¹⁾. وكان جهانشاه الذي تولى زعامة القره قوينلو بعد مقتل اسكندر سنة 841 هـ / 1438 م⁽²⁾ يطمع بولاية بغداد⁽³⁾، ولكنه لم يتعرض لها في أثناء حكم أسبان، لأن أسبان كان يمتلك على حد قول الغياثي جيشاً كبيراً⁽⁴⁾ كانت له القدرة على التصدي له أولاً ولاشغال جهانشاه في تثبيت أقدامه في بلاد إيران وأذربيجان وتوسيع مناطق نفوذه في جورجيا ثانياً⁽⁵⁾. الأمر الذي جعله يتغاض مؤقتاً عن بغداد.

وقد تنكر أمراء أسبان لوصية سيدهم، وحالوا دون تسلم الوند الحكم خوفاً من أن يستأثر بالحكم وحده، فقد قالوا 'الوند شخص صعب ونحشى منه إذا تحكم فينا ..'⁽⁶⁾ وبدلاً منه نصبوا فولاذاً مستغلين فرصة غياب الوند عن بغداد في أثناء حدوث وفاة عمه أسبان بقيادة حملة عسكرية في ديار بكر⁽⁷⁾.

ترك الوند ديار بكر حال تلقيه خبر وفاة عمه وتنصيب فولاذ بدلاً منه، وبدأ من كركوك يتجهز لأخذ بغداد بعد أن سيطر على الموصل وأربل والتون كوبري، وكان كبير أمراءه عيسى بيك قد طلب منه عدم الاستعجال في بغداد، بعد أن ضربوا له موعداً بفتح أحد ابواب السور، ونفذوا وعدهم ودخل جهانشاه بغداد نهار يوم الخميس 14 ربيع الأول سنة 850 هـ 1446 م فقبض على شيخه بيك وباقي الأمراء المتعاونين معه بعد أن أبدوا بعض المقاومة، ونفذ فيهم القتل، ثم أمر جهانشاه بنهب المدينة، فنهبت ثلاثة أيام، وقتل خلق كثير⁽⁸⁾. وقد رحل عن بغداد بعد أن عين ابنه محمد ميرزا حاكماً عليها يساعده عبد الله كبر، كما أعطى الوند حكم الموصل⁽⁹⁾، بدلاً من حكم الجانب الغربي من بغداد.

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 279. الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 130.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 287-288. الغفاري: تاريخ جهان را، ص 249.

Sumer: A. g. e, 1, cily, s, 141.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 279. الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 130.

(4) التاريخ الغياثي، ص 280.

(5) Savory: op. cit, p. 40. Romer: op. cit, Vol. 6, pp. 160-164

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 280.

(7) المصدر نفسه والصفحة. الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 130.

(8) المصدر السابق، ص 283-286، 304. الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 133-135.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص 288-305. الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 135.

4. تمرد بير بوداق على سلطة والده جهانشاه:

استقرت احوال بغداد، بعد الكارثة التي أحدثت بها على يد جهانشاه ويعزى سبب استقرارها الى الجهد الكبير الذي بذله الامير عبد الله كبر في تصريف شؤونها، وضبط امنها، وقد امتدحه الغياثي، وقال عنه انه 'كان رجلا عاقلا مجربا، وكان هو الحاكم والمتولي، وما كان لمحمدي غير الاسم. فكان الناس ... مرفهين طيبين'⁽¹⁾ خلال فترة حكمه التي دامت ستين ونصفا⁽²⁾.

عزل جهانشاه ابنه محمدي والامير عبد الله كبر عن ولاية بغداد، وعين بدلا عنهما ابنه الآخر بير بوداق الذي باشر الحكم يوم السبت الحادي عشر من رمضان سنة 852 هـ / 1448م⁽³⁾، وقد واجه بير بوداق بعد مضي ستة اشهر على حكمه اول حركة تمرد، عندما أعلن الوند عصيانه في قلعة فولاذ⁽⁴⁾ وطالب بير بوداق بحكومة بغداد استنادا إلى حقه الشرعي الذي كان قد منحه اياه اسبابان قبل وفاته سنة 848 هـ / 1445م، ولغرض تحقيق الوند لطلبه اتصل بالامارة المشعشعية في الاحواز طالبا العون العسكري منها لاسترداد بغداد فوعده المشعشع بتلبية طلبه، لذلك ترك الوند قلعة فولاذ، وأنضم إلى هذه الامارة. ولم تقلع محاولات بير بوداق في القبض عليه، ومنع اتصالاته بتك الامارة⁽⁵⁾.

وقد ظل الوند مدة طويلة مقيما عند المشعشين منتظرا الفرصة لتحقيق هدفه، لكن المشعشين لم يقدموا له أية مساعدات خوفا⁽⁶⁾ من ان يتقلب عليهم اذا ما حقق اهدافه، فانتابه اليأس، وقرر الحرب، فانتهاز فرصة اضطراب الأحوال في ايران على اثر مقتل محمد باستقر التيموري حاكم فارس في 15 ذي الحجة سنة 855 هـ / 1451م فترك الاحواز وتوجه إلى

(1) التاريخ الغياثي، ص 305.

(2) المصدر نفسه والصفحة. المزوي: تاريخ العراق، ج 3، ص 135.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 305.

(4) قلعة فولاذ: تقع بالقرب من اربل، ينتظر: ابو بكر الطهراني: ديار بكري، بتصحيح واهتمام: مجاتي لوغال وفاروق سومر، انقرم، 1962م، ج 2، ص 457.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 305. شبر، جاسم حسن: تاريخ المشعشين وتراجم اعلامهم، مطبعة الاداب، النجف، 1965م، ص 65. الحللو، علي نعمة: الاحواز 'عربستان' في ادوارها التاريخية، ط 1، دار البصري، بغداد، ص 156.

(6) الجابري، محمد هليل: اماره المشعشين، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، في التاريخ الحديث، 1973م، ص 65. الزبيدي، محمد حسين: اماره المشعشين أقدم اماره عربية في عربستان، ص 45.

شوشتر بعد ان تلقى رسالة من حاكمها التيموري علي ماماش⁽¹⁾ يدعوه لاستلام حكمها، ولكن بير بوداق كان قد سبقه اليها ودخلها في شهر جمادى الثانية سنة 856 هـ / 1452م بعد ان كان قد تلقى من علي ماماش رسالة مماثلة لرسالة الوند ايضا⁽²⁾.

وامام هذا الواقع اضطر الوند الى التوجه إلى ديار بكر حيث كان اخوته يحكمون الموصل⁽³⁾، وتمكن بعد مدة من ان يفرض سلطته على ديار بكر بمساعدة والي سنجار معز الدين ميرزا، ويحقق انتصارا على جيش ارسله جهانشاه للقبض عليه⁽⁴⁾.

استغل الوند فرصة نشوب صراع بين الامير التيموري ميرزا بابر بن بایستقر وجهانشاه الذي استحوذ على بعض مدن بابر، بان انضم هو ومعز الدين إلى ميرزا بابر، فاستقبلهما المذكور في شيراز بالاكرام سنة 856 هـ / 1452م وعين معز الدين حاكما على شيراز واستصحب الوند معه لقتال جهانشاه الذي كان قد احتل اصفهان، وبسبب وقوع حركة تمرد في خراسان، اضطر بابر على ان يغير وجهته من اصفهان إلى خراسان، حيث لعب الوند دورا كبيرا في القضاء على تلك الحركة، فكافاه بابر بأن اعطاه صلاحية حكم اية منطقة يتمكن من تحريرها من سيطرة جهانشاه⁽⁵⁾.

وبوجب هذه الصلاحية اصبح الوند حاكما على اقليمي سجستان وكرمان اللذين حررهما من حكم جهانشاه كما تمكن من تحرير مدينة همدان، ومنها بدأ يؤسس مناطق نفوذه، فدانث له بالسيطرة مدن عدة من بلاد فارس واقليم الجبل⁽⁶⁾. غير ان نجاحاته هذه انهارت بعد صراع دام اربع سنوات مع جهانشاه، وحدث ذلك على اثر تلقي بير بوداق بن جهانشاه الذي

(1) علي ماماش: وردت هذه التسمية عند الغيائي بالشكل الآنف الذكر، وياسم علي مش ايضا. ينظر: التاريخ الغيائي، ص 306.

(2) الغيائي: المصدر السابق، ص 227، 306. ويحتمل ان الرسالة التي أرسلها علي ماماش للوند كانت باتفاق مع بير بوداق لغرض الايقاع بالوند، والا فما هي دوافع علي ماماش على ارسال رسالة إلى بير بوداق يستدعيه أيضا إلى شوشتر اذا لم يكن بينهما اتفاق مسبق على الوند.

(3) يذكر صاحب ديار بكريه، ج1، ص 177 نقلا عن التاريخ الغيائي، ص 305 في الهامش الخامس ان الموصل كانت بأيدي اولاد اسكندر بغويض من جهانشاه.

(4) النغاري: تاريخ جهانشاه، ص 249.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, pp. 66-67.

(5) Ibid., pp. 66-68.

(6) ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 340-341.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, pp. 68.

كان موجوداً في شيراز خبر ترك الوند اهله في قلعة طبق، وتوجهه إلى الجبل، فساق بير بوداق خلفه، وتمكن من قتل الوند عند عين عمار⁽¹⁾، بعد ان تشتت من كان معه من الجند⁽²⁾، وذلك في 22 رمضان سنة 860 هـ / 1456م⁽³⁾، وبذلك يكون بير بوداق قد حسن علاقته مع والده جهانشاه التي سبق ان كانت قد توترت على اثر محاولة بير بوداق احتلال تبريز سنة 854 هـ / 1450م⁽⁴⁾.
 واصل بير بوداق تحقيق المكاسب لجهانشاه، فبجهد وحده او بمساعدة والده اصبحت بلا فارس والجبل واجزاء من خراسان بما فيها هراة تابعة لجهانشاه. لذلك كافاه والده بأن منحه حكم شيراز، فضلاً عن حكم بغداد⁽⁵⁾.

ويدو ان طموح بير بوداق لم يكن يتوقف عند حدود شيراز وبغداد بل كان يمتد إلى تبريز، وهذا ما ألقى جهانشاه الذي استغل حادثة انتراع بير بوداق حكم يزد من نائبه فيها قنبر الخزنجي وفجور احد امرائه بامرأة قنبر وأولاده، ورفض بير بوداق تسليم الفاعل على الرغم من انه قد طلب منه القصاص⁽⁶⁾، فضلاً عن ايوائه معارضيهم ومنهم حسن علي الذي سبق ان تمرد على جهانشاه في اثناء غيابه عن تبريز سنة 862 هـ / 1458م⁽⁷⁾، لتسوية عملية الاقدام على تحجيم نفوذ بير بوداق فطالبه بالتنازل عن بغداد لقاء احتفاظه بشيراز، والا فانه سيهاجم⁽⁸⁾.

وقد تجاهل بير بوداق هذا الطلب والتهديد، فما كان من جهانشاه الا ان قاد حملة باتجاه شيراز، وفضل بير بوداق الانسحاب على المواجهة، ورضي بحكم بغداد⁽⁹⁾ التي دخلها يوم الاثنين 18 ربيع الأول سنة 866 هـ / 1462م⁽¹⁰⁾.

(1) قلعة طبق وعين عمار: لم نجد لهما تعريفات في الكتب البلدية التي بموزنتا، والذي يبدو انهما تقعان في اقليم كرمان لان حادثة مقتل الوند وقعت في هذا الاقليم.

(2) الغيائي: المصدر السابق، ص 312. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 341.

(3) الغيائي: المصدر السابق، ص 312.

(4) المصدر نفسه، ص 306.

(5) المصدر نفسه، ص 307-308، 310، 312، 314-315. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 355.

نظمي زاده: المصدر السابق، ص 174.

(6) الغيائي: المصدر السابق، ص 315. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 356.

(7) Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 296.

(8) الغيائي: المصدر السابق، ص 315.

(9) المصدر نفسه، ص 315-317. السخاوي: الضوء اللمع، ج3، ص 1. البديلي: المصدر السابق، ج2،

ص 101.

تمجد التراع ثانية بين بير بوداق وجهانشاه اثر مطالبة جهانشاه ابنه سنة 869 هـ / 1465م بتوفية التزاماته المالية التي كان قد قطعها لتبريز للعدة من سنة 866 هـ / 1462م وحتى سنة 869 هـ / 1465م على الرغم من امتلاكه اموالا كثيرة⁽²⁾، لذا كان رفضه للدفع سببا لقيادة جهانشاه حملة توجه بها من تبريز إلى بغداد⁽³⁾.

وكان جهانشاه في اثناء استعداداته العسكرية قد اتخذ عدة اجراءات لضمان نجاح العملية وهي:

أولاً: اصدار الاوامر لكافة امرائه وحكام اقاليمه للالتحاق به عند السلطانية التي اتخذها مقرا لتجمع القوات.

ثانياً: ارسال مبعوث عنه إلى حسن الطويل الزعيم الآق قوينلوي لعقد صفقة معه تتمثل بتنازله عن الموصل وسنجار واريل لقاء تعهده بعدم تقديم أي دعم عسكري او غذائي لبير بوداق مع تسليمه له في حال الالتجاء اليه، فوافق الطويل.

ثالثاً: امر احد امرائه بان يتقدم على رأس قوة مهمتها تأمين الاعلاف عن طريق مصادرة المواد الزراعية والارزاق من اطراف بغداد، لحرمان بير بوداق منها⁽⁴⁾.

وفي المقابل اتخذ بير بوداق اجراءات لضمان افشال الحصار منها:

أولاً: السماح لسكان المدينة بمغادرتها، بعد ان صادر مؤنهم ودوابهم لغرض ادامة مقاومة الجند⁽⁵⁾.

ثانياً: ابقاؤه الصفوة من عسكره، وتسريح الباقين وأمرهم بترك بغداد، ويبدو ان اجراءه هذا جاء لأسباب تتعلق بالتموين ولعدم ثقته بجميع عسكره.

ثالثاً: حفره خندقاً حول السور لعاقة المهاجمين⁽¹⁾.

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 317.

(2) يذكر الغياثي ان بير بوداق بعد دخوله بغداد سنة 866 هـ قد انتزع من أهلها (1800) تومان - التومان نقد ايراني من ذهب - كما انه قد حصل على كثر من ذهب في احدى دور بغداد قدر وزنه بـ (700) من - المن التبريزي يساوي 3 كغم تقريبا - عن هذه المعلومات، انظر: التاريخ الغياثي، ص 317-318، والمهامش التحقيقي السادس ص 317 والمهامش العاشر، ص 318. واكد السخاوي عثور بير بوداق على الكثر. ينظر: الضوء اللامع، ج3، ص 2.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 320-321.

(4) ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 371-372.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 320-321. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 372.

وقد وصلت قوات جهانشاه اطراف بغداد نهار الاثنين 14 جمادى الآخر سنة 869 هـ / 1464م فباشرت فور وصولها بمهاجمة سور بغداد لكن جند بير بوداق امطروها بالنبال، فاضطرت إلى الانسحاب⁽²⁾ مكثية بتطويق بغداد من جميع جهاتها لتضييق الحصار عليها⁽³⁾.

ويبدو ان جهانشاه لم يتسرع في اقتحام المدينة، على الرغم من مضي سنة ونصف على الحصار، فالمصادر لا تذكر حدوث اية مناوشات عسكرية بينهما، الامر الذي يجعلنا نقول ان جهانشاه كان يعول كثيرا على نفاذ المؤن التي مستودع بير بوداق إلى الاستسلام، وما يدعم هذا الرأي ان جهانشاه قد امر جنده ببناء اقنية لهم ليحموا فيها انفسهم من مناخ بغداد⁽⁴⁾، لأنه كان يدرك ان تمويله على نفاذ المؤن سيحتاج إلى وقت طويل. وان هذا التمويل سيمكنه من الاحتفاظ بكافة قواته دون خسارة بهدف تسخيرها لمهمة اكبر، الا وهي محاولة اتمام نفوذ الآق قوينلو في ديار بكر.

وقد شعر بير بوداق بان مقاومته شارفت على الانهيار لا سيما بعد اعدامه مجموعة كبيرة من امرائه⁽⁵⁾ الذين كانوا قد تأمروا عليه عندما ضربوا موعدا لجهانشاه لفتح ابواب المدينة لجنده⁽⁶⁾، لذلك ويدافع ضمان حياته عرض على جهانشاه عن طريق الامير عبد الرحمن بخاري ان يسلم المدينة مع كافة الخزائن والاشياء الثمينة لوالده مقابل ان يمنحه خيلا ودواب وجمالا، ويسمح له ولثلاثة فارس من خاصته بالخروج منها، فوافق جهانشاه⁽⁷⁾.

وعلى ضوء هذا الاتفاق فتحت ابواب المدينة، وتسلمها احد امراء جهانشاه، ودخلتها غلة كثير مما اطمع بير بوداق وجماعته الذين كان قد تقرر نفيهم إلى امارة ذولغار، على معاودة التمرد ثانية، فقد قالوا في جلسة شرب⁽⁸⁾ قد اكتفينا - من الغلة - فالآن لمحاصر مرة اخرى⁽⁹⁾ فنقل هذا الكلام لجهانشاه احد ندماء بير بوداق، الامر الذي دفع جهانشاه على ارسال ابنه محمدي ميرزا مع الامير محمد تواجي مع ثلة من الجند، فدخل هؤلاء بغداد خلسة، وتمكنوا من

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 321.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) المصدر نفسه والصفحة. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 371.

(4) ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 372.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 323. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 372.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 322-323. الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 170.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 323. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 372.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص 324.

القاء القبض على بير بوداق وهو غافل، فضربه حمدي ميرزا بالسيف وارداه قتلا وذلك نهار الاحد غرة ذي الحعدة سنة 870 هـ / 1465م⁽¹⁾.

نصب جهانشاه على بغداد بعد دخولها، بير محمد تواجي، فظل هذا حاكما عليها حتى الاجتياح الآق قوينلوي للعراق سنة 872 هـ / 1467م⁽²⁾ وهذا ما ستفصل الحديث عنه لاحقا.

ثانيا: آثار الصراع على السكان:

لقد ترتبت على الصراع الأمري القره قوينلوي آتف الذكر جملة آثار سلبية على السكان، لا سيما سكان المدن، يمكن اجمالها على الشكل الآتي:

1- القتل والنهب والتجويع:

سبب الصراع السياسي لحكام القره قوينلو في العراق مآسي كبيرة للسكان، لا سيما سكان المدن، الذين كانوا هدفا لاية حملة عسكرية قره قوينلوية، فبعد أي حصار او اقتحام لمذنبهم كان يقضي الآف منهم نجه، وكثيرا ما كانت عمليات القتل والاستباحة وما يرافقها من نهب تأتي بفعل قرار مسبق يتخذه الحاكم تجاه المدن التي تقتحم، لا بل احيانا كان الحاكم يفرض على كل جندي من عسكره بان يقتل عددا معلوما من السكان امعانا في الحاق الاذى بهم، ولهذا كان هؤلاء الحكام عرضة لهجوم الكثير من المؤرخين الذين وصفوهم بشئ النعوت السيئة، فالقرنيزي عدهم 'شر عصابة، سلطت على الناس بذنوبهم'⁽³⁾، وقال ابن تغري بردي عن قره يوسف وذريته 'هو كما قالوا وزيادة عليه وعلى ذريته اللعنة ... فانه لم يعلم لا في طواف التركمان ولا في اوياش عساكر جغتاي ولا في جهال التشار او حش مسرية ولا اقيح طريقة ولا أسوء سيرة ولا أضعف دين ولا أعدم مروءة ولا أقل نخوة ولا أبشع خبرا من هؤلاء الزنادقة الكفرة الفسقة اولاد قره يوسف ...'، ولذلك فضل هذا المؤرخ جوار اولاد تيمور على عدل بني قره يوسف⁽⁴⁾.

(1) المصدر نفسه، ص 324-325. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 372-373. وعن مقتله، انظر كذلك: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص 350. السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص 2. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 172.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 327 331 379. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 458-459.

(3) السلوك ج4، ق2، ص 924. وانظر: علي: العراق والغزو القره قوينلو، ص 41.

(4) النجوم الزاهرة، ج4، ص 100، ج15، ص 45-46. وانظر كذلك: الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، ج2، ص 399 ج3، ص 289، 297. الغياثي: المصدر السابق، ص 300-301. السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص 2. الشوكاني: المصدر السابق، ج2، ص 57.

وكانت بغداد بوصفها مركز الولاية أكثر المدن العراقية تضررا على يد هؤلاء الغزاة، بقي أثناء حصار الشاه محمد لها سنة 813 هـ / 1410م حصد السيف خلقا كثيرا من أهلها⁽¹⁾، وبعد دخوله فيها خامس محرم سنة 814 هـ / 1411م أجاز لعسكره نهبها ليوم كامل⁽²⁾ وفي سنة 820 هـ / 1417م صادر سكانها بعد أن استولى على أوقافها⁽³⁾.

وفي سنة 836 هـ / 1433م قام أسبان بعد طرد الشاه محمد منها بـ 'سلب من بها جميع ما بأيديهم، بحيث لم يبق بها من الأسواق سوى حائوتين فقط'⁽⁴⁾. وفي سنة 850 هـ / 1446م وقع جهانشاه بعد انتزاع بغداد من أمراء أسبان 'على كل خيمة من عسكره عشرة رؤوس، فقتلوا مقدار عشرة آلاف وأكثر، وقتل بسبب ذلك من الرعية خلق كثير، وهذه القتل ما كانت أقل من قتل تيمور'⁽⁵⁾. كما نهبت المدينة ثلاثة أيام⁽⁶⁾. وفي أثناء حصار جهانشاه الثاني لبغداد سنة 869 هـ / 1464م عمت المجاعة سكانها، بعد أن نهب غلتها حاكمها بير بوداق لثمسين جندته المحاصرين⁽⁷⁾، وقد وصف لنا السخاوي على لسان شاهد عيان ما أصابها بقوله 'وغلّت الاسعار بسبب الحصار حتى حكي لي بعض من كان في العسكر أن رأس الغنم يبع بما يوازي مائة دينار مصري، والرطل البغدادي بنحو خمسة عشر دينارا.... وأكلت لحوم البغال والحمير الأهلية ونحوها'⁽⁸⁾، وكان عسكر بير بوداق قبل الحصار بأيام قد طال ريف بغداد فـ 'نهبوا وأحرقوا وخربوا ومساقوا الدواب والأنعام وعبروها الجانب الغربي من بغداد'⁽⁹⁾. وبعد اقتحامها سنة 870 هـ / 1465م فعل بها جهانشاه 'أفحش مما فعل - بسكانها - أول مرة'⁽¹⁰⁾ فنهب البلد وقتل خلقا كثيرا⁽¹¹⁾، وعلى حد قول أبي بكر الطهراني فإن عملية القتل طالّت

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 245.

(2) المصدر نفسه، ص 247.

(3) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص 369.

(4) القرطبي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص 896، 991. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص 267.

مجهول: حوليات دمشق، ص 64.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 286.

(6) المصدر نفسه والصفحة.

(7) المصدر نفسه، ص 321.

(8) الضوء اللامع، ج3، ص 2.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص 320.

(10) المصدر نفسه، ص 325.

(11) المصدر نفسه، ص 291، 325. وانظر كذلك: ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج3، ص 592.

معظم سكان بغداد بحيث ... غدا الذبح والنهب ديدن القوم وسط عويل النساء⁽¹⁾. ولم يشذ عن قاعدة القتل آخر حكام بغداد شاه منصور ابن زينل الذي قتل أناسا كثيرين دون ذنب خلال مدة حكمه القصيرة⁽²⁾.

والواقع ان عمليات النهب والفتك بسكان بغداد لم تنحصر في ايام الحصار والاحتحام، بل كانت تقع احيانا في ظل ظروف طبيعية كما حدث عندما قام بير بوداق سنة 866 هـ / 1462م بمصادرة سكانها ورمى عليهم الفاً وثمانمائة تومان ووقع - بسبب ذلك - ضرب وعقوبة وتعذيب لا يعلمه الا الله⁽³⁾ وهناك من يذكر ان بير بوداق فعل ذلك بعد ان انتابه الضجر لفشله في الاحتفاظ بشيراز لذا صب جام غضبه على سكان بغداد⁽⁴⁾.

واذا ما انتقلنا إلى باقي المدن العراقية، نجد ان هذه المدن قد اصابها ما اصاب بغداد، فقد تعرضت الحلة سنة 835 هـ / 1432م للمجاعة والموت بفعل حصار أسبان لها فوقع الجوع فيهم حتى أكلوا الكلاب والسنانير وبلغ تغار⁽⁵⁾ الحنطة اذ خبز ان ذاك باثني عشر الف دينار، ونفذت الدواب والحمير حتى كاد الناس يأكلون بعضهم بعضاً⁽⁶⁾. ويفعل الصراع بين الشاه محمد وأسبان على بغداد تعرض الكثير من المدن الواقعة شرقي دجلة وشمال بغداد لعمليات التخريب والنهب والقتل والقحط⁽⁷⁾. وعندما عزم أسبان على أخذ اربل سنة 839 هـ / 1436م عمد حاكم هذه المدينة ميرزا علي بن اخ قره يوسف إلى نهب المدينة وتخريبها واجبار اهلها على التحصن بالقلعة، فما كان من أسبان الذي عجز عن اخذها بعد حصار دام أكثر من سنة، الا ان دس السم في آبار القلعة فوقع الموت فيهم وازرقت جلودهم وتنت أفواههم⁽⁸⁾.

(1) ديار بكري، ج2، ص373.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص334.

(3) المصدر نفسه، ص317.

(4) ميرخواند: روضة الصفا، ج6، ص854، نقلًا عن التاريخ الغياثي، الهامش التحقيقي السابع، ص317.

(5) التغار: يساوي حل دابة وقد حدد عيابه منذ بداية القرن الثامن الهجري بـ (100) من تبريزي. انظر: قالت:

الكايل والاوزان الاسلامية، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ص60.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص263. وانظر كذلك: مجهول: حوليات دمشق، ص23.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص253-254، 267-268.

(8) المصدر نفسه، ص268-269.

وشهدت مدن واسط والحلة والنجف وكربلاء والمدائن وبعقوبة ومهرود القتل والنهب والتجويع بفعل الهجمات والمضادة للمشعشين والقره قوينلو⁽¹⁾.
2- تشريد السكان:

لم تقتصر الكارثة التي حلت بالعراق على يد حاكم القره قوينلو على عمليات القتل والنهب، بل صاحبها في كثير من الاحيان عمليات تشريد جماعية للسكان على نحو منظم او غير منظم، وقد أسهب بعض المؤرخين في وصف الحالة التي آلت اليها بعض المدن العراقية بفعل هذا التشريد الذي حدث اثر الصراع بين الشاه عماد وأسبان، فالمقريري يذكر بخلو أحد جاني بغداد من السكان، وزال عن بغداد اسم التمدن، ورحل عنها حتى الحياك⁽²⁾، كما انه ينقل لنا على لسان شاهد عيان الحالة التي آلت اليها بغداد سنة 837 هـ / 1434م فيقول ان أسبان فعل افعالا شنيعة فظيعة منها انه لما اخذ بغداد من اخيه شاه عماد بن قره يوسف امر بأخراج جميع من ببغداد من الناس بعيالاتهم واخذ كل ما لهم من جليل وحقير، فنشتوا بنسائهم واولادهم في نواحي الدنيا، وصارت بغداد وليس بها سوى الف رجل من جند أصبهان، لا غير، وليس بها الا ثلاثة أفران تحبز الخبز فقط، ولم يبق بها سكان ولا اسواق⁽³⁾. وقد علل ابن تغري بردي دوافع أسبان في تشريد سكان بغداد عنها كي لا يبقى لأخيه اسكندر ولا غيره طمع فيها⁽⁴⁾.

وفي عهد بير بوداق شهدت بغداد حركة هجرة اجنية اليها كان القصد منها طمس معالمها العربية باحلال عناصر فارسية محل سكانها العرب، وحدث هذا عندما استقدم بير بوداق سنة 856 هـ / 1452م أكابر أصفهان واسكنهم بغداد، وتكررت الحالة سنة 866 هـ /

(1) المصدر نفسه، ص 274، 308-311. الشوشري: المصدر السابق، ج2، ص 397-399. كسروي: المرجع السابق، ص 10-16.

(2) السلوك: ج6، ق2، ص 837، 899، 991.

(3) المصدر نفسه، ج6، ق2، ص 917-918. وقد ذكر هذه الرواية ايضا ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص 44-45. والصيرفي: تزه النفوس والأبدان، ج3، ص 289.

(4) النجوم الزاهرة، ج15، ص 45.

1461م ولكن على نطاق أوسع حيث جمع يير بوداق جماعة عظيمة من اهل شيراز وأسكنهم بغداد⁽¹⁾، بقصد طمس معالمها العربية ومزاحمة سكانها الاصليين الذي اضطر الكثير منهم إلى الجلاء عنها مرغمين إلى تبريز سنة 869 هـ / 1464م، وفي سنة 873 هـ / 1467م تعرض ريف بغداد إلى أكبر عملية جلاء عندما عمد حسن الطويل بعد فشله اخذ بغداد إلى تهجير سكان قراها فلم يترك نفسا واحدة رحلهم إلى بلاده ديار بكر، وأسكنهم في تلك الارض ومات منهم خلق كثير⁽²⁾.

وشهدت باقي المدن وأريافها عمليات تشريد جماعية، فقد اضطرت بفعل الصراع القره القوينلوي المشعشي عشرين ألف عائلة ان تترك مساكنها في جنوب العراق إلى واسط طلبا للأمان⁽³⁾، واضطر سكان معظم القرى الممتدة على نهر دجلة جنوب واسط وحتى البصرة على ترك مواطنهم بفعل حركة جيوش القره قوينلو والمشعشين على مناطقهم سنة 844 هـ / 1440م و 845 هـ / 1441م و 847 هـ / 1443م⁽⁴⁾، وفي سنة 847 هـ / 1443م، أيضا أجلى أسبان جميع سكان الحوزة مرغمين إلى بغداد فمات في الطريق الكثير منهم جوعا وعطشا⁽⁵⁾. وبفعل هذا الصراع أيضا ترك سنة 857 هـ / 1453م جميع اهل واسط مدينتهم والتجأوا إلى البصرة⁽⁶⁾، وفي ذي العقدة سنة 857 هـ / 1453م وأثر انكسار عسكر القره قوينلو على يد المشعشين عند التنجف جفل اهل الحلة، فتركوا مدينتهم بحيث من "قدر على مركوب ركب

(1) الغياني: المصدر السابق، ص 307، 317. وانظر: العاني: المجتمع والسلوك الجمعي للسكان في العراق في

عهد القره قوينلو، (بحث غير منشور)، ص 7.

(2) الغياني: المصدر السابق، ص 380.

(3) المصدر نفسه، ص 374.

(4) الشوشتری: المصدر السابق، ج 2، ص 396-399. كسروي: المرجع السابق، ص 10-16.

(5) الغياني: المصدر السابق، ص 275-276.

(6) الشوشتری: المصدر السابق، ج 2، ص 399. كسروي: المرجع السابق، ص 18.

والباقي رجاله، الرجال والنساء والاطفال بحيث هلك منهم خلق كثير بعضهم من التزاحم على العبور من شط الحلة، وبعضهم في الطريق من التعب والجوع والعطش...⁽¹⁾.

وإذا كانت مدن العراق الجنوبية والوسطى قد عانت ما عانت بسبب الصراع القريه قوينلوي المشعشي نجد ان مدن العراق الشمالية كانت معاناتها على يد القريه قوينلوي دون غيرهم، فلموصل أصبحت بعد انتزاع أسبان حكمها من الشاه محمد... يبابا، فانه سلب نعم اهلها وأمر بهم، فأخرجوا وتمزقوا في البلاد. واستولى عليها - البدو - فصارت الموصل منازل - البدو - بعد التمدن الذي بلغ الغاية في الترف ... وصار من اهل هذه البلاد إلى الشام ومصر خلائق لا تعد ولا تحصى⁽²⁾.

وتذكر بعض المصادر المملوكية انه بفعل حدوث خلاف بين أسبان وحاكم هيت اضطر الحاكم مع (600) شخص من اتباعه، وجمع غفير من اهل المدينة إلى الجلاء عنها فارين من أسبان، فلقبهم عرب البادية فاستلبوهم وقتلوا وأسروا اعدادا كبيرة منهم⁽³⁾.

3. انتشار الأمراض والأوبئة:

لاشك ان هناك ارتباطا وثيقا بين المستوى الاقتصادي وانتشار الأمراض والأوبئة، فكلما كان ثمة رخاء اقتصادي قلت او انعدمت الأمراض والأوبئة، والعكس صحيح، ولما كان العراق في هذه الحقبة قد أصابه تحلف اقتصادي كبير بفعل الفوضى السياسية، وما رافق ذلك من كوارث طبيعية⁽⁴⁾، فان من المنطق ان تنتشر فيه الأمراض والأوبئة التي حصدت آلافا

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 308-309.

(2) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص 918. ابن تفرى يردى: النجوم الزاهرة، ج15، ص 45.

(3) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص 866. الصيرفي: نزعة الغفوس والأبدان، ج3، ص 231-232. مجهول: حوليات دمشق، ص 26.

(4) عن الكوارث الطبيعية التي أصابت العراق كالزلازل والفيضانات والأفات الزراعية بسبب الجراد وسنوت حدوثها، انظر: ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص 470. العمري: منية الأديباء، ص 173. غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، دار منشورات المصري، بغداد، 1968م، ص 318.

مؤلفة من مكانه بين فترة وأخرى، ولعل أسوء هذه الامراض والأوبئة الفتاكة تمثلت بالطاعون او كما يسمى في أوروبا بالموت الأسود⁽¹⁾.

سنة 819 هـ / 1416م داهم هذا المرض العراق⁽²⁾، وخلت بعض مدنه كبغداد من سكانها⁽³⁾، وفي سنة 828 هـ / 1425م وقع الطاعون في الموصل والجزيرة⁽⁴⁾، وفي سنة 834 هـ / 1431م عم هذا المرض بلاد المشرق حتى ان الموصل فني غالب أهلها⁽⁵⁾، وفي سنة 835 هـ / 1432م ونتيجة للحرب التي وقعت بين اسكندر بن قره يوسف وشاهرخ التيموري فشا هذا المرض في تبريز وامتد إلى بغداد ثم إلى ديار بكر⁽⁶⁾، وفي سنة 838 هـ / 1475م أصيبت به شهر زور واربل وكركوك⁽⁷⁾. وعاود انتشاره في سنة 840 هـ / 1437م ليشمل جميع بلاد ديار بكر⁽⁸⁾، ونتيجة للفيضانات الكبرى التي اجتاحت البصرة سنة 840 هـ / 1437م فكتت بأهلها امراض عدة⁽⁹⁾، اذ كان يموت في اليوم الواحد اكثر من ثلاثمائة نفس⁽¹⁰⁾. وفي سنة 841 هـ / 1438م وقع وباء عام في العراق وان حاكمها أسبان وعسكره تركها متقلا حول اطرافها⁽¹¹⁾.

(1) أشتور: المرجع السابق، ص 357.

(2) المزوي: تاريخ العراق، ج 2، ص 42. آل ياسين، الشيخ محمد حسن: لمحات من تاريخ الكاظمية، مطبعة المعارف، بغداد، 1970م، ص 17.

(3) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج 3، ص 363. العمري: غاية المرام، ص 318.

(4) المزوي: تاريخ العراق، ج 2، ص 72.

(5) مجهول: حوليات دمشق، ص 6.

(6) المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ق 2، ص 864. ابن حجر: انباء الغمر، ج 3، ص 470، 481. مجهول: حوليات دمشق، ص 13. أشتور: المرجع السابق، ص 357.

(7) المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ق 2، ص 1013. العمري: مئة الأدباء، ص 173.

(8) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج 3، ص 387.

(9) أشتور: المرجع السابق، ص 357.

(10) المزوي: تاريخ العراق، ج 2، ص 98.

(11) الغياني: المصدر السابق، ص 270.

ولم يعد اليها بعد ان فرغ الموت منها⁽¹⁾. وان حثيئة لم يبق فيها الا سبع أنفوس حتى ان حاكمها رحل عنها ولكن المرض لم يتركه فمات في الطريق⁽²⁾، وكذلك اصاب الطاعون عانة فاجلاها واخلأها بحيث لم يتأخر بها احد⁽³⁾. ثم شاع ليشمل 'ازقاق التركمان وبيوت العربان بنواحي القرات حتى صار الفريق من العرب او الزوق من التركمان ليس به انسان، ودوابهم مهجلة لا راعي لها⁽⁴⁾.

وعاد المرض ثانية بعد بضع سنوات ليحصد حوالي عشرين الف عائلة من اطراف واسط⁽⁵⁾. ثم مالبت ان انحصر ليعاود ظهوره في سنة 860 هـ / 1456م ليصيب الموصل⁽⁶⁾، وسنة 874 هـ / 1469م ليصيب بغداد وتكريت وشهر زور واريل والموصل، الا ان قوة تأثيره كانت في بغداد اكثر فقد كان يموت في اليوم الواحد من سكانها زهاء (1500) شخص⁽⁷⁾.

والواقع ان هذا المرض الذي وصف اعراضه ابن تغري بردي⁽⁸⁾ لم يكن المرض الوحيد الذي كان يفتك بالسكان، بل كانت هناك امراض اخرى، الا انها اقل تأثيرا منه، ومنها مرض الجدري، وهناك من أشار إلى طرق انتشاره بأساليب علاجه⁽⁹⁾، وعن أصيب به في هذا العهد العالم الفقيه العراقي احمد بن رمضان بن عبد الله الشهاب المولود سنة 808 هـ / 1405م⁽¹⁰⁾.

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص407.

(4) المقرئ: المصدر السابق، ج2، ص1035. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص407.

(5) النبائي: المصدر السابق، ص274.

(6) العمري: منية الأديباء، ص173.

(7) المصدر نفسه، ص318. أشتور: المرجع السابق، ص357.

(8) انظر: النجوم الزاهرة، ج10، ص298.

(9) اسماعيل: احمد جردت: تاريخ جودت، ترجمة عن التركية: عبد القادر أفندي، مطبعة جريدة بيروت، 1308

هـ م، ص260-261.

(10) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص302-303.

ومرض القولنج الذي كان حاكم بغداد أسبان مصابا به وتوفي بفعله سنة 848 هـ 1445م⁽¹⁾. وهذا المرض معد مؤلم يعصر معه خروج الثقل والريح⁽²⁾. ومرض حمى الدق التدرن الرئوي أو السل والمصاب به تضعف بنيته تدريجيا بفعل الحمى التي تدوم طويلا، ومرض الاستسقاء والمصاب به يتفخ بطنه ويتمدد، وإذا ضرب يخفه سمع منه صوت شبيه بصوت الطبل، وكان هذا المرض يفتك بالسكان⁽³⁾، شأنه شأن مرض الكوليرا الذي كان كذلك متشرا بين السكان، أما الملاريا فيبدو انه كان متشرا في العراق لكثرة الاهوار والمستنقعات حيث البعوض في هذه المناطق وبوساطته ينتشر المرض⁽⁴⁾.

(1) النجاشي: المصدر السابق، ص 279.

(2) الخوارزمي: محمد بن احمد بن يوسف: مفاتيح العلوم، دار النهضة العربية، ص 133. البستاني، بطرس: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م، ص 763.

(3) علي، علي شاكز: الأوبئة والأمراض في الموصل خلال القرن الخامس عشر الميلادي، بحث مقدم إلى ندوة أطباء الموصل في التاريخ العربي الاسلامي والتي عقدت بتاريخ 5-6 / ايار / 1990م، ص 6.

4 (Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 91.

الفصل الرابع

علاقات القره قوينلو السياسية

أولاً : العلاقات السياسية مع الإمارات المحلية :

- 1- مع إمارة آل فضل.
- 2- مع إمارة المشعشين.

ثانياً : العلاقات السياسية الخارجية مع القوى المجاورة للعراق :

- 1- مع الإمارة الآق قوينلوية.
- 2- مع الدولة المملوكية.
- 3- مع الإمارة الجلائرية.

الفصل الرابع علاقات القره قوينلو السياسية

أولاً: العلاقات السياسية مع الامارات المحلية:

١- مع امانة آل فضل:

آل فضل أكبر بطون قبيلة آل ربيعة الطائية القحطانية^(١)، كانت منازلهم في حوران من اعمل دمشق^(٢). برز دورهم السياسي منذ الربع الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، اثر تولي ربيعة بن حازم بن علي الطائي زعامة الامارة الطائية في بلاد الشام^(٣). ومن ربيعة اشتهر مرا بن ربيعة، وفضل بن ربيعة. وبسبب مزاحمة آل مرا ليست آل فضل على الموارد المحدودة في منطقة استيطانهم، اضطر آل فضل إلى الانتقال من حوران إلى اطراف حمص وحماة^(٤)، ومنها وسعوا مناطق نفوذهم لتمتد من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرجة، آخذين على شرقي الفرات واطراف العراق، حتى ينتهي حدهم قبله بشرق إلى الوشم، آخذين يسارا إلى البصرة^(٥).

ومن هذا الامتداد الجغرافي الذي يتحكم بطرق المواصلات التي تربط العراق ببلاد الشام بدأ آل فضل في مقاومة المغول، فقد كانوا قوة الصدد الاولى للمماليك امام غارات المغول المتكررة على بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، كما أنهم اشتركوا مع الجيش المملوكي في العمليات التي استهدفت تحرير العراق^(٦). وإذا كان هذا الدور قد تغيب في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي بسبب اتفاقية الصلح بين المغول والمماليك سنة 723 هـ / 1323 م وما أعقبها من علاقات حسنة بين المماليك والجلاترين، فانه تجدد في نهاية هذا القرن، اثر تفاقم الصراع بين التيموريين - الذين غزوا العراق سنة 795 هـ / 1392 م - والجلاترين والقره قوينلو ودخول المماليك طرفا فيه.

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج١، ص 436. القلقشندي: قلائد الجمان، ص 73، 76. ابن تقي بردي:

النهل الصافي، ج2، ص 226.

(2) ابن تقي بردي: المصدر نفسه والصفحة.

(3) الحيارى، مصطفى: الامارة الطائية في بلاد الشام، عمان، 1977م، ص 61.

(4) ابن تقي بردي: النهل الصافي، ج2، ص 226. الحيارى: المرجع السابق، ص 62.

(5) القلقشندي: قلائد الجمان، ص 76.

(6) الحيارى: المرجع السابق، ص 90-91. محمد: العراق في السياسة المملوكية، ص 42-43، 85.

وإذا كان آل فضل قد التزموا جانب الجلائريين⁽¹⁾ حلفاء الماليك في هذا الصراع واشتركوا معهم في استرداد بغداد وطرد التيموريين منها سنة 796 هـ / 1313 م⁽²⁾، فإن موقفهم من القره قوينلو لم يتحدد إلا بعد انقلاب قره يوسف على حليفه السلطان احمد الجلائري وانتزاع بغداد منه سنة 806 هـ / 1403 م الامر الذي دفع آل فضل حلفاء السلطان احمد الجلائري إلى عدم الترحيب بقره يوسف حين هرب من بغداد اليهم بعد انكساره على يد التيموريين سنة 806 هـ / 1403 م وتعرضوا له ونهبوا ممتلكاته⁽³⁾ فما كان من قره يوسف الذي التجأ إلى دمشق، إلا ان وافق على الاشتراك مع شيخ الحمودي نائب دمشق - الذي كان قد تمرد على السلطان المملوكي - في الهجوم عليهم سنة 807 هـ / 1404 م⁽⁴⁾.

توالى الصراع بين القره قوينلو وآل فضل بعد هذه الأحداث، إذ ما لبث قره يوسف بعد ان ثبت ابنه الشاه محمد اقامه في بغداد سنة 814 هـ / 1411 م ان قاد حملة عسكرية كسر بها عسكر امير آل فضل عجل بن نعيم وانتزع منه حكم مدينتي عانة⁽⁵⁾ وهيت⁽⁶⁾.

ولكن آل فضل لم يستسلموا لهذه الخسارة، فقد عوضوها بالسيطرة على حديثة⁽⁷⁾، كما ان اميرهم عزرا بن علي بن نعيم مد نفوذه على الحلة، وحصل ذلك اثر خلاف وقع بين عرب ربيعة هناك بسبب خلو المدينة من حاكم سلطاني وذي شوكة مجتمع⁽⁸⁾. وكان تاريخ دخولهم

(1) كانت العلاقة بين آل فضل والجلائريين قد تحسنت منذ ان فرض الشيخ حسن الجلائري امر اعراب العراق على اميرهم حيار بن مهنا. انظر: العاني: المرجع السابق، ص 103.

(2) يذكر ابن الفرات ضمن حوادث سنة 796 هـ ان ابن نعيم وصل القاهرة واخبر السلطان المملوكي بان والده الذي كان اميرا لآل فضل قد استرد بغداد من التيموريين. انظر: تاريخ ابن الفرات، ج 9، ق 2، ص 378. ولما كان باقي المصادر لا يشير إلى هذه الحادثة لذلك يبدو ان ما ذكره ابن الفرات لا يخرج عن نطاق اشتراك نعيم مع السلطان احمد الجلائري في استرداد بغداد في هذه السنة، وما يدعم هذا الرأي ان المغربي يشير إلى اسهام العربان مع عسكر السلطان احمد في استرداد بغداد، وربما قصد بالعربان آل فضل لان طريق عودته من القاهرة إلى بغداد كانت عبر اراضيهم. انظر: السلوك، ج 2، ق 2، ص 817.

(3) المغربي: المصدر نفسه، ج 2، ص 1118. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 301.

(4) المغربي: المصدر نفسه، ج 2، ص 1173. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 324.

(5) المغربي: المصدر نفسه، ج 1، ص 181.

(6) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 93.

(7) المغربي: المصدر نفسه، ج 1، ص 181. سعيد فرحان احمد: آل ربيعة الطائيون، ط 1، الدائر العربية للموسوعات، 1983 م، ص 159.

(8) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 138.

هو ما حدث فعلا فقد هاجم الحويزة وقض على حامية أسبان فيها⁽¹⁾، كما كتب إلى غاثم بن يحيى حاكم البصرة يحثه على محاربة أسبان من جهته بينما يقوم هو بالاجهاز عليه من جهة أخرى، ولكن أسبان كشف أمر هذه المكاتبه بعد ان كان قد وصل قرية الزكية القريبة من البصرة⁽²⁾، فعدل عن خطته في مهاجمة البصرة وقفل عائدا إلى بغداد عن طريق الزكية - مشهد علي' النجف' بغداد. ويصف الغياثي هذا الطريق بأنه صعب وطويل تقل فيه المواد الغذائية والمياه، فوقع بسبب ذلك في عسكر أسبان الجوع والعطش ومات خلق كثير من مهجري الحويزة الذين كانوا معه⁽³⁾. ويبدو ان الهدف الذي دفعه إلى اتخاذ هذا الطريق دون غيره من الطرق التي تربط البصرة ببغداد⁽⁴⁾ هو التموه على المشعشين كي لا يتعرض لغارة مفاجئة منهم، لان هذا الطريق قلما تطرقه القوافل او حركة الجيوش لصعوبته.

ولم يترك المشعشعون أسبان دون تكييده بعض الحساثر على الرغم من انه نجح في الوصول إلى بغداد في جمادى الآخرة سنة 848 هـ / 1444م⁽⁵⁾، فالمعلومات تشير ان محمد بن فلاح هاجم قوارب التموين التابعة لأسبان، واستولى عليها بعد ان قتل القائمين على حمايتها، كما تتبع من تخلف من عسكر أسبان واجهز عليهم، ولم يكتف بذلك فحسب بل حاصر الحامية القره قوينلوية في قلعة بندوان لمدة ثلاثة أيام، لكنه لم يتمكن من فتحها، فتركها وتوجه نحو مضارب بعض القبائل العربية حول واسط، فدانت له بالولاء قبائل عباده وبنو ليث وبنو خريط وبنو سعد وبنو أسد⁽⁶⁾.

وبعد هذه الاحداث ساد الهدوء جبهة الصراع لانشغال امراء القره قوينلو في الصراع على حكومة بغداد عقب وفاة أسبان سنة 848 هـ / 1444م، وانشغال محمد بن فلاح في تثبيت اقدمه في وسط وجنوب العراق، فدانت له البصرة والراحية وجهات البحر والغراف بالولاء

(1) الشوشترى: المصدر السابق، ج2، ص399. كسروي: المرجع السابق، ص16.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص276، والمهامش التحقيقي الثاني من الصفحة نفسها.

(3) التاريخ الغياثي، ص276.

(4) عن الطرق التي تربط ببغداد بالبصرة، انظر: مبحث طرق المواصلات.

(5) اعتمدنا في تحديد الشهر الذي وصل فيه أسبان إلى بغداد على سنة وفاته التي حدثت في ذي القعدة سنة 848 هـ والغياثي يذكر ان أسبان توفي بعد ستة شهور من وصوله إليها، وبما ان وفاته قد حدثت في ذي القعدة فهذا يعني ان وصوله كان في شهر جمادى الآخرة قبل ستة شهور من وفاته. عن تاريخ وفاة أسبان، انظر: التاريخ الغياثي، ص276-277. والمهامش التحقيقي التاسع، ص276.

(6) الشوشترى: المصدر السابق، ج2، ص399. كسروي: المرجع السابق، ص16. زبيدي: المرجع السابق،

فضلا عن توسعته في منطقة الاحواز⁽¹⁾، وبعد ان ترسخت اقدامه في هذه المناطق تحجرا محمد بن فلاح من جديد على الهجوم على مناطق نفوذ القره قوينلو في العراق مستغلا فرصة انشغال بير بوداق حاكم بغداد بشيت نفوذه في شيراز، فأرسل ابنه المولى عليا على رأس قوة مشعشعية كبيرة إلى واسط فحاصرها بعد ان قطع نخلها، فحلت الجماعة باهلها الامر الذي اضطر حاكمها القره قوينلوي على اخلائها بعد ان خربها، فاستولى عليها المولى علي وعين عليها حاكما يقال له دراج⁽²⁾. ومن واسط هاجم مدينة النجف واستولى على كنوز مشهد الامام علي (عليه السلام)⁽³⁾، ومنها هاجم مدينة الحلة فانتزعها من حكم القره قوينلوي وذلك سنة 857 هـ / 1454م بعد ان كبد العسكر القره قوينلوي الذي كان يقوده دوه بيك ويسطام بيك اللذان هربا إلى بغداد⁽⁴⁾. وبعد ثمانية عشر يوما من الاقامة في الحلة التي نهبت هاجم المولى علي النجف ثانية يوم الاحد 23 ذي القعدة ومدينة كربلاء كذلك فنهب كنوز مشهدها الغرى والحائري بعد ان قتل المقيمين عليهما⁽⁵⁾.

وقد اثارت المكاسب التي حققها المولى علي غواف بير بوداق الذي كان موجودا في شيراز من ان تسقط بغداد بيد المشعشين، لذلك ارسل من شيراز قوة من عسكره بقيادة الامير سيدي علي لحماية بغداد، فوصلت القوة في 3 ربيع الأول سنة 858 هـ / 1454م وأعقبها بقوة أخرى وصلت بغداد في 2 جمادى الأولى سنة 859 هـ / 1455م ومنها توجهت قوة بقيادة سيدي علي إلى الحلة فدخلها يوم السبت 18 شعبان سنة 859 هـ / 1455م وعمر قلعتها وسوقها اللذين كان المولى علي قد خربهما⁽⁶⁾.

ولم ترهب تعزيزات بير بوداق العسكرية المولى علي الذي قادته جراته على مهاجمة اطراف بغداد وذلك في 20 جمادى الثانية سنة 860 هـ / 1456م، فنهب وقتل وسبى الذراري في مهرود وطريق خراسان ويعقوبة والمذائن، فتصدى له عسكر بغداد بقيادة عمر سورغان الذي تمكن المولى علي من قتله وتشتيت عسكره⁽⁷⁾.

(1) الشوشتری: المصدر السابق، ج2، ص399. الحلو: المرجع السابق، ص159-160.

(2) الشوشتری: المصدر السابق، ج2، ص399. كسروي: المرجع السابق، ص18.

(3) الفياثي: المصدر السابق، ص308. كسروي: المرجع السابق، ص18.

(4) الفياثي: المصدر السابق، ص309.

(5) المصدر نفسه، ص309-310.

(6) المصدر نفسه، ص310-311.

(7) المصدر نفسه، ص311.

أغرت هذه النجاحات المولى علي على ما يبدو بدخول بغداد الا ان تلقيه خبر قدوم
عسكر ضخام ارسله جهانشاه بقيادة الامير علي شكر للتصدي له حال دون تحقيق هدفه هذا
فانسحب إلى الحويزة⁽¹⁾.

ويلاحظ ان هجمات المشعشين هذه لم تكن بقصد الاستقرار في المدن التي دخلوها
باستثناء واسط التي عينوا حاكما عليها، وانما هدفهم منها كان حركات القره قوينلو من موارد
تلك المدن لاضعافهم ومن ثم الاجهاز على قواتهم لان ثورات تلك المدن كانت مسخرة للقره
قوينلو، كما ان عدم استقرارهم يرجع ايضا إلى عدم رغبتهم في تشتيت قواتهم لحماية تلك
المدن، لانهم كانوا بحاجة إلى قوات كبيرة جاهزة ليس لمواجهة القره قوينلو فحسب بل
التيموريين الذين كانت لهم اطماع في الاحواز ولا سيما الحويزة التي كان للمشعشين قد
انزعجوها منهم كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ومع ذلك نجد ان معظم مدن وسط العراق بقيت
خارج النفوذ القره قوينلوي باستثناء الحلّة، وهذا يعني من الناحية النظرية بقاء هذه المناطق
ضمن دائرة النفوذ المشعشي. اما مدن جنوب العراق فجميعها دخلت النفوذ المشعشي بما
فيها البصرة.

وجد المولى علي ان الجهد العسكري الذي بذله في العراق لم يضعف كثيرا حكومة بير
بوداق التي كانت قد اتخذت من شيراز مقرا لها بدلا من بغداد، لذا أدرك على ما يبدو ان
استهداف شيراز والقضاء على قوة بير بوداق فيها سيمهد له السيل لتحرير العراق، فاستغل
فرصة انشغال بير بوداق في صراعه مع ابن عمه الوند فاستهدف شيراز سنة 860 هـ / 1455م
فاستولى على بهبهان⁽²⁾ وكرستان واكثر توابع شيراز، لكنه لم يتمكن من مواصلة تقدمه نحو
شيراز لاصابته بسهم احد الموالين لبير بوداق فلزم الفراش⁽³⁾. فارتبك عسكره الذي دخل في
معركة مع عسكر بير بوداق بالقرب من بهبهان انتهت بهزيمة المشعشين الذي لاذوا بالفرار إلى
الحويزة وقبض على المولى علي وقطع رأسه وأرسل إلى جهانشاه وذلك سنة 861 هـ / 1456م⁽⁴⁾.
حاول بير بوداق استثمار هذا النصر في اثناء النفوذ المشعشي في العراق، فأرسل قوة
من عسكره بقيادة الامير ناصر بن فرج العبادي الذي انضمت اليه قوات بغداد، فوجه بها إلى

(1) المصدر نفسه والصفحة. الشوشري: للمصدر السابق، ج2، ص399.

(2) بهبهان: مدينة حديثة أنشئت في النصف الأخير من القرن الثامن الهجري على اتقاض مدينة اوجان الواقعة
جنوب نهر طاب في اقليم عربستان. لسترنج: المرجع السابق، ص305-306.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص312-313. الشوشري: للمصدر السابق، ج2، ص399. كسروي: المرجع
السابق، ص19.

(4) الغياثي: المرجع السابق، ص313-314.

واسط لاتزاعها من المشعشين، فتصدى له محمد بن فلاح وأباد تلك القوة أواخر سنة 861 هـ / 1456م⁽¹⁾.

توفي محمد بن فلاح سنة 866 هـ / 1461م فخلفه على الإمارة ابنه الأمير محسن⁽²⁾ الذي توسع نفوذه ليشمل اطراف بغداد⁽³⁾. فأخاف توسعه جهانشاه الذي أرسل في اعقاب انتزاعه بغداد وقتله بير بوداق سنة 870 هـ / 1465م جيشا كبيرا لتقويض النفوذ المشعشي في العراق واحتلال البصرة⁽⁴⁾. والمصادر لا تسعفنا بمعلومات عن نتائج هذه الحملة، ولكن يبدو انها اخفقت في تحقيق اهدافها بدليل ان المشعشين استولوا على الحلة بعد حملة جهانشاه مباشرة فبقيت تحت نفوذهم حتى الاحتلال الآق قوينلوي للعراق سنة 874 هـ / 1469م⁽⁵⁾. وبذلك يكون المشعشين كأقرانهم آل فضل قد اسهموا بدور كبير في تحجيم النفوذ القره قوينلوي في العراق وجعله قاصرا على بعض مدنه، لا سيما بغداد والمدن التي تقع إلى الشمال منها شرقي نهر دجلة.

ثانيا: العلاقات السياسية الخارجية مع القوى المجاورة للعراق:

1- مع الإمارة الآق قوينلوية:

الآق قوينلو ((ذو الغنم الأبيض)) طائفة من التركمان سميت بالبايندرية لاتسابها إلى بايندر احد أحفاد اوغوز البطل الاسطوري للترك كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول، دفعها الغزو المغولي إلى الهجرة من تركستان نحو أفريجيان في نفس الوقت الذي اندفع فيه القره قوينلو⁽⁶⁾ استقرت أخيرا في ديار بكر العليا⁽⁷⁾، وكانت بداية نشاطهم السياسي على عهد زعيمهم علاء الدين طور علي بيك الذي قدم خدماته للایلخان المغولي غازان

(1) الشوشتری: المصدر السابق، ج2، ص399.

(2) السخاوي: الفهرء اللامع، ج8، ص280، ص280. الحلو: المرجع السابق، ص160، ص166.

(3) الشوشتری: المصدر السابق، ج2، ص399. الزاوي: تاريخ العراق، جق، ص175.

(4) ابن تغری بردی: حوادث الدهور، جق، ص592.

(5) الغياثي: المرجع السابق، ص331-332.

(6) عن أصلهم وهجرتهم، انظر: الفصل الأول، ص22، ص25، ص26. وانظر كذلك: القرماني: المصدر السابق، ص336.

(7) الغياثي: للمصدر السابق، ص372.

اضطربت احوال القره قوينلو يموت قره يوسف سنة 823 هـ / 1420م، واحتلال التيموريين لتبريز⁽¹⁾، وقره عثمان الماردين وسنجار⁽²⁾، فالقى هذا التطور ظلاله على اسكندر خليفة قره يوسف على الزعامة فوجد ان انقاذ امارته يقتضي التصدي لعدو والده قره عثمان وشاهرخ وانتزع ما استحوذ عليه من مناطق نفوذه، ولتحقيق ذلك تحرك من كركوك التي كان موجودا فيها عند وفاة والده باتجاه الموصل ومنها توجه للاقاة قره عثمان بعد ان التحق معه ابن عمه زينل بيك حاكم الموصل وميرزا علي حاكم اربل والأمير شمس الدين الذي اصطحب معه ثلاثة آلاف مقاتل كردي، وعند قرية الخاتونية القريبة من سنجار دارت رحى معركة عنيفة بينهما انتهت بهزيمة قره عثمان الذي فر جريحا من ساحة القتال، بعد ان فقد عددا كبيرا من جنده قتل بينهم عدد من امرائه⁽³⁾.

تجرع قره عثمان مرارة الهزيمة منسجبا إلى آمد، لكنه لم يطل المقام فيها، فقد استدعاه شاهرخ ليشركه في قتال اسكندر، فكان لجهوده دور كبير في هزيمة اسكندر عند الشكرد قرب تبريز في شهر رجب سنة 824 هـ / 1421م فنال لقاء ذلك تعويضا من شاهرخ بحكم تبريز فأتاب عليها ابنه الأكبر علي بيك⁽⁴⁾. ولكن اسكندر قاد من جديد قواته التي كان قد استجمعها⁽⁵⁾ من كركوك قاصدا تبريز بعد انسحاب شاهرخ من أذربيجان فما كان من علي بيك الا ان ترك تبريز هاربا إلى ديار بكر لتيقنه من عدم قدرته على مقاومة اسكندر⁽⁶⁾.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 116.

(1) خوافي: المصدر السابق، ج3، ص242. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص248. الغياني: المصدر السابق، ص256. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص607-608.

(2) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 118-119.

(3) A. n. e, 1, cilt, ss, 118-119.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص610.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 120, 124.

(5) كان اسكندر قد اتخذ كركوك كمركز لتجمع قواته بعد هزمته في الشكرد عن ذلك انظر: الغياني: المصدر السابق، ص138. المزوي: تاريخ العراق، ج3، ص64.

(6) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 124.

اما اسكندر فقد أمعن بعد دخوله تبريز في قتل جميع أمراء القره قوينلو الذين كانوا قد أعلنوا تبعيتهم لشاهرخ بعد هزيمته في اليشكرد فكان قتله لهم عملاً غير مسوغ لأنه حرم نفسه من قوتهم التي كان بالامكان تسخيرها ضد أعدائه⁽¹⁾.

اتسم موقف اسكندر بالضعف بعد هذا الاجراء وزاد الأمر سوءاً تردّي علاقته مع اخوته، فالشاه محمد حاكم بغداد قد دفعته نزعته الاستقلالية إلى قطع علاقته معه⁽²⁾، كما أن أسبان الذي قاتل إلى جانب اسكندر في اليشكرد⁽³⁾ تمرد عليه فيما بعد رغبة بالزعامة⁽⁴⁾ التي كان جهانشاه وأبو سعيد يطمحان إليها أيضاً، لذلك التحقاً بشاهرخ الذي كان قد وعدهما بحكم أفرييجان بعد طرد اسكندر منها⁽⁵⁾.

ولهذا أصبح اسكندر في موقف لا يحسد عليه، على الرغم من أن بعض المؤرخين وصفوه بالشجاع⁽⁶⁾، وربما جاء هذا الوصف من اقتداره على إدارة الصراع مع التيموريين

(1) يذكر صاحب تاريخ قطب شاه وقاروق سومر أن عمليات القتل قد طالّت أعداداً كبيرة من الأمراء الذين اعدمهم قسماً منهم في أربل، كما قتل حليفه القديم الأمير شمس الدين حاكم بدليس الذي كان قد اضطر إلى اعلان ولائه لشاهرخ بعد اجتياز هذا لأفرييجان، وقد فصل البدليسي الكلام على حادثة مقتل الأمير شمس الدين. عن هذه المعلومات، انظر:

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 63.

Kara Koyunlular, I, cilt, ss, 126-127.

والشرفنامه، ج1، ص 394-395.

(2) Sumer: A. g. e, I, cilt, s, 130.

ويشير صاحب تاريخ قطب شاه إلى امتناع شاه محمد عن تقديم أية مساعدة لاسكندر ضد أعدائه، عن ذلك، انظر:

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 63.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 610.

(4) Sumer: A. g. e, I, cilt, s, 130.

(5) ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص 710. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 151-152. مينورسكي: تاريخ تبريز، ترجمه إلى الفارسية: عبد العلي كارنك، تهران، 1337، ص 38.

(6) ابن تقي بردي: المنهل الصافي، ج2، ص 374. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص 249.

الفصل السادس

الإدارة والجيش

أولاً: الإدارة:

- 1- التقسيمات الإدارية
- 2- طرق الإدارة وأساليبها
- 3- الجهاز الحكومي

ثانياً: الجيش

والآق قوينلو وحلفائهما⁽¹⁾ استغرق زهاء ثمانية عشر عاما حقق في السنوات الاولى منها انتصارات مهمة لا سيما في المدة التي دامت بين (825 - 830 هـ / 1423 - 1427م) وفيها استعاد جميع المناطق التي كان التيموريون والآق قوينلو قد انتزعوها منه في أذربيجان وشرق الأناضول⁽²⁾ ولكن أعداءه الذين لم تكن تنقصهم القوة ما لبثوا ان الحقوا به هزيمة قاسية في سنة 832 هـ / 1429م التي استرد فيها شاهرخ تبريز باعانة قره عثمان⁽³⁾.

ويلاحظ ان قره عثمان لم يحقق مكاسب اقليمية تذكر من تحالفه مع التيموريين ضد اسكندر على الرغم من مشاركته معهم في العمليات العسكرية التي استهدفت اسكندر في سنوات 833 هـ / 1430م⁽⁴⁾ و 834 هـ / 1431م⁽⁵⁾ و 838 هـ / 1435م و 839 هـ / 1436م⁽⁶⁾، فقد بقي شرق الأناضول الذي كان يطمح قره عثمان إلى ضمه لامارته تابعا للقره قوينلو⁽⁷⁾، ويعزى ذلك إلى ان التيموريين كانوا بعد كل انتصار يحققونه على اسكندر يسحبون قواتهم من شرق الأناضول إلى مناطق نفوذهم السابقة دون ان يبقوا قوات مساندة لقره عثمان الذي كانت توكل اليه مهمة الدفاع عن المناطق المتزعزعة من اسكندر⁽⁸⁾، فكان هذا سرعان ما يسترجعها بقوته الذاتية او بمساعدة من المماليك، فقد كانوا يشكلون ورقة ضغط سياسي وعسكري على الآق قوينلو منطلقين من ان أي خلل في توازن القوى المحيطة ببلادهم الشمالية الشرقية يشكل عنصر تهديد لبلادهم. وعلى هذا الأساس يمكن ان نفسر الحملات الثلاث التي

(1) من حلفاء التيموريين والآق قوينلو الذين قاتلوا اسكندر الامير شرف الدين حاكم شريفان والامير عز الدين شير حاكم كردستان، وكان هذا قد قاتل اسكندر سنة 832 هـ بجيش قوامه (20.000) مقاتل. وللتفاصيل عن صراع اسكندر مع هذه القوى، انظر:

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 63.

(2) منجم ياشي: المصدر السابق، م 3، ص 152. الرازي: المرجع السابق، ص 674-675.

Savory: op. cit, p. 41. Uzuncarsili: Anadolu, s, 183.

(3) المقرئزي: المصدر السابق، ج 4، ق 2، ص 811. ميرخواند: المصدر السابق، م 6، ص 196-698. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص 249. مينورسكي: تاريخ تبريز، ص 38.

(4) المقرئزي: المصدر السابق، ج 4، ق 2، ص 836-837. ابن تقي يردى: النجوم الزاهرة، ج 14، ص 348.

(5) ابن حجر: انباء الفهر، ج 3، ص 461.

(6) المقرئزي: المصدر السابق، ج 4، ق 2، ص 946، 956، 960. الصيرفي: نزهة القوس والابدان، ج 3،

ص 329.

(7) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 124, 126. Savory: op. cit, p. 41.

(8) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 124.

وجهها المالك إلى مراكز نفوذ الآق قوينلو في ديار بكر وشرق الأناضول في سنوات 832 هـ / 1429م و 836 هـ / 1433 و 839 هـ / 1436م⁽¹⁾ مع اعداد اربع حملات اخرى بين سنتي 833 هـ / 1430م - 835 هـ / 1432م لكنها لم تنفذ⁽²⁾، كل ذلك لتحجيم المكاسب التي حققها قره عثمان على حساب اسكندر، فقد كان قره عثمان يضطر إلى سحب قواته من أذربيجان وشرق الأناضول إلى ديار بكر لمواجهة المالك، وهذا ما كان يسهل لاسكندر استعادة مناطق نفوذه السابقة بسهولة.

وقد تحسنت العلاقة بين اسكندر وشقيقه أسبان حاكم بغداد، بعد ادراك أسبان ان مطامع قره عثمان لا تقتصر على مناطق نفوذ اسكندر فحسب، بل تتجه انظاره نحو مناطق نفوذه في شمال العراق، لا سيما بعد الدعم العسكري الذي قدمه قره عثمان لحركة التمرد التي قادها توشمال زينل⁽³⁾ حاكم الموصل ضد أسبان سنة 838 هـ / 1345م فقد أرسل قره عثمان لتوشمال ابنه محمود مع مائتي فارس، ثم عزز هذه القوة بقوة أخرى بلغت الف فارس بقيادة ابنه الآخر محمد بيك الذي وصل الموصل واقام بها مدة⁽⁴⁾. ولكن توشمال انقلب على هذه القوات على ما يبدو وجلاها عن الموصل خوفا من ان تستحوذ عليها.

وفيما يتعلق بأسبان نجد انه قد شارك اسكندر في التصدي لشاهرخ سنة 838 هـ / 1435م ولكن هذه المشاركة لم تحقق نتائج ايجابية على صعيد الصراع القره قوينلوي التيموري اذ اندحرت قواتهما امام شاهرخ⁽⁵⁾. ولكن نتائجها من ناحية أخرى كانت وخيمة على الآق قوينلو دفع قره عثمان حياته ثمنا لها، وحدث ذلك عندما أمر شاهرخ قره عثمان بالتصدي لقوات اسكندر وأسبان المتدحرة في تبريز والمنسحبة إلى العراق عن طريق شرق الأناضول،

(1) للضايف من هذه الحملات، انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج3، ص271-272.

(2) عن اعداد هذه الحملات وسبب الفاش، انظر: المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص381، 850، 853، 867. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص458-459، 473. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص345، 354-355، 357-359، 368.

(3) توشمال زينل: هكنا وردت التسمية لدى الغياثي: التاريخ الغياثي، ص269. والمقرئزي يذكره باسم زينل، انظر: السلوك، ج4، ق2، ص945. والصيرفي يذكره باسم ديبال، انظر: مزهة النفوس والأبدان، ج3، ص317.

(4) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص945-946. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص548. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص317.

(5) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص962. مجهول: حوليات دمشق، ص55. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص336.

وقرب مدينة أرض روم حدثت المواجهة العسكرية، وانتهت بمقتل قره عثمان على يد اسكندر في صفر سنة 839 هـ / 1435م وارسل اسكندر رأس قره عثمان إلى القاهرة للدلالة على تمكنه من عدوه التقليدي، ويشفي غل السلطان المملوكي الذي كان قره عثمان على عدااء معه⁽¹⁾.

ومع تولي جهانشاه زعامة القره قوينلو في أذربيجان بعد طرد اسكندر من تبريز سنة 839 هـ / 1436م⁽²⁾، وترسخ هذه الزعامة بعد أن أطيح برأس اسكندر الذي كان طريقاً على يد ابنه شاه قباذ بتدبير من جهانشاه وشاهرخ في سنة 841 هـ / 1438م⁽³⁾ بدأت صفحة جديدة من العلاقات بين جهانشاه والسلطان حمزة بن قره عثمان الحاكم الآق قوينلوي الجديد (839 - 848 هـ / 1436 - 1448م) اتسمت بالودية لتبعية الاثنين لشاهرخ، وقد عارض أسبان حاكم بغداد هذا التحسن فلم يقر بزعامة أخيه جهانشاه⁽⁴⁾، وللدلالة على هذه المعارضة شن غارة على اطراف ماردين التابعة للآق قوينلو، فتصدى له السلطان حمزة في 5 ذي الحجة سنة 840 هـ / 1436م وألحق به الهزيمة واستولى على اقاله وأسر رجاله ونساء عسكره في الوقت الذي نجأ فيه أسبان بنفسه هارباً إلى سنجار ومنها إلى الموصل⁽⁵⁾.

مكث أسبان سنة في بغداد يتجهز على حد قول الغياثي لأخذ ثاره من الآق قوينلو⁽⁶⁾، ويعد أن أكمل استعداداته توجه إلى حدود ماردين، فصادف جماعة من الآق قوينلو يقال لهم: دبانلو، يرعون مواشهم، قتلهم جميعاً ونهب مواشهم ونساءهم ورجع إلى بغداد عن طريق اربل⁽⁷⁾، ولكنه لم يكف بهذا العمل بل وجه في حدود سنة 848 هـ / 1444م ابن أخيه الوند للتعرض لمناطق نفوذ الآق قوينلو في ديار بكر، فضلاً عن مدينة أرزنجان التابعة لجهانشاه،

(1) القرطبي، المصدر السابق، ج2، ص956، 963، 984. الصيرفي: نزهة القوس والأبدان، ج3 ص329. عاشق باشا زاده: تواريخ آل عثمان، استنبول، 1332هـ ص246-247. الظاهري: غرس الدين خليل بن شاهين: كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك، مطبعة الجمهورية، باريس، 1894م، ص137.

(2) خوانتمير: المصدر السابق، م3، ص626.

(3) المصدر نفسه، م3، ص627. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص249.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 64.

(4) Romer: op. cit, Vol. 6. p. 163.

(5) القرطبي: المصدر السابق، ج2، ص1010. الصيرفي: نزهة القوس والأبدان، ج3، ص385. الغياثي: المصدر السابق، ص271-272.

(6) التاريخ الغياثي، ص273.

(7) المصدر نفسه والصفحة.

ولكن جهانشاه تصدى له، فاضطر إلى الانسحاب إلى ديار بكر⁽¹⁾، وهناك من يذكر ان ديار بكر في ذلك الوقت كانت تحت تصرف الوند⁽²⁾.

وقد شهدت المنطقة بعد هذا التاريخ انعطافا جديدا غير من مسار العلاقات بين جهانشاه والآق قوينلو، وتمثل يتمكن جهانشاه من احتلال بغداد سنة 850 هـ / 1446م عقب وفاة أسبان سنة 848 هـ / 1444م وبذلك امتدت سلطته على جميع مناطق نفوذ القره قوينلو والأهم من ذلك وفاة شاهرخ التيموري سنة 850 هـ / 1446م وهذه الوفاة حررت جهانشاه من التبعية للتيموريين وأفسحت له المجال للاستحواذ على املاكهم مستغلا حالة الصراع التي نشبت بين اولاد شاهرخ واحفاده على السلطة⁽³⁾ فتمكن جهانشاه من انتزاع بلاد فارس وكرمان⁽⁴⁾، ومنها وجه نظاره صوب الآق قوينلو حلفاء الامس وتمكن من الاستحواذ على بعض مناطق نفوذهم شرقي الأناضول⁽⁵⁾، كما انه دعم تمرد الشيخ حسن على ابن اخيه جهانكير بن علي الذي كان قد تولى زعامة الآق قوينلو بعد وفاة السلطان حمزة سنة 848 هـ / 1444م ولكن هذا الدعم لم يأت بنتيجة ايجابية لتمكن حسن بن علي المشهور بالطويل أخوي جهانكير من دحر الشيخ حسن وقتله سنة 855 هـ / 1451م⁽⁶⁾.

ومع هذا القشل فقد خلم الظرف السياسي الداخلي للآق قوينلو جهانشاه بنشوب صراع بين الاخوين على الزعامة أخذت كفته تميل لصالح حسن الطويل⁽⁷⁾، فاستغل جهانشاه حالة الضعف التي أصابت جهانكير فلم يكف بقبول عرض جهانكير بتزويج بته من ابنة محمدي لقاء مساعدته⁽⁸⁾ فحسب بل طالبه باعلان تبعية له لا سيما بعد ان حقق جهانشاه مكاسب عسكرية أثر انتزاعه ماردین دون قلعتهما ومحاصرته أمد سنة 856 هـ / 1452م⁽⁹⁾.

(1) I. A/ Ak Koyunlular, Maddesi, 2, cilt, 272.

(2) غفاري: تاريخ جهان آرا، ص 249.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

(3) عن صراع اولاد واحفاد شاهرخ على السلطة، انظر: قامبري: المرجع السابق، ص 269-273.

(4) Uzuncarsili: Anadolu, s, 183. Savory: op. cit, pp. 45-46.

(5) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، ج1، ص 95، 103.

(6) Hinz: A. g. e, s, 24. Romer: op. cit, Vol. 6. p. 169.

(7) Hinz: A. g. e, s, 24-25.

(8) منجم باشي: المصدر السابق، م 3 ص 156-157. علي: دولة الآق قوينلو، ص 5.

(9) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، ج1، ص 99، 127. المنهل الصافي، ج3، ص 509. السخاري: الضوء

اللامع، ج3، ص 81.

اضطر جهانكير للوضوح لمطالب جهانشاه⁽¹⁾ لان جميع مناطق نفوذه السابقة كانت قد انتزعت منه من قبل حسن الطويل وجهانشاه⁽²⁾، ولقاء هذه التبعية منحه جهانشاه حكم ماردین⁽³⁾. أما آمد فانها سقطت يد حسن الطويل⁽⁴⁾ بعد ان اضطر جهانشاه إلى فك الحصار عنها والانسحاب منها سنة 856 هـ / 1452م لمواجهة تحركات بابور بن بای سقر بن شاهرخ نحو بلاده⁽⁵⁾.

ويهدف استرجاع ما استولى عليه حسن الطويل من مناطق نفوذه السابقة، دعا جهانكير جهانشاه إلى ان يمدد بعسكر، فوجد جهانشاه في هذه الدعوة فرصة يمكن ان تحقق له طموحه في التوسع في ديار بكر وتجميع نفوذ حسن الطويل الذي تجاوز طموحه حدود الزعامة على الآق قوينلو إلى التوسع على حساب القره قوينلو لا سيما بعد ضمه حصن كيفا التابعة لجهانشاه⁽⁶⁾. وعلى هذا الأساس ارسل جهانشاه جيشا كبيرا بقيادة الأمير رستم ترخان وعلي شكر اللذين دخلا في معركة مع حسن الطويل اسفرت عن هزيمتهما وأسر عدد من امراء جهانشاه سنة 862 هـ / 1457م⁽⁷⁾، وهناك من يذكر ان سبب الهزيمة يرجع إلى انحياز جهانكير إلى جانب اخيه حسن الطويل عندما وقعت المعركة⁽⁸⁾. ولكن منجم باشي لا يؤيد ذلك فهو يشير إلى ان حسن الطويل بعد كسره عسكر جهانشاه ذهب إلى ماردین وحاصر جهانكير فيها، فخرجت والدته وطلبت له العفو من ابنها حسن الطويل، فاستجاب لها وحدث الصلح بين الشقيقين واتفق فيه علي ان تكون ماردین لجهانكير وباقي الامارة والعساكر لحسن الطويل⁽⁹⁾.

فتر الصراع بين القره قوينلو والآق قوينلو، فلم تسجل لنا المصادر التي في حوزتنا أية مجابهة حتى معركة موش سنة 872 هـ / 1468م ويمكن ان نعزو هذا القصور إلى التحول في

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص376.

(2) ابن تغرى بردی: للمثل الصافي، ج3، ص509. الغياثي: المصدر السابق، ص376.

Hinz: A. g. e, s, 24-25.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص376.

(4) Hinz: A. g. e, s, 24-25.

(5) ابن تغرى بردی: حوادث الدهور، ج2، ص127. السخاوي: التبر، ص384.

(6) IA / Ak Koyunlular, Madisi, 2, cilt, s, 272.

(7) ابن تغرى بردی: التجوم الزاهرة، ج6، ص108. الغياثي: المصدر السابق، ص377.

(8) الغياثي: المصدر نفسه، ص377.

(9) صحائف الاخبار، م3 ص159. وانظر كذلك: الغياثي: المصدر السابق، هامش الحق رقم (7)، ص377.

(استراتيجية) الطرفين التوسعية، ذلك ان جهانشاه وجه جهله العسكري نحو الشرق والجنوب الشرقي من امارته وبالتحديد نحو خراسان ومناطق نفوذ التيموريين في ايران، ونتج عن هذا التوجه احتلاله هراة عاصمة التيموريين سنة 862 هـ / 1458م⁽¹⁾، الا ان تمرد ولديه حسن علي وير بوداق اضطره إلى الانسحاب⁽²⁾، لينشغل باقي السنوات في تثبيت اركان حكمه في أذربيجان وايران والعراق. أما حسن الطويل فان اهتماماته العسكرية اتجهت غربا من اجل الوصول إلى البحر المتوسط، لذلك تحالف مع البنادقة ومع امانة طرابزون المسيحية وصاهر اخا حاكمها داود سنة 863 هـ / 1459م⁽³⁾ كما حسن علاقته مع الماليك⁽⁴⁾ المناهضين للعثمانيين⁽⁵⁾، فسهلت له تحالفاته هذه تحقيق مكاسب اقليمية واسعة في آسيا الصغرى حتى وصلت توسعاته إلى مدينة قونية⁽⁶⁾ في جنوب غرب الأناضول سنة 869 هـ / 1465م ولم يتمكن العثمانيون وقف تلك التوسعات الا ان جهانشاه افسد استمراره في التوسع بتوجيه قواته نحو امارة الآق قوئل بعد ان كان قد فرغ من تمرد ابنه ير بوداق حاكم بغداد سنة 870 هـ / 1466م. وهذا ما ستفصل الحديث عنه لاحقا في كلامنا عن معركة موش.

(1) عن توسعات جهانشاه واحتلاله هراة، انظر:

Savory: op. cit, pp. 47-48.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 289-291 والمماش التحقيقي التاسع، ص 289. وانظر كذلك: منجم باشي: المصدر السابق، م 3، ص 152.

(3) الجواهري: المرجع السابق، ص 31. مينورسكي: مادة اوزن حسن: دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية)، م 3، ص 141.

Romer: op. cit, Vol. 6, p. 169.

(4) حدث هذا التحسن اثر ارسال حسن الطويل بعثة إلى القاهرة اواخر سنة 863 هـ ومعها مفاتيح ست قلاع كان قد سيطر عليها من بلاد الكرج. السخاوي: الذيل التام على دول الاسلام، تحقيق: احمد الحسو، وهي اطروحة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى جامعة عين شمس، 1968م، ص 110. كما اعلن نفسه بانه من عمالِك السلطان. انظر: ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، ج 3، ص 486-487.

(5) ازداد تخوف المالِك من العثمانيين اثر تنامي قوة هؤلاء بعد تمكنهم من فتح القسطنطينية سنة 857 هـ عن فتح القسطنطينية، انظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 16، ص 70.

(6) وللغاصيل عن توسعات حسن الطويل والمدن التي سيطر عليها بما فيها قونية، انظر: ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، ج 3، ص 486-487. مينورسكي، مادة اوزن حسن: دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية)، م 3، ص 141. الزهيري: العلاقات السياسية المملوكية، ص 186.

2. مع الدولة المملوكية:

سبقت الاشارة إلى ان العلاقات القره قوينلوية التيمورية الآق قوينلوية اتصفت بالعداية بحكم تعارض المصالح والأهداف. كما ان العلاقات القره قوينلوية الجلائرية كانت غير مستقرة بسبب اطماع كل طرف من الطرفين باملاك الآخر على الرغم من تعاونهما في مواجهة الغزو التيموري. لذا كان القره قوينلو بحاجة إلى قوة سياسية أخرى في المنطقة يحمون بها امام تحركات القوى المذكورة، ويستعينون بها في التوسع. وقد كانت دولة المماليك الثانية - المعروفة بدولة المماليك الجراسكة - نسبة إلى السلطان برقوق الجركسي - والتي بدأت باعتلاء برقوق العرش في رمضان سنة 784 هـ / 1382م⁽¹⁾ القوة السياسية التي وجد القره قوينلو فيها القلعة على تحقيق اهدافهم المشار إليها آنفا.

وفي المقابل كان المماليك بحاجة إلى قوة سيامية في المنطقة الشمالية الشرقية من بلادهم يمكن الاعتماد عليها لمواجهة احتمال غزو تيمورلنك لبلاد الشام. ولما كان الآق قوينلو يحكم تحالفهم المبكر مع التيموريين لا يمكن الاعتماد عليهم، فضلا عن رغبتهم في التوسع في جهات ديار بكر الجنوبية الغربية، واحتمال تهديد لمناطق المماليك في هذه الديار كان امر اقامة المماليك علاقات مع القره قوينلو اعداء التيموريين والآق قوينلو أمرا طبعيا من قبلهم لاسيما ان هذه العلاقات لن تقتصر اهميتها لدى المماليك على الجانب السياسي والعسكري بل تمتد إلى الجانب الاقتصادي، لأن الرقعة الجغرافية لامارة القره قوينلو - سواء في حدودها الضيقة التي كانت مقتصرة عند بداية تشكيل الامارة على المنطقة الممتدة من بحيرة وان إلى الموصل، او في حدودها المتسعة التي شملت كلا من العراق واقليم بلاد الجبل واذريجان وفارس وكرمان إلى سواحل خليج عمان وتقوم بلاد الروم والشام - تعد منطقة حيوية لتجارة بلاد الشام. وفي ضوء هذه الصورة تشكلت العلاقات القره قوينلوية المملوكية التي ابتدأت بارسال قره محمد سفارة إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق سنة 785 هـ / 1383م يعلن فيها دخوله في طاعته بجعل الخطة والسكة باسمه فرحب السلطان بذلك⁽²⁾.

ولاشك ان اعلان قره محمد تبعيته للملكة للمماليك كان بهدف التحصن بهذه القوى امام الزحف التيموري المحتل لبلادهم⁽³⁾. وقد اوضحت السفارة الثانية التي ارسلت إلى القاهرة في

(1) للفاصيل عن قيام الدولة المملوكية الثانية باستيلاء برقوق على السلطنة، انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 346-348. طرخان، ابراهيم علي: مصر في عصر دولة المماليك الجراسكة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960م، ص 1-7.

(2) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 115. حسين: المرجع السابق، ص 219.

(3) عن بدايات الزحف التيموري لبلاد ايران، انظر: حسين: المرجع نفسه، ص 68-71.

شوال سنة 787 هـ / 1385م وعلى رأسها مصر خواجه عم قره محمد الهدف نفسه، فقد اكد السفير تبعية قومه للمماليك ملتصبا من السلطان المملوكي قبول انتمائهم إلى دولته، ومبادرته بعبور الشام⁽¹⁾ في حال مدهامة التيموريين لهم فأجابه السلطان إلى ذلك⁽²⁾.

والواقع ان توافق المصالح بين المماليك والقره قوينلو في التصدي للتيموريين هو الذي دفع السلطان المملوكي الظاهر برقوق إلى عقد مجلس شورى حضره الخليفة والقضاة والأمراء، عرض فيه رغبته بارسال حملة عسكرية لحماية حدوده الشمالية الشرقية⁽³⁾، واستاند قره محمد الذي كانت قواته قد تراجعت إلى ملطية بعد ما تكبدت هزائم على يد التيموريين سنة 789 هـ / 1387م⁽⁴⁾.

ومع ان الحملة المملوكية التي كانت قد أعدت لذلك قد توقفت ببلاد الشام لانتفاء الحاجة إليها⁽⁵⁾، باستعادة القره قوينلو لمناطق نفوذهم السابقة واحتلالهم تبريز سنة 790 هـ / 1388م⁽⁶⁾ فان قره محمد اكد من جديد تبعيته للمماليك فارسل سفارة إلى القاهرة في ذي القعدة سنة 790 هـ / 1388م يطلب فيها من السلطان الظاهر التقليد بحكم تبريز نائباً عنه، فاستجاب له السلطان وكتب له بالشكر والثناء⁽⁷⁾. ويدعو ان الطلب القره قوينلوي الاخير كان بهدف الحصول على دعم مملوكي لمواجهة التحرك العسكري الجلائري لاستعادة تبريز⁽⁸⁾ لأن تبريز كانت جلائرية قبل الاحتلال التيموري لها.

(1) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص536.

(2) ابن حجر: انباء الغمر، ج1، ص301.

(3) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص247. ابن اياس: المصدر السابق، ج1، ص267.

(4) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص563. ابن حجر: انباء الغمر، ج1، ص335. ابن تغرى بردى:

النجوم الزاهرة، ج1، ص247. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص154.

(5) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج1، ص247. ابن اياس: المصدر السابق، ج1، ص267.

(6) الغياني: المصدر السابق، ص107.

(7) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص585. ابن حجر: انباء الغمر، ج1، ص349-350. العيني: تاريخ

البلد، ورقة 128.

(8) عن التحركات الجلائرية لاستعادة تبريز، انظر:

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qtub Shahs, p. 55.

ومع ان قره محمد قد اجهض التحركات العسكرية الجلائرية⁽¹⁾، الا ان حاجته للمماليك بقيت قائمة، لاسيما بعد حركة التمرد التي قادها قره حسن ضد زعامته للقره قوينلو⁽²⁾، لذلك أرسل سنة 791 هـ / 1388م سفارة إلى القاهرة يعلن فيها:
أولاً: وقوفه إلى جانب السلطان الظاهر برقوق ضد تمرد النائب الملوكي بلبغا الناصري⁽³⁾.

ثانياً: اطلاع السلطان على الموقف الذي وصل اليه الصراع مع قره حسن.
ثالثاً: الرغبة في الحصول على مساندة السلطان له في القضاء على تمرد قره حسن، وعلى ما يبدو فان السلطان الظاهر برقوق كان على استعداد لتقديم المساندة لقره محمد بسبب تجاوز قره حسن حدود بلاده الشمالية الشرقية ودخوله بلاد الشام⁽⁴⁾، واحتمال تحالفه مع بلبغا الناصري ضده، ولكن تسارع الاحداث ومقتل قره محمد على يد قره حسن في سنة 791 هـ / 1388م وانسحاب قره حسن من بلاد الشام، ووقوع المصالحة بينه وبين قره يوسف الزعيم القره قوينلوي الجديد⁽⁵⁾ ادى إلى انتهاء الحاجة إلى تقديم المساندة.

وقد واصل قره يوسف سياسة سلقه قره محمد في تعزيز علاقته مع المماليك بتسليمه أطمش التيموري للمماليك، وكان قد قبض عليه في أثناء غارة قره قوينلوية على الرها سنة 798 هـ / 1396م⁽⁶⁾ وأرسله أسيراً مع سفارة إلى القاهرة في 18 صفر سنة 798 هـ / 1396م فاعتقل هناك⁽⁷⁾.

قابل السلطان الظاهر هذا الفعل بأن منح قره يوسف تقليداً بحكم الرها⁽⁸⁾، كما قدم له تسهيلات عسكرية بالسماح له بدخول بلاد الشام لينطلق منها في عملية طرد التيموريين الذين

(1) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 52.

(2) عن حركة التمرد هذه انظر: مبحث الصراع الأسري على الزعامة ضمن الفصل الأول.

(3) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص598. الصيرفي: نزعة الغوس والأبدان، ج1، ص191.

(4) الرازي: المرجع السابق، م3، ص674.

Uzuncarsili: Anadolu, s, 180.

(5) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 53. I. A / Koyunlular Madisi, 6, cilt, s, 296.

(6) ابن اياس: المصدر السابق، ج1، ص306.

(7) ابن القرات: المصدر السابق، م9، ج2، ص430. المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص851.

(8) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص965.

كانوا قد احتلوا الموصل سنة 799 هـ / 1397 م⁽¹⁾، ويفعل هذه التسهيلات استعداد قره يوسف الموصل سنة 800 هـ / 1399 م⁽²⁾.

ولكن العلاقات القره قوبلوية المملوكية قد تأزمت مع بداية عهد السلطان المملوكي الجديد الناصر فرج (801 - 815 هـ / 1399 - 1412 م) على الرغم من ان هذا السلطان قد جدد نيابة الرها لقره يوسف⁽³⁾، لكنه لم يتصرف بما ينسجم والتحالف ما بين الطرفين من تحالف يرفضه دخول قره يوسف مع السلطان احمد الجلائري ببلاده اثر هروبهما من تيمورلنك، وتصديه لهما بشخص نائبه على حلب عند الساجور قرب حلب في 24 شوال سنة 802 هـ / 1399 م فدارت هناك معركة انتهت بهزيمة عسكر حلب ومقتل النائب المملوكي فيها مع عدد من الامراء⁽⁴⁾. وانسحاب قره يوسف والسلطان احمد من الساجور ودخولهما بلاد السلطان العثماني بايزيد يلدرم⁽⁵⁾.

ويلاحظ ان سياسة الناصر فرج تجاه قره يوسف وحليفه السلطان احمد الجلائري قد حرمت الممالك الاستفادة من قوتها لاسيما قوة قره يوسف العسكرية التي قدرت في بعض المصادر بـ (20.000) مقاتل⁽⁶⁾، وهي قوة كان بالامكان الاستفادة منها في التصدي للقوات التيمورية التي غزت بلاد الشام وأحلت الكارثة فيها سنة 803 هـ / 1401 م⁽⁷⁾.

وبعد فوات الأوان عدل الناصر في موقفه من قره يوسف وكتب له في ذي الحجة سنة 804 هـ / 1401 م بانه سيمنحه تقليدا بأي مكان يأوى اليه وأرسل اليه الهدايا والى اخوته وحاشيته⁽⁸⁾. ولكن الانتصار الساحق الذي حققه تيمور على السلطان العثماني بايزيد يلدرم سنة 805 هـ / 1402 م وتغير لهجة تيمور بعد هذا الانتصار من الدعوة إلى السلم واصلاح ذات البين بهدف تحييد الناصر فرج عن نصرة العثمانيين إلى الوعد والوعيد في حالة اقامته

(1) ابن حجر: انباء الغمر، ج1، ص523.

(2) العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص28.

(3) المقرئ: المصدر السابق، ج3، ق2، ص965.

(4) للمصدر نفسه، ج3، ق2، ص1013-1014، 1021. ابن حجر: انباء الغمر، ج2، ص108-109. ابن تغري

بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص215-216. الصيرفي: نزعة الغوس والأبدان، ج2، ص60-61.

(5) الصيرفي: المصدر نفسه، ج2، ص61.

Kafes Oglu: A. g. e, s, 883.

(6) الصيرفي: نزعة الغوس والأبدان، ج2، ص60-61.

(7) عن الغزو التيموري لبلاد الشام، انظر: حسين: المرجع السابق، ص269-309.

(8) المقرئ: المصدر السابق، ج3، ق2، ص1088.

تحالفا مع قره يوسف⁽¹⁾، كل ذلك دفع الناصر فرج إلى التراجع عن موقفه تجاه قره يوسف فأصدر مرسوما لتأبیه في دمشق في جمادى الآخرة سنة 806 هـ / 1404م بإلقاء القبض على قره يوسف الذي كان قد التجأ إلى دمشق هاربا من بغداد⁽²⁾، وأعقبه بمرسوم آخر بقتله وإرسال رأسه إلى تيمور استجابة لطلب تيمور نفسه⁽³⁾. ولكن شاءت الظروف ألا يستجيب نائب دمشق شيخ الحمودي لهذا المرسوم لتمرده على السلطان وتحالفه مع قره يوسف⁽⁴⁾.

وقد ساد الجمود العلاقات القره قوينلوية المملوكية بعد فشل تمرد الشيخ الحمودي وعودة قره يوسف إلى بلاده سنة 807 هـ / 1405م⁽⁵⁾ ولا يوجد هناك ما يشير إلى حدوث أي اتصال أو تقارب بينهما حتى سنة 818 هـ / 1415م على الرغم من أن الظرف السياسي أصبح مواتيا للتقارب لاسيما بعد تقلد شيخ الحمودي سلطنة المماليك سنة 815 هـ / 1412م⁽⁶⁾.

ولعل الأسباب التي أخرت التقارب تمثلت أولا بقبول قره يوسف وفادة عدد من الأمراء المعارضين لسلطنة شيخ الحمودي⁽⁷⁾ الذي تلقب بالسلطان المؤيد شيخ الحمودي⁽⁸⁾. وثانيا بتوقيع قره يوسف اتفاقية صلح مع شاه رخ في ذي الحجة سنة 818 هـ / 1415م وهي اتفاقية لم يرحب بها السلطان المملوكي⁽⁹⁾ خوفا من أن تسخر ضد بلاده.

(1) حسين: المرجع السابق، ص 326-327، 332.

(2) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص 1118-1120. ابن حجر: انباء الغمر، ج2، ص 264. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص 302. المنهل الصافي، ج4، ص 317.

(3) Howarth: op. cit, Vol. 3, p. 674. I. A. / Koyunlular Madisi, 6, cilt, s, 298.

(4) عن محمد شيخ الحمودي وتحالفه مع قره يوسف، انظر: المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص 1143-1144، 1148، 1153-1154، 1159، 1162-1165. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص 314، 316، 319، 321.

(5) المقرئزي: المصدر السابق، ج3، ق2، ص 1164-1165، 1173. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص 230.

(6) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص 1.

(7) من هؤلاء الأمراء: جانبك الحمزاوي ويشيك وعنهما، ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص 222-223. النجوم الزاهرة، ج4، ص 64.

(8) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص 1.

(9) للمصدر نفسه، ج4، ص 25.

وقد بادر قره يوسف اثر انهيار اتفاقية الصلح⁽¹⁾ واحتلال شاهرخ مدينتي قزوین والسلطانية القره قوينلویتین⁽²⁾ إلى الاتصال بالممالك لاعادة التحالف معهم، ويدو ان المالك كانوا على استعداد لاعادة هذا التحالف لتأكيد نفوذهم على القره قوينلو ولهذا رحب السلطان المملوكي بمبعوثي قره يوسف الذين وصلوا القاهرة سنة 818 هـ / 1415م⁽³⁾ وسنة 819 هـ / 1416م⁽⁴⁾، فأرسل مع دكتور قاصد السفارة الثانية رسولا عنه يحمل جوابا وهدية لقره يوسف⁽⁵⁾. كما رحب في جمادى الاولى سنة 820 هـ / 1417م بقاصد الشاه محمد حاكم بغداد وير عمر نائب قره يوسف على أرزنجان القاضي حميد الدين الذي أنعم عليه بما يليق به⁽⁶⁾، ثم شاب العلاقة بعد هذا التحسن توتر كاد يؤدي إلى مواجهة عسكرية بين الطرفين، وذلك اثر دخول قره يوسف بلاد الشام مطاردا قره عثمان ومسييا تحريبا في عيتاب والبيرة وهلعا في الشام وذلك سنة 821 هـ / 1418م⁽⁷⁾.

ومع ان قره يوسف اعتذر عن فعلته وأكد لنائب حلب بقاء محبته للسلطان⁽⁸⁾، الا ان السلطان المؤيد بدا يتحسب لقره يوسف الذي اصبح يشكل عامل خلل في توازن القوى، لتامي قوته وامتداد نفوذه ليشمل أذربيجان وشرق الأناضول والعراق وغرب ايران ومحاولته انتهاء نفوذ الآق قوينلو في ديار بكر وتحجته على اجتياز أراضي الدولة المملوكية متناسيا ما كان بينهما من علاقات تحالف.

وللأسباب المشار إليها انفا بدا السلطان المملوكي يؤلب الرأي العام تمهيدا لتوجيه ضربة عسكرية لقره يوسف، فعقد مجلس شورى يوم الثلاثاء 26 شعبان سنة 821 هـ / 1418م ضم

(1) انهارت اتفاقية الصلح بعد شهر من توقيعها بسبب مطالبة شاهرخ قره يوسف لاعلان تبعيته له، وفي حال الرفض هدد باحتلال تبريز، ينظر: المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص300.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) المصدر نفسه، ج4، ق1، ص329، 367.

(4) المصدر نفسه، ج4، ق1، ص368. ابن تغري بردی: النجوم الزاهرة، ج4، ص46.

(5) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص409. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص100، 130.

(6) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص410، 413. ابن تغري بردی: النجوم الزاهرة، ج4، ص53.

الصيرفي: نزعة الغوس والأبدان، ج2، ص391.

(7) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص458-459، 463. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص168، 170.

(8) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص461، 463. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص170، 170.

الصيرفي: نزعة الغوس والأبدان، ج2، ص424.

الخليفة وكبار القضاة الذين اصدروا فتواهم بجواز قتال قره يوسف لانه يستحل الدماء، ويسبي النساء ويغرب الديار⁽¹⁾.

وقد أثارت هذه الفتوى قره يوسف الذي هدد في كتاب ارسله للسلطان المملوكي سنة 823 هـ / 1420م بالسير إلى بلاد الشام في حال عدم اعادته الجواهر التي سبق للسلطان المؤيد ان اخذها منه اثناء فترة اقامته في دمشق عندما كان المؤيد نفسه نائباً لها سنة 806 هـ / 1403م⁽²⁾.

وامعانا في رفض هذا الطلب واصرارا على المواجهة دعا المؤيد إلى تحرير العراق من نفوذ القره قوينلو⁽³⁾، وأخذ في تأليب الرأي العام ثانية على قره يوسف وعلى ابنه الشاه محمد حاكم بغداد في الوقت نفسه بعد ان اتى مشايخ العلم بكفرهما وجواز قتالهما⁽⁴⁾.

وعلى ضوء هاتين الفتوتين رسم السلطان للأمرء بالتهيؤ للسفر، وحملت اليهم النفقات، فوقع الشروع في تجهيز امور السفر⁽⁵⁾ لانتهاء النفوذ القره قوينلوي للعراق. ولكن تدهور الحالة الصحية للمؤيد لاصابته بمرض المفاصل⁽⁶⁾، ووصول قاصد من قره يوسف يطلب الصلح ويذكر السلطان بماضي سيده معه⁽⁷⁾، مما أدى إلى إلغاء الحملة.

ويدور ان المؤيد لم يكن جادا في اقصاء القره قوينلو عن العراق على الرغم من ان الظرف السياسي كان مؤاتيا لنجاح حملته لان قره يوسف كان غير قادر على التصدي لها لانشغاله بامر المجاهدة مع عساكر شاهرخ المتجهة لاحتلال تبريز⁽⁸⁾، كما ان الشاه محمد لم يكن لديه من القوات ما يجعله قادرا على التصدي للجيش المملوكي⁽⁹⁾.

وقد شهدت العلاقات القره قوينلوية المملوكية تحسنا كبيرا بعد وفاة قطبي الزعامة قره يوسف سنة 823 هـ / 1420م والسلطان المؤيد سنة 824 هـ / 1421م. وجاء هذا التحسن

(1) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق1، ص459-460. وانظر ما اشيع عن مثالب قره يوسف بهدف اشارة

الرأي العام في كتاب: انباء الغمر، ج3، ص168-169، 223.

(2) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق1، ص524-525. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص214.

(3) ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص214.

(4) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق1، ص535-536. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص99-100.

(5) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق1، ص535-536. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص99-100.

(6) ابن تغري بردي: المصدر نفسه، ج14، ص102، 106.

(7) Sumer: A. g. e, i, cilt, s, 104.

(8) عن اشغال قره يوسف بحملة شاهرخ سنة 823 هـ انظر: خواتمير: المصدر السابق، ج3، ص607-608.

(9) عن قلة قوات الشاه محمد انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص248.

بعد حاجة اسكندر خليفة قره يوسف إلى مساندة المالك له لايفاف حالة التداعي التي أصابت امارته بعد الهزائم التي حاقت بجيشه على يد شاهرخ وقره عثمان الآق قوينلوي في سنوات 824 هـ / 1421 م⁽¹⁾ و 823 هـ / 1425 م⁽²⁾ و 833 هـ / 1429 م⁽³⁾ و 834 هـ / 1430 م⁽⁴⁾. وحاجة السلطان المملوكي الأشرف برسبائي إلى قوة اسكندر لمواجهة تهديد شاهرخ له باحتلال بلاد الشام لرفضه الكسوة التي أرسلها للكعبة المشرفة سنة 836 هـ / 1432 م⁽⁵⁾ وتكرار هذا التهديد سنة 839 هـ / 1435 م عندما رفض إقامة الخطبة له وضرب السكة باسمه⁽⁶⁾. وللأسباب المذكورة تواصل تبادل السفارات بين الطرفين فكان اسكندر من خلال قصاده يطلع الأشرف برسبائي على الوضع السياسي والعسكري لامارته والمواقف المستجدة مع شاهرخ واعدائه الآخرين، والأشرف برسبائي يثني عليه لمقاومته لشاهرخ وأحياناً يدعمه مالياً، ويعدّه بالمسير للقتال إلى جانبه ضد شاهرخ⁽⁷⁾. ولعل من المناسب ان نذكر السنوات التي أرسل فيها اسكندر سفاراته إلى الأشرف برسبائي وعددها سبع سفارات، ثلاث أرسلت سنة 825 هـ / 1422 م⁽⁸⁾، والرابعة سنة 833 هـ / 1429 م⁽⁹⁾، والخامسة سنة 836 هـ / 1432 م⁽¹⁰⁾، والسادسة والسابعة سنة 839 هـ / 1435 م⁽¹¹⁾ كما أرسل أسبان حاكم بغداد سفارة للأشرف برسبائي سنة 839 هـ / 1435 م يذكر فيها انه وشقيقه اسكندر يقاتلان شاهرخ⁽¹²⁾.

- (1) منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص151. مينورسكي: تاريخ تبريز: ص38.
- (2) ميرخواتند: المصدر السابق، م6، ص696-698. غفاري: تاريخ جهان اراء، ص249.
- (3) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص836. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج4، ص348.
- (4) ابن حجر: اتباء القمرا، ج3، ص461. مينورسكي: تاريخ تبريز، ص38.
- (5) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج4، ص368.
- (6) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص961، 969. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج5، ص73.
- طرخان: المرجع السابق، ص92.
- (7) عن دعمه مالياً والوعد بالدعم العسكري، ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج5، ص71.
- (8) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص618. الصيرفي: نزهة القفوس والأبدان، ج2، ص525.
- (9) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص823.
- (10) المصدر نفسه، ج4، ق2، ص897.
- (11) المصدر نفسه، ج4، ق2، ص963، 974. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج5، ص70-71.
- (12) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص962. الصيرفي: نزهة القفوس والأبدان، ج3، ص336.

ولا شك ان الأشرف برسباي كان من مصلحته الجدل في تعاونه مع اسكندر، لأن هذا التعاون سيعطي للمماليك القدرة على مواجهة التطور السياسي الجديد المتمثل باعلان كل من السلطان العثماني مراد الثاني وزعماء اماره بني قرمان وذو الغادر، تبعيتهم لشاهرخ سنة 839 هـ / 1435 م⁽¹⁾، فما ان توالى هزائم اسكندر على يد شاهرخ وحلفائه في سنوات 839 - 841 هـ / 1435 - 1436 م⁽²⁾ حتى هب برسباي لنجدته بقوة مملوكية ارسلت سنة 841 هـ / 1436 م إلى قلعة الانحاق⁽³⁾ التي كان محاصرها فيها، وما ان وصلت هذه القوة أرزنجان في طريقها إلى اسكندر حتى وصلها خبر وفاة الأشرف برسباي، فاضطرت للرجوع إلى الشام⁽⁴⁾، ولقي اسكندر اثر ذلك حثه⁽⁵⁾.

ومع تولي جهانشاه الحكم توقفت العلاقات القره قوينلوية مع المماليك بطبيعة علاقة شاهرخ معهم، بحكم تبعية جهانشاه له، وما ان تحسنت العلاقات التيمورية المملوكية سنة 847 هـ / 1443 م⁽⁶⁾ حتى اعلن جهانشاه عن رغبته في اقامة علاقة ودية مع المماليك، جاء ذلك بسفارتين أرسلهما إلى القاهرة في سني 847 هـ / 1443 م⁽⁷⁾ و 848 هـ / 1444 م⁽⁸⁾.

وقد تركت هاتان السفارتان أثرا طيبا في تعزيز العلاقات السياسية بين الطرفين في السنوات التالية حتى وصلت إلى مستوى جيد من التنسيق في اتخاذ المواقف الايجابية المتبادلة تجاه الأخطار التي كانت تهدد مصالحهما في المنطقة، ونرى ذلك من خلال:

أولا: ارسال جهانشاه سفارة إلى القاهرة مع هدية سنة 855 هـ / 1451 م، غرضها ابلاغ السلطان المملوكي بجمع بأن سبب دخوله ديار بكر كان لتأديب جهانكير الآق

(1) ابن تغري يردى: النجوم الزاهرة: ج15، ص63-64. مجهول: حوليات دمشق، ص145.

(2) عن هزائم اسكندر في هذه السنوات، انظر: المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص955-957، 960، 991، 1025.

(3) الانحاق: ويسمى المقرئزي بقلعة يلنجا، انظر: السلوك، ج4، ق2، ص1025، والتسمية الصحيحة الانحاق وقد سبق تعريفها.

(4) عاشق باشا زاده: المصدر السابق، ص247.

(5) خواتمير: المصدر السابق، م3، ص627. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص249.

(6) ترجع اسباب التحسن إلى موافقة السلطان المملوكي بجمع على نيل شاهرخ شرف اكساء الكعبة، عن ذلك، انظر: طرخان: المرجع السابق، ص93.

(7) السخاوي: التبر المسبوك، ص67.

(8) ابن تغري يردى: حوادث الدهور، ج4، ص10.

قوينلوي لخروجه عن طاعة السلطان وسوء سيرته، وقد لقي قصاص هذه السفارة الترحيب الحار وقررت لهم نفقة يومية مقدارها عشرة آلاف درهم، كما قبل السلطان طلبا لجهانشاه ان يكون ابن اخيه الذي كان من ضمن القصاص من جملة ممالك السلطان⁽¹⁾.

ثانيا: مقابلة السلطان المملوكي هذا الفعل الايجابي بان اتفق مع حاكم اماره ذي الغادر بعدم افساح المجال لجهانشاه باستغلال اراضي امارته وبلاد الشام ضد جهانشاه⁽²⁾. فأرسل سفارة إلى جهانشاه على رأسها قائم التاجر الذي صاحب قصاص جهانشاه في رحلة العودة، ومعه هدية ثمينة قيمتها خمسة عشر ألف دينار تقديرا لمواقفه المذكورة⁽³⁾.

ثالثا: في المقابل أرسل الأمير رستم مقدم عساكر جهانشاه إلى السلطان جقمق سفارة سنة 855 هـ / 1451م يعلمه فيها بان قواته قبضت في ديار بكر على الأمير بيغوت بن صفر خجا المؤيدي نائب حماة الذي كان قد تمرد على السلطان، وهو ينتظر ما يقرره السلطان بحق بيغوت، فكتب له السلطان جوابا بالشكر والتناء مع طلب بيغوت منه، فأستجاب رستم لطلبه⁽⁴⁾.

رابعا: ارسال جهانشاه سفارة إلى القاهرة في ذي الحجة سنة 856 هـ / 1452م هدفها اعلام السلطان بتمكنه من هزيمة بابور التيموري، ويضعف عساكر التيموريين لوقوع الوباء في خيولهم⁽⁵⁾. وسبقت هذه السفارة سفارة ارسلها بير بوداق بن جهانشاه في محرم سنة 856 هـ / 1452م تضمنت كتابا مع هدية للسلطان⁽⁶⁾.

ومع بداية سنة 857 هـ / 1453م حدثت متغيرات سياسية أثرت سلبا على العلاقات القره قوينلوية المملوكية، وتمثل ذلك بتنامي قوة العثمانيين في أعقاب اسقاطهم الدولة البيزنطية بفتحهم القسطنطينية سنة 857 هـ / 1453م وتوجههم شرقا لاستكمال السيادة على آسيا الصغرى، فاثار ذلك حفيظة الممالك الذي كان لهم نفوذ في هذه المنطقة، وحفيظة الآق قوينلو الساعين بالتوسع غربا، فحدث تقارب بين الآق قوينلو والممالك⁽⁷⁾ عندما أعلن حسن الطويل

(1) للمصدر نفسه، ج1، ص103. السخاوي: التبر المسبوك، ص345.

(2) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص95. السخاوي: التبر المسبوك، ص323.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص433. السخاوي: التبر المسبوك، ص345. الذيل التام، ص51.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج15، ص431-433.

(5) للمصدر نفسه، ج15، ص449.

(6) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص122-123. السخاوي: الذيل التام، ص59.

(7) الزهيري: العلاقات السياسية المملوكية، ص182.

تبعيته للسلطان المملوكي الأشرف إينال⁽¹⁾ بهدف صد العثمانيين، الأمر الذي أثار جهانشاه، ويهدف زعزعة هذا التقارب، أرسل جهانشاه سفارة إلى القاهرة في ذي القعدة سنة 860 هـ / 1455م يطلب فيها من السلطان المملوكي الأشرف إينال (857 - 865 هـ / 1453 - 1460م) تعزيز وضعه ضد حسن الطويل، ولكن طلبه رفض، كما رفض عتبه على السلطان لعدم مكاتبته⁽²⁾. ويبدو أن الممالك برفضهم طلب جهانشاه أرادوا تضيق دوره في المنطقة بعد أن أظهر اطماعا في ديار بكر التي كان للممالك نفوذ فيها، وما يعزز ذلك عدم اخفاء الأشرف إينال سروره عندما ورده في 18 رجب سنة 861 هـ / 1457م خبر انتصار حسن الطويل على جهانشاه⁽³⁾، واستقباله الحار في 11 شوال سنة 861 هـ / 1457م لقصد سفارة آق قوينلوية كانت تحمل اسلحة غنمها حسن الطويل من جهانشاه⁽⁴⁾.

ومع أن جهانشاه قد حاول عن طريق ابنه بير بوداق حاكم بغداد إزالة التوتر مع الأشرف إينال الذي استقبل قاصد بير بوداق سنة 861 هـ / 1457م بترحاب وأنعم عليه، وزوده بكتاب يليق بمرسله⁽⁵⁾، فإن المصادر لا تشير إلى حلول أي تحسن في العلاقات خلال السنوات التالية حتى انهيار دولة القره قوينلو بمقتل جهانشاه سنة 872 هـ / 1467م.

3- مع الامارة الجلائرية في شوشتر:

قبل الحديث عن العلاقات القره قوينلوية الجلائرية لابد من أن نشير إلى أن هناك من الدراسات الحديثة ما عد نهاية الامارة الجلائرية بمقتل السلطان أحمد سنة 813 هـ / 1410م واحتلال الشاه محمد بغداد سنة 814 هـ / 1411م⁽⁶⁾ والوقائع التاريخية لا تؤيد هذا الرأي، لأن دوندي خاتون التي سبقت الإشارة إلى دورها في مقاومة حملة الشاه محمد سنة 813 - 814 هـ / 1410 - 1411م قد تمكنت من جمع قسم من كيان الامارة الجلائرية المتقطعة الأوصال السائرة في طريقها إلى الانهيار تحت إدارة واحدة من جديد متخذة من شوشتر مركزا لها، وقد قدر لهذا الكيان أن ينجو حتى سنة 835 هـ / 1431م⁽⁷⁾.

(1) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص486-487.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص279-280. ابن الياس: المصدر السابق، ج2، ص56.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص108. السخاوي: الذيل التام، ص93.

(4) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص302.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص305.

(6) يياتي: للمرجع السابق، ص107. لين بول: المرجع السابق، ص523.

Brown: op. cit, Vol, 3, p. 173.

(7) ابن حجر: انباء الغمر، ج2، ص206، 484-485. الغياثي: المصدر السابق، ص136-137، 142-144.

وكانت أول خطوة اتخذتها دوندي في شوشتر ان اعلنت تبعتها لشاهرخ⁽¹⁾ بهدف سد الطريق على التيموريين لمهاجمة شوشتر، كما قامت بتصيب ابن زوجها السلطان محمود بن شاه شريكا لها في الحكم بهدف التغطية على حكمها الفعلي للجلالين⁽²⁾.

وجاء اول رد فعل قره قوينلوي على اعادة احياء الامارة الجلائرية في شوشتر من الشاه محمد حاكم بغداد الذي قام بمحاصرة شوشتر سنة 818 هـ / 1415م بهدف القضاء على الحكم الجلائري فيها، ولكن دوندي تصدت له وافشلت حملته⁽³⁾.

وبعد ان ارست دوندي دعائم سلطتها في شوشتر بقتلها السلطان محمود سنة 819 هـ / 1416م⁽⁴⁾ الذي كان على ما يبدو قد خطط لازاحتها عن الحكم، فانقلب كيده عليه، بدأت تستهدف مناطق العراق الجنوبية والوسطى مستغلة عدم وجود سلطة قوية في هذه المناطق، فتمكنت من انتزاع البصرة من مانع امير العرب سنة 820 هـ / 1417م⁽⁵⁾ بعد ان كان مانع قد انتزعها من حكم السلطان احمد الجلائري⁽⁶⁾، كما تمكنت من مد نفوذها على الحوزة والجزائر وواسط دون ان تعترضها اية قوة⁽⁷⁾، لأن الشاه محمد هو الذي أعطى اعداءه الذين طمعوا بملكه لتسريحه عسكره وانشغاله بالملذات⁽⁸⁾، ومنهم السلطان اويس بن شاه ولد -الذي كان قد حل محل دوندي في الحكم بعد وفاتها سنة 822 هـ / 1416م -⁽⁹⁾ لحصار بغداد في العشرة الاوسط من محرم سنة 824 هـ / 1421م⁽¹⁰⁾، وثمة روايتان عن نتائج الحصار الاولى

(1) اوق: المرجع السابق، ص136.

(2) المزوي: تاريخ العراق، ج3، ص42-43.

(3) للمقريزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص317. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص73.

(4) ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص206. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص242. السخاوي: الضوء

اللامع، ج12، ص16. ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص155. فطري: المصدر السابق، ص169-170.

(5) ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص206. المزوي: تاريخ العراق، ج3، ص43. ويذكر الصيرفي ان اويسا هو

الذي ملك البصرة سنة 820 هـ وهذا لا يتناقض ما ذكرناه في المتن لان اويسا كان على ما يبدو قائدا لحملة

والدته دوندي على البصرة، انظر: نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص399.

(6) المزوي: تاريخ العراق، ج3، ص43.

(7) ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص206. السخاوي: الضوء اللمع، ج12، ص16. ابن العماد: المصدر

السابق، ج7، ص155.

(8) الفياثي: المصدر السابق، ص248.

(9) ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص206. السخاوي: الضوء اللمع، ج12، ص16.

(10) الفياثي: المصدر السابق، ص138.

جاء بها الغياثي لتأكيد انسحاب أويس من حصاره لبغداد اثر تلقيه خبر اسكندر من تبريز لقتاله، ولكنه عاد بعد عدة اشهر ليستهدف بغداد ثانية، فتصدى له جهانشاه، وتمكن من قتله يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى سنة 824 هـ / 1421م⁽¹⁾، وتشير الرواية الثانية ومصدرها ابن حجر إلى ان أويس تمكن انتزاع بغداد من حكم الشاه محمد، وحكمها سبعة سنين حتى استرجعها منه الشاه محمد بعد حروب قتل في نهايتها السلطان أويس سنة 830 هـ / 1426م⁽²⁾. ويبدو لنا ان الرواية الأولى هي الأقرب إلى الواقع لأن مصدرها الغياثي وهو مؤرخ عراقي مطلع ومعاصر لتلك الاحداث مقابل، ابن حجر الذي كان بعيدا عنها لأنه من مؤرخي الدولة المملوكية فما يتقله من معلومات عن العراق لا يصل في مستوى دقته إلى دقة معلومات الغياثي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فمن المؤرخين الفرس من يدعم ما جاء به الغياثي ومنهم الغفاري الذي أكد مقتل السلطان أويس على يد جهانشاه⁽³⁾، وهذا هو ما يؤكد ايضا المؤرخ التركي فاروق سومر⁽⁴⁾، والمؤرخه الفارسية شيرين بياني اللذين يحدد تاريخ وفاة أويس سنة 824 هـ / 1421م⁽⁵⁾.

وقد ترك السلطان محمد خليفة السلطان أويس على حكم شوشتر بعد ان استهدفها ميرزا ابراهيم التيموري صاحب شيراز، وتقل بين واسط والجزائر ليستقر في الحلة التي دخلها يوم الاثنين رابع شهر رجب سنة 826 هـ / 1432م بعد ان طرد منها الامير درسون صاحب ديوان الشاه محمد الذي سبق له ان احتل الحلة⁽⁶⁾. وبعد ان ثبت السلطان محمد أقدامه في الحلة، قاد جيشه نحو بغداد وحاصرها من الجانب الغربي، لكنه لم يتمكن من دخولها، فاضطر إلى الانسحاب منها إلى الحلة، ليتوفى فيها بعد سنة وبالتحديد في يوم الاربعاء تاسع شهر شعبان سنة 827 هـ / 1423م⁽⁷⁾. وكان قبل

(1) المصدر نفسه، ص 138، 140.

(2) انباء الغمر، ج 3، ص 206، 388.

(3) انظر: التاريخ الغياثي، الهامش التحقيقي الثاني، ص 140. نقلا عن تاريخ جهارارا للغفاري.

(4) Sumer: A. g. e, i, cilt, ss, 130-131.

(5) تاريخ آل جلایر، ص 111. وانظر كذلك: زامباور: المرجع السابق، ص 377. ميتورسكي، مادة أويس الثاني: دائرة المعارف الاسلامية، (الترجمة العربية)، م 3، ص 166.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 141-142. خوافي: المصدر السابق، ج 3، ص 252. الحلي: المرجع السابق، ق 1، ص 102.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 142.

وفاته قد عهد بالحكم من بعده إلى السلطان حسين بن علاء الدولة بن السلطان احمد⁽¹⁾، فتقوى هذا بالانتماء إلى شاهرخ وتمكن من بسط نفوذه على الموصل واربيل وتكريت فضلا عن البصرة وواسط⁽²⁾.

وقد وجد أسبان في توسعات السلطان حسين تقويضا لهدفه في حكم ولاية بغداد لذلك أجل صراعه مع أخيه الشاه محمد، واتجه بقواته إلى الحلة، فتصدى له السلطان حسين عند المسيب ودارت معركة لاذ فيها أسبان هربا إلى الموصل⁽³⁾ - ويبدو ان هذه المعركة قد وقعت سنة 833 هـ / 1429م ويذكر ابن تغرى بردى ان أسبان تمكن من احتلال الموصل في هذا التاريخ⁽⁴⁾ - ولكن امراء السلطان حسين كاتبوا أسبان يدعونه لاحتلال الحلة نكاية بسلطانهم لأنه اعتدى على نسائهم، فاستجاب أسبان لهذه الدعوة وجمع عسكره وحاصر الحلة دون ان تعترضه القوة التي كان السلطان حسين قد أرسلها لقتاله ومن الطريف الذي يذكر ان امراء هذه القوة قد خاطبوا أسبان بالقول: 'نحن قادرون على اهلاك - عسكرك - ... لكن قلوبنا نافره عن سلطاننا اعبروا آمين'⁽⁵⁾. وبعد حصار دام ستة شهور منذ الثاني من شعبان سنة 834 هـ / 1430م⁽⁶⁾ تمكن أسبان من دخول المدينة في السابع والعشرين من عرم سنة 835 هـ / 1432م بعد ان استجاب السلطان حسين لدعوة امرائه في تسليم المدينة التي اضعفاها الجوع بسبب الحصار لقاء الوعد الذي منحه أسبان له بضممان حياته. ولكن أسبان لم يف بوعده، فقد قتل السلطان حسين غيلة في 3 ربيع الأول سنة 835 هـ / 1430م⁽⁷⁾ ومقتله سقطت الامارة الجلائرية نهائيا على يد أسبان القره قوينلوي.

(1) ابن حجر: انباء الغمر، ج3 ص484. الغياثي: المصدر السابق، ص142-143.

(2) ابن حجر: انباء الغمر، ج3 ص484-485.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص262.

(4) النجوم الزاهرة، ج14، ص348.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص262-263.

(6) المصدر نفسه، ص263. ويؤكد ابن حجر وابن تغرى بردى ان سنة 834 هـ هي التي وقع فيها الحصار دون

ان يذكر الشهر، انظر: انباء الغمر، ج3 ص485. النجوم الزاهرة، ج15، ص173.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص263-264. والمصادر للمملوكية تحدد تاريخ قتل السلطان حسين في الثالث من

صفر سنة 835 هـ انظر: ابن حجر: انباء الغمر، ج3 ص485. الصيرفي: نزهة القوس والأبدان، ج2،

ص242. السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص160.

الفصل الخامس

العراق في عهد الآق قويونلو (ذوالغنىم الأبيض)

أولاً : معركة موش ومقتل جهانشاه

ثانياً : احتلال الآق قويونلو للعراق

ثالثاً : حكومة بغداد الآق قويونلوية

الفصل الخامس العراق في عهد الآق قويونلو (ذوالقنم الأبيض)

أولاً : معركة موش ومقتل جهانشاه :

دأب جهانشاه منذ أن تخلص من تبعيته لشاهرخ سنة 850 هـ / 1446م⁽¹⁾ على تحقيق أهدافه التوسعية بإقامة دولة مترامية الأطراف على غرار الدولتين الإبلخانية والتمورية، فسخر، جميع إمكانياته لتحقيق هذا الهدف الذي قاده لاحتلال هراة سنة 862 هـ / 1458م⁽²⁾، وإذا كان قد فشل في الاحتفاظ بهذه المدينة فإنه نجح في الاستحواذ على مناطق نفوذ التيموريين في بلاد إيران حتى حدود خراسان⁽³⁾، كما نجح في ضم جورجيا بما فيها عاصمتها تفليس⁽⁴⁾، وأرمينيا⁽⁵⁾، ولم يبق من القوى القادرة على تحديده غير الآق قويونلو في ديار بكر والعثمانيين في بلاد الأناضول⁽⁶⁾ والمماليك في بلاد الشام ومصر، وإذا كانت علاقاته مع العثمانيين قد تحسنت بسبب توافق مصالحهم في معاداة حسن الطويل الآق قويونلو⁽⁷⁾، فإنه فشل في كسب المماليك إلى جانبه ضد حسن الطويل التحالف مع المماليك ضد العثمانيين⁽⁸⁾. لكن هذا الفشل لم يمنعه من العمل على تحقيق مراميه التوسعية في ديار بكر ولاسيما بعد أن أصبحت الفرصة مواتية له على أثر تآزم العلاقة بين المماليك والآق قويونلو سنة 870 هـ / 1465م بسبب مهاجمة

(1) يشير صاحب تاريخ قطب شاه إلى أن جهانشاه حكم (35) سنة بقي في (13) سنة منها تابعاً لشاهرخ الذي توفي سنة 850 هـ / 1446م وقضى السنوات الأخرى مستقلاً، انظر:

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

(2) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 356. الغياتي: المصدر السابق، ص 289.

(3) Barthold, V.V: Four Studies on the History of Central Asia " Tr. By v. ind T. Minorsky, Leiden E. J. Brill, 1962 ", Vol, 3, p. 13.

(4) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shags, p. 66. Savory: op. cit, p. 49 Typka, Jan: History of Iranian Literature, " Dordrecht- Holland ", p. 487.

(5) Minorsky: Jihan-Shah Qara Qoyunlu and his Poetry., pp. 279, 294. Romer: op. cit, Vol.6, p. 167.

(6) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p.66.

(7) Hinz: A.g.e, s, 44.

(8) انظر: مبحث العلاقات القره قويونلوية المملوكية.

حسن الطويل⁽¹⁾ والابليستين⁽²⁾ التابعتين⁽³⁾ للمماليك⁽⁴⁾ لذلك تحركت قطعاته العسكرية التي قدرت بنحو خمسين ألف مقاتل⁽⁵⁾ من تبريز باتجاه مناطق نفوذ الآق قويونلو في ديار بكر، وذلك في 10 شوال سنة 871هـ/ 1466م⁽⁶⁾.

أدرك حسن الطويل أن مواجهة جهانشاه في هذا الظرف السياسي المتأزم مع المماليك والعثمانيين فيه الكثير من المخاطر على إمارته. وفي محاولة منه لثني جهانشاه عن تقدمه باتجاه ديار بكر دعاه للتصالح بسفارتين أرسلهما إليه لهذا الغرض، ولكن جهانشاه كان مصراً على المواجهة⁽⁷⁾.

وبحلول نهاية شهر ربيع الأول سنة 872هـ/ 1466م كانت قوات جهانشاه قد اكتسحت سهول الأناضول الشرقية بما فيها مدينة موش⁽⁸⁾ دون أن تواجه أية مقاومة تذكر⁽⁹⁾، ولكنها لم تستطع إكمال تقدمها بحلول فصل الشتاء⁽¹⁰⁾، فاستقرت في سهول جابكور⁽¹⁾، بيد أن حسن

(1) خربت: وتعرف أيضاً بمحسن زياد وتقع في أقصى ديار بكر بينها وبين ملطية مسيرة يومين. انظر: ياقوت: المصدر السابق، ج2، ص 355.

(2) ابليستين: وتسمى أيضاً بالبستان، وتقع شرقي قيصرية وهي مدينة متوسطة الحجم. لسترنج: المرجع السابق، ص 175، 178-179.

(3) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج3، ص 500، 507-508. ابن أبياس: صفحات لم تنشر، ص 145، 157.

Romer: op.cit, vol. 6, p. 172.

(4) كان أمراء ذئ لغادر يحكمون هاتين المدينتين باسم المماليك، فما أن سيطر عليهما حسن الطويل حتى تأزم موقفه مع المماليك وهذا ما أشار إليه ابن تغري بردي بقوله 'كل أحد يحقق (أي يتوقع) وقوع العداوة بين السلطان وحسن بيك' ولا سيما بعد أن أمر السلطان نائب حلب بالتوجه إلى أعالي الفرات لاسترداد المدينتين. حوادث الدهور، ج3، ص 508.

(5) مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 175.

(6) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 407، 416-419.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Quth Shahs, p. 66.

(7) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 412، 414-415. خواندمير: المصدر السابق، ج4، ص 86.

(8) Romer: op.cit, Vol. 6, p. 173.

(9) Minorsky: The Middle East in Western Politics, p. 443.

(10) الغفاري: تاريخ نكارستان، ص 426.

Romer: op.cit, Vol. 6, p. 173.

الطويل كان يراقب التحركات العسكرية لجهانشاه عن كثب بواسطة جواسيسه الذين بثهم في المنطقة، وعلى ضوء المعلومات التي وردته منهم فوجيء بمحدث تطور عسكري مهم لصالحه تمثل بانسحاب معظم القطعات العسكرية القره قوينلوية إلى مشاتها بأوامر من جهانشاه، ولم يبق مع جهانشاه إلا مقدار ألف نفر من الأمراء النخاعة، ... ، ... وشرذمة قليلة من العسكر⁽²⁾، وقد حدث الانسحاب بسبب كثرة الثلوج، وصعوبة المسالك الجبلية، ولكون الدليل الذي قادهم في التقدم قد سلك بهم طريقاً رديئاً⁽³⁾. فوجد حسن الطويل في هذا التطور فرصة لانزال الهزيمة بجهانشاه، فأرسل مبعوثاً عنه لجهانشاه - تمهيداً لمكيدة قد أعدها له - يحثه فيها على الصلح، فاستقبل جهانشاه مبعوث حسن الطويل ووافق على ما جاء به⁽⁴⁾، وبذلك يكون حسن الطويل قد هيا لنياته العسكرية وأزال الشكوك التي كانت رائجة عنه ومنها ما قاله لجهانشاه خديريك - أحد أمراءه - مخذراً إياه من هجوم قوات حسن الطويل⁽⁵⁾.

وفي هذه الأثناء كان حسن الطويل قد قطع مسافة سبعة أيام من معسكره في خوى إلى منطقة جابكجور، واستقر في مكان لا يبعد سوى ساعتين أو ثلاث ساعات عن معسكر جهانشاه⁽⁶⁾. وتصف المصادر، الغفلة التي كانت تلف قوات جهانشاه، لاعتقادهم بسرطان الصلح القائم بينهم وبين حسن الطويل في حين كان الطويل على أهبة الاستعداد والتحضير للهجوم على معسكر جهانشاه، ففي ليلة الهجوم كان جهانشاه وأمراءه في خدرتام، ولمذات أنستهم التحوط من أية اعتداءات خارجية⁽⁷⁾ حتى قيل أن أحد جواسيس حسن الطويل قد تمكن من الوصول إلى خيمة جهانشاه دون أن يعترضه أحد⁽⁸⁾، الأمر الذي شجع أميره حسن الطويل على الانتفاض على قوات جهانشاه وذلك فجر 12 ربيع الثاني سنة 872هـ/

(1) Ibid., p. 173. Hinz: A.g.e, s, 43.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 294-295. وانظر كذلك: البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 103.
Romer: op.cit, Vol. 6. p. 173. Hinz: A.g.e, s, 43.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 294.

(4) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 66. Hinz: A. g. e, s, 42.

(5) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 410.

(6) Hinz: A.g.e, ss, 42-43.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 295. الغفاري: تاريخ نكارستان، ص 426-427. تاريخ جهان ارا، ص 250.
Romer: op.citl, p. 173. Hinz: A.g.e, ss, 43-44.

(8) Hinz: A. N. e, s, 43.

1466م⁽¹⁾ بجيش قوامه (12000) فارس⁽²⁾، وعن هذا الهجوم يذكر والتر هيزر بالاعتماد على رسالة أرسلها حسن الطويل إلى السلطان العثماني محمد الفاتح في أعقاب مقتل جهانشاه أن جهانشاه على الرغم من أنه تصدى لقواته لمدة ثلاثة أيام تمكن فيها من قتل عدد كبير من جنده وأمرائه، إلا أنه اضطر في النهاية للهروب إلى منطقة تدعى كيني ليلقي فيها حتفه⁽³⁾ على يد رجل من فرسان حسن الطويل يدعى اسكندر استلب منه ملابسه الثمينة وشارة الحكم وفرسه⁽⁴⁾.

وقد قتل في هذه المواجهة عدد كبير من عسكر جهانشاه منهم ولي عهده عمهدي وأمير ديوانه رسم ديه رسال، كما وقع في الأسر عدد كبير من الأمراء منهم ابنه الأمير يوسف الذي سمل حسن الطويل عينه⁽⁵⁾، أما رأس جهانشاه فقد أرسل إلى القاهرة⁽⁶⁾ للدلالة على تمكن حسن الطويل من عدوه.

(1) Romer: op.cit, Vol . 6. p. 173.

(2) اختلقت التقديرات في عدد قوات حسن الطويل المهاجمة، فأبو بكر الطهراني يقدرها بـ (12000) فارس، ديار بكري، ج2، ص 409. وهيتز يذكر أن (3000) مقاتل كان بأمره خليل بن حسن الطويل و(5000) مقاتل بأمره الأمير قاسم بروانجه كانت ثمة قوات أخرى لم يحدد عددها كانت بأمره حسن الطويل.

Uzun Hasan, s, 43.

أما الغفاري وصاحب تاريخ قطب شاه فيحددان العدد بـ (6000) مقاتل. انظر: تاريخ جهان اراء، ص 250. تاريخ نكارستان، ص 427.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

وأخيراً خواندمير قدرها بـ (2000) مقاتل. تاريخ حبيب السير، م4، ص 86.

(3) Uzan Hasan, ss, 42-44.

وانظر كذلك: الغياثي: المصدر السابق ص 295، 297. خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 86. الغفاري: تاريخ جهان اراء، ص 250. البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 103.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 86-87. البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 103.

(5) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 429. الغياثي: المصدر السابق ص 297. خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 86-87. الغفاري: تاريخ جهان اراء، ص 250. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 153. البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 103.

Hinz: A.g.e, s, 44. LA/ Kara Koyunlular, Maade si, 6, cilt, s, 303.

(6) أخطأ البديلي عندما ذكر أن حسن الطويل أرسل رأس جهانشاه إلى أبي سعيد التيموري حاكم خراسان. انظر: شرفنامه، ج2، ص 103. والصحيح ما ذكره ابن تقيي بردي والسخاوي من أن رأس جهانشاه

وهكذا كان مقتل جهانشاه بمثابة بداية النهاية السريعة لإمارة القره قوينلو التي انهارت نهائياً سنة 874هـ/ 1469م، وهذا هو ما سنفصل الحديث عنه لاحقاً.

ثانياً: احتلال الآق قوينلو للعراق:

أثار مقتل جهانشاه المفاجيء حالة من الإنقسام والصراع لدى الاسرة الحاكمة القره قوينلوية حول اختيار من يخلفه على سدة الحكم، ففي الوقت الذي تسابق الأمراء الناجون من معركة موش إلى قلعة ماكو، حيث أطلقوا سراخ حسن علي الذي كان مسجوناً فيه بأمر من والده جهانشاه ونصبوه زعيماً على القره قوينلو⁽¹⁾، نجد أن ييكم خاتون زوجة جهانشاه وبنات اسكندر اللواتي كن موجودات في تبريز قلن مرشحاً آخر هو حسين علي بن اسكندر ابن قره يوسف⁽²⁾، وأمام وجود مشرحين للزعامة كان لابد أن يحدث الصراع، وهذا هو ما حدث فعلاً ذلك أن المرشحين تناسيا تربص حسن الطويل بهما، فدخل في مواجهات عنيفة اضعفتها كثيراً⁽³⁾، فاستغل ذلك حسن الطويل وحرك قسماً من قطعاته العسكرية التي كانت بأمره خليي أغا التواجي⁽⁴⁾، لاحتلال العراق⁽⁵⁾، بعد أن كان قد مهد لذلك برسائل لحكام بعض المدن العراقية يرغبهم فيها بالدخول في طاعته، فاستجاب له حكام بعض قلاع الأكراد، كما

أرسل إلى القاهرة وعلق على باب زويله سنة 872. النجوم الزاهرة، ج6، ص 384. حوادث الدهور، ج3، ص 662، 663. الضوء اللامع ج3، ص 80. وأكد الغياثي ما جاء في المصادر المملوكية فقد أشار إلى أنه شاهد الرأس في حلب يوم السبت 7 جمادي الأولى سنة 872 هـ على يد فصاب حسن الطويل وهم في طريقهم إلى القاهرة. التاريخ الغياثي، ص 299.

(1) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 438. الغفاري: تاريخ جهان ارا، ص 250.

E.I./ II, S. V., Kara Koyunlular, Vol. 4, p. 588. I.A: Kara Koyunlular, Maade si, 6, cilt, s, 303.

(2) الغفاري: تاريخ جهان ارا، ص 250.

I.A: Kara Koyunlular, Maade si, 6, cilt, 303.

(3) عن تفاصيل هذه المواجهة، انظر: الغفاري: تاريخ جهان ارا، ص 250. مينوسكي: تاريخ تبريز، ص 43.

(4) خليل أغا التواجي: يرد ذكره بهذا الاسم وأحياناً باسم كور خليل بيك عن هذه التسميات، انظر: الغياثي:

المصدر السابق، ص 334، والهامش التحقيقي التاسع، وص 387-388.

(5) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 457، 537.

استجاب له شاه علي حاجيلو القره قوينلوي حاكم سنجان⁽¹⁾، في حين لم يرفض حاكم بغداد بير محمد التراجي هذا الطلب فقط، بل دعا أبا سعيد التيموري حاكم خراسان إلى أن يتسلم بغداد⁽²⁾، ولكن أبا سعيد لم يحرك ساكناً لانشغاله بأمر دعوة حسن علي التحالف معه للتصدي لحسن الطويل⁽³⁾.

وقد تمكن خليل آغا من أن يحكم سيطرته على مدن العراق الشمالية الكبرى الموصل، أربل، سنجان، فضلاً عن قلعة فولاذ⁽⁴⁾، وبعد أن نظم الحكم في هذه المدن بتعيين حكام عليها، منهم شاه علي حاجيلو الذي استند إليه حكم أربل بينما أبقى الموصل تحت حكمه المباشر⁽⁵⁾، شرع في العمل على استكمال احتلال باقي مناطق شمال العراق، فأرسل الشهباز محمد بيك ومعه الأمير سعاد يارمع (2000) مقاتل إلى جهات العراق الشمالية الغربية، فتمكنت هذه القوة بعد عمليات نهب وقتل من أن تفرض سيطرتها على هذه المناطق⁽⁶⁾، كما قام هو ومعه الشهباز مقصود بيك بن حسن الطويل بمحاولة إخضاع قلعة خفتيان التي تعرضت لتوابعها لعمليات النهب، ولكن تفصلى حاكمها الأمير رستم أوران أفضل محاولته لاحتلالها⁽⁷⁾. أما العمادية وتوابعها، وقد كانت تحكم من قبل إمارة بهدنيان وحاكمها السلطان حسن، فيبدو أن القوات الآق قوينلوية لم تتعرض لها حتى سنة 875هـ/ 1470م، وفي هذه السنة هناك من يذكر أن الأمير سليمان بك ييزن أوغلي قاد قوات حسن الطويل على العمادية لاحتلالها، فتوغل في الإمارة واحتل قلعتي العقر والشوش، ثم حاصر العمادية مدة ثلاثة أشهر، لكن جهوده باءت بالفشل وانقلب عليه الأمر، فقد هاجته قوة مؤلفة من عشائر الزيارية والبروارية والنهلاية

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 457، 467. وأشار الغياثي إلى أن سبب استجابة شاه علي لدعوة حسن الطويل ترجع إلى تلمعه من حسن علي بسبب أفعاله المشينة، وحدد تاريخ دخوله في تبعية الطويل بـ 4 صفر سنة 873هـ. التاريخ الغياثي، ص 330.

(2) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 457-458. علي: دولة الآق قوينلو، ص 7.

(3) اسفرازي، معين الدين محمد زنجي: روضات الجنات في أوصاف مدينة هراة، تصحيح وحواشي: سيد محمد كاظم إمام، انتشارات دانشگاه تهران، ج2، ص 282.

Minorsky: The Qara Aoyunlu and the Quth Shahs, p. 69.

(4) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 457.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص 457، 537.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص 458.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص 537. وخفتيان تقع شمال أربل.

الكردية ليلاً، وتمكنت من قتل أكثر من ألف جندي من جنوده، الأمر الذي حمله على الانسحاب⁽¹⁾.

ويلاحظ أنه في الوقت الذي كان الأمير خليل أغا التواجي يقوم بمحاولته في استكمال احتلاله لشمال العراق، كان حسن علي بن جهانشاه قد أحكم سيطرته على بلاد أذربيجان بما فيه العاصمة تبريز باستثناء قلعة النجق (الأنجاق) التي كان قد التجأ إليها أعوان ابن عمه المقتول حسين علي⁽²⁾، ومنهم ييكم خاتون⁽³⁾، ومن تبريز بدأ حسن علي يعمل على بسط نفوذه على باقي الولايات التي سبق أن كانت خاضعة لحكم والده جهانشاه⁽⁴⁾ ومنها بغداد، ويهدف استمالة حاكمها بير محمد التواجي إلى جانبه وتعزيز صمود المدينة ضد أية محاولة آق قوينلوية لاحتلالها، أرسل لبيير محمد التواجي خزائنه من المال كان قد استولى عليها في أثناء دخوله تبريز⁽⁵⁾.

ويشير أبو بكر الطهراني إلى أن خطط حسن الطويل العسكرية كانت تستهدف أولاً احتلال أذربيجان ولاسيما تبريز بوصفها معقل السلطة القرة قوينلوية قبل بغداد، لكن تلقية طلب استغاثة من قضاة واعيان بغداد بانقاذهم من جور الحاكم القرة قوينلوي، هو الذي دفعه إلى تغيير خطته والتوجه نحو بغداد⁽⁶⁾ التي حاصرها في 20 رجب سنة 872هـ / 1468م ودام الحصار (55) يوماً⁽⁷⁾ لم يفلح فيها في دخولها لقوة الاستحكامات التي أقامها حاكمها بير محمد⁽⁸⁾، فاضطر يوم الجمعة 15 رمضان سنة 872هـ / 1468م إلى الانسحاب منها بعد أن هجر

(1) البديلي: المصدر السابق، ج1، ص 104. فريخ: المرجع السابق، ص 138. العباسي، محفوظ: العباسيون

بعد احتلال بغداد دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990، ص 64.

(2) الواقع أن حسن علي صفى تقريباً معارضييه من أبناء أسرته وهذا هو ما أشار إليه الغيائي باقتضاب، انظر: التاريخ النياي، ص 328. وعن قتلهم شقيقه أبا القاسم وبنات اسكندر مع شقيقهن حسين علي، والأمير حمزة شقيق زوجة أبيه، ولم يبق من معارضييه سوى ييكم خاتون. وعن تفاصيل ذلك، انظر: أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 434. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 154.

(3) الغيائي: المصدر السابق، ص 328.

(4) الغفاري: تاريخ جهان آراء، ص 251.

(5) الغيائي: المصدر السابق، ص 327.

(6) ديار بكري، ج2، ص 458.

(7) الغيائي: المصدر السابق، ص 331. وحدد أبو بكر الطهراني مدة الحصار بأربعين يوماً، انظر ديار بكري، ج2، ص 458-459.

(8) أبو بكر الطهراني: المصدر نفسه، ج2، ص 458.

سكان القرى المحيطة بها إلى ديار بكر⁽¹⁾ بهدف إضعافها، وتوجه بقواته إلى أذربيجان بعد تلقيه طلباً من ييكم خاتون باتخاذها من حسن علي لقاء تسليمها له بعض خزائن جهانشاه التي يجوزتها مع قلعة النجق (الأنحاق) التي كانت محتمية بها⁽²⁾.

لم يستقر المقام طويلاً بدير محمد التواجي في حكم بغداد بعد فك حسن الطويل الحصار عنها إذ ما لبث أن توفي⁽³⁾ مريضاً يوم الاثنين ثاني رجب سنة 873هـ/1469م بعد أن كان قد أمضى في حكم بغداد ستين وثمانية شهور⁽⁴⁾، وكان قبل وفاته قد أوصى بالحكم من بعده للأمير حسن علي بن زينل الباراني⁽⁵⁾ الذي باشر الحكم يوم وفاة بدير محمد⁽⁶⁾. وخلال مدة حكم حسن علي بن زينل القصيرة لبغداد التي لم تدم سوى تسعة شهور لوفاته سنة 874هـ/1469م⁽⁷⁾ لم تتعرض بغداد إلى أية محاولة آق قوينلوية لاحتلالها لأن معظم قواتهم كانت قد حشدت استعداداً للمواجهة الكبرى مع حسن علي بن جهانشاه.

وبخصوص هذه المواجهة، هناك من يشير إلى أن حسن علي قد حشد جيشاً يفوق في العدد جيش حسن الطويل⁽⁸⁾، واتفق عليه مالأ عظيم⁽⁹⁾، وعلى الرغم من هذا التفوق العددي، وعلى الرغم من ضخامة هذا الجيش إلا أن أمراء القره قوينلو كانوا ينظرون إلى قائدهم حسن علي باستخفاف⁽¹⁰⁾ نظراً لحماقته ولوثة عقله، وضعف شخصيته، وتصرفاته

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 329، 331، 380.

(2) المصدر نفسه، ص 380.

(3) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 338.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 331.

(5) حسن علي بن زينل: يلقيه أبو بكر الطهراني بالباراني ولكنه يذكره باسم حسين علي بدل حسن علي وأضاف بأنه أصبح حاكماً على بغداد خلفاً لدير محمد انظر: ديار بكرية، ج2، ص 538.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 332.

(7) المصدر نفسه، ص 333.

(8) عن ضخامة جيش حسن علي، انظر: الغياثي: المصدر نفسه، ص 329. خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 87. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 154.

Uzuncarsili: Anadolu, s, 185.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص 329. خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 87.

(10) LA/ Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 304.

المشيئة⁽¹⁾. وفي المواجهة التي حدثت بينهما سنة 873هـ/ 1468م عند منطقة خوى خسر حسن علي المعركة وهرب إلى أبي سعيد التيموري حاكم خراسان⁽²⁾ يستحثه على المساعدة لطرده حسن الطويل من أذربيجان لقاء إعلان تبعيته له⁽³⁾. وقد استجاب أبو سعيد لهذه الدعوة، وقاد قواته من خراسان باتجاه أذربيجان، وفي المواجهة مع حسن الطويل دارت الدائرة على أبي سعيد الذي قتل في أسر حسن الطويل سنة 873هـ/ 1468م⁽⁴⁾، أما حسن علي فكاد يقع في الأسر، ففضل الانتحار على الأسر⁽⁵⁾، وذلك في شوال سنة 873هـ/ 1469م⁽⁶⁾.
بانهيار الحكم القره قويونلوي في أذربيجان وإيران⁽⁷⁾ لم يسبق للقره قويونلو مناطق نفوذ سوى بغداد، ويبدو أن بغداد كانت قد تخلت عنهم أيضاً، فحاكمها الجديد شاه منصور بن زينل الذي وصفه الغياثي بأنه كان ظالماً غشوماً جاهلاً قد ذهب ضحية نزواته أكابر العسكر والناس الأبرياء، وكان لا هم له سوى الفسق بالنساء⁽⁸⁾. وأمام حاكم بهذه الشاكلة لا يتظر ابتداء أية مقاومة ضد القوات الآق قويونلوية التي تحركت بقيادة خليل أغا ومقصود بيك من الموصل باتجاه بغداد لاحتلالها. وما إن وصلت هذه القوات التون كبري حتى أرسل خليل أغا رسولاً إلى شاه منصور يقول له 'ما تقول فقد جنتاك قال : ما أقول ! أقول أن البلد بلد حسن

(1) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 460. الغياثي: المصدر السابق ص 327-328، 330. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 153.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 330، 380-381. الغفاري: تاريخ جهان آراء، ص 251.

LA/ Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 304.

(3) يذكر افرازي أن حسن علي بعد اندحاره على يد حسن الطويل تعهد لأبي سعيد بأن يمنحه حكم أذربيجان والعراق ويلاذ الجبل وفارس مع كنوز بلاده، فضلاً عن الخطبة والسكة باسمه في حال مساعدته في طرد حسن الطويل من بلاده. انظر : روحدات الجنات، ج2، ص 282.

(4) للتفاصيل عن هذه المواجهة ومقتل أبي سعيد انظر: خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 88-89.

اسفرازي: المصدر السابق، ج2، ص 283-289. خامبري: المرجع السابق، ص 276.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 330-331، 381. الغفاري: تاريخ جهان آراء، ص 251.

LA/ Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 305.

(6) الغفاري: تاريخ جهان آراء، ص 251.

(7) بعد أن اندحر أبو سعيد سيطر حسن الطويل على جميع بلاد إيران، انظر:

Savory: op.cit, p. 52.

(8) التاريخ الغياثي: ص 334.

يك تعالوا تسلموه'. وقد أبدى استسلامه الكامل لهم بخروجه لاستقبالهم عند قرية دوخله⁽¹⁾، وأقام لهم فيها مأدبة إفطار، فكان تصرفه هذا موضع إنكار من قبل أفراد عسكره الذين تركوه وانضموا إلى معسكر خليل أغا نكاية به وانقاداً لأزواجهم⁽²⁾.

ودخل العسكر الآق قوينلوي بغداد ومعهم شاه منصور- الذي سلبوا منه كل شيء - حتى أنهم قد أخذوا الفرس الذي تحته ...، وأعطوه اكديشاً ما يتحرك من موضعه وأركبوه ...، ولم يتعرضوا لأهالي بغداد بأذى أو نهب، وبعد مرور سبعة أو ثمانية أيام على احتلالهم بغداد جرت محاكمة شاه منصور بتهمة قتل عدداً كبيراً من الرعية في أثناء فترة حكمه، فأدانته القضاة بحضور خليل أغا وحكم عليه وعلى أخيه برام بيك بالموت ونفذ فيهما الحكم، وطرخوا جيشهما في الميدان وذلك في يوم الاثنين 14 جمادي الآخرة سنة 874هـ / 1469م كما قتلوا في اليوم نفسه اثنين من أعوانه هما درويش ذو النون وعبدالله الأسود، وبمقتل شاه منصور الذي حكم بغداد شهرين واثنين عشر يوماً انقرض الحكم القره قوينلوي نهائياً في العراق⁽³⁾.

ثالثاً: حكومة بغداد الآق قوينلوية:

بعد أن أحكم حسن الطويل سيطرته على جميع الولايات التي كانت تابعة للقره قوينلو، نقل عاصمته من أمد إلى تبريز، وأصبح العراق ولاية تدار من هذه العاصمة كما كان في عهد القره قوينلو⁽⁴⁾.

ويبدو أن ولاية العراق في هذه الحقبة لم تستأثر كثيراً باهتمام الآق قوينلو، لذلك فالمعلومات عنها قليلة، وهذا ما يؤكد الغيائي، وهو مؤرخ معاصر بقوله 'ما اتصل إلينا شيء من توارخهم إلا القليل'⁽⁵⁾. والقليل مرتبك أحياناً لا يتعدى في كثير منه ذكر أسماء حكام بعض المدن كبغداد والحلة، وحوادث تتعلق بالمشعشين، أما باقي المدن العراقية فالمعلومات عنها تنقطع ما عدا الموصل التي سيرد ذكر لها في نهاية عهد الآق قوينلو.

وتشير للمعلومات عن حكومة بغداد إلى أن حسن الطويل بعد أن تلقى خبر احتلال قواته ببغداد، أصدر قراراً من شيراز التي كان موجوداً فيها بتعيين ابنه مقصود بيك حاكماً عليها على أن يشاركه كل من خليل أغا التواجي الملقب بكور خليل، وقور خس بيك بن محمد

(1) دوخله: من قرى قضاء الخالص وقد اندرست الآن.

(2) المصدر السابق، ص 334-335.

(3) المصدر السابق، ص 335-336.

(4) Romer: op.cit, Vol. 6, pp. 174, 176. Savory: op.cit, p. 52.

(5) التاريخ الغيائي، ص 337.

يك⁽¹⁾. وما لبث خليل آغا أن توفي بعد سنة وبالتحديد ليلة الجمعة سادس شهر جمادي الآخرة سنة 875 هـ / 1469م فحل محله خليل بك اخو قور خمس والاثنتان ابنا عم حسن الطويل⁽²⁾. ويلاحظ خلال مدة حكم هؤلاء الأمراء أن أوضاع العراق بشكل عام وبغداد بشكل خاص كانت مستقرة نوعاً ما، وذلك جزء من استقرار للحالة العامة لمعظم الولايات التابعة لحسن الطويل⁽³⁾ الذي كان قد كرس الكثير من وقته لحل المشكلات الداخلية لإمارته وعلى حد قول الغياثي فإنه لم يغادر من أمور العدل شيئاً يقدر عليه إلا فعله⁽⁴⁾، ولعل قانونه الذي عرف باسمه في الشكاوى والتخاصم وتقليله نسبة الضرائب التي مستطرق إليها لاحقاً كان سبباً لهذا الاستقرار الذي لم تعكره سوى حادثة واحدة تمثلت بالتمرد الذي قاده ابنه أوغرلو محمد عليه سنة 879هـ / 1474م⁽⁵⁾ وتأيد ولده الآخر مقصود بك حاكم بغداد لهذا التمرد عندما سهل لشقيقه أوغرلو- الذي كان لاحقاً عند السلطان العثماني محمد الفاتح- مهمة الزحف على بغداد⁽⁶⁾. ولكن خليل بك تصدى له، ولم يتمكن من بغداد، فاضطر أوغرلو للهرب إلى اقليم بلاد الجبل حيث قتل هناك بأمر من حسن الطويل سنة 880هـ م 1475م⁽⁷⁾، أما مقصود بك فقد عزل عن الحكم وسفر إلى بلاد فارس ليكون تحت رقابة شقيقه الآخر السلطان خليل⁽⁸⁾.

(1) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، ج2، ص 539. الغياثي: المصدر السابق، ص 387. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 239.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 388. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 241.

(3) Romer: op.cit, Vol. 6, p. 182.

(4) التاريخ الغياثي، ص 392.

(5) يشير الحمداني محقق كتاب التاريخ الغياثي إلى أن العلاقة بين أوغرلو وأبيه لم تكن طيبة منذ سنة 874هـ لاعتقاد أوغرلو بأن والده لم ينصفه باقطاعه ولاية أصفهان، لذلك توجه إلى السلطان العثماني محمد الفاتح، وفي سنة 879هـ استلم تقريراً مزوراً عن وفاة والده ودعي ليتبوأ العرش مكانه فاحتل شيراز، ولكن والده قبض عليه. انظر: التاريخ الغياثي، المامش التحقيقي السادس، ص 388.

(6) مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 249. وانظر كذلك: الغياثي: المصدر السابق، ص 388.

Romer: op.cit, Vol. 6, p. 180.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 388-389. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 249. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 249. وحدد البديسي مقتله بسنة 879هـ الشرفنامه، ج2، ص 107 في حين ذكر الغفاري بأنه قتل سنة 881هـ تاريخ جهان آراء، ص 253.

(8) العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 241.

ويلاحظ أن دوافع خليل بيك من تصديه لا وغرلو لم تكن إلا بقصد الإنفراد بحكومة بغداد، لذلك غضب عليه حسن الطويل وعزله عن الحكم وعين بدلاً عنه شاه علي الذي باشر الحكم يوم الجمعة 6 رمضان سنة 879هـ / 1475م أما الأمير المعزول فقد عين حاكماً على الحلة⁽¹⁾، وكان هذا التعيين مصيدة له، إذ ما أن استقر في الحلة، حتى أرسل حسن الطويل جماعة للقبض عليه، ولكن خليل بيك تمكن من الهرب في اللحظات الأخيرة إلى القائم وذلك في 7 جمادي الأولى سنة 880هـ / 1475م ومنها إلى المشعشع فحل محله في حكم الحلة الأمير حمزة⁽²⁾.

وقد مكث شاه علي ستين وعشرة شهور حاكماً على بغداد، ثم عزل عنها وحل محله إبراهيم الوزير الذي باشر الحكم أوائل رجب سنة 882هـ / 1477م فلم يستقر في الحكم سوى شهر وبضعة أيام لي عزل لمصلحة أمير آخر هو الشيخ حسن الذي تسلم مهامه يوم الاثنين 17 شعبان سنة 882هـ / 1477م⁽³⁾، وفي عهده حدثت تطورات سياسية كان لها أثر على الحالة الأمنية لولايته تمثلت بوفاة حسن الطويل بتاريخ 27 رمضان سنة 882هـ / 1477م⁽⁴⁾ ووقوع خلافات بين أولاده الخمسة على السلطنة⁽⁵⁾، فاستغل المولى محسن بن محمد المشعشع الذي كانت إمارته قد اتسعت كثيراً⁽⁶⁾ هذا التطور فأرسل نائبه على الرماحية إلى أطراف الحلة بحجة

(1) الغياني: المصدر السابق، ص 389.

(2) المصدر نفسه، ص 389-390. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 250.

(3) الغياني: المصدر السابق، ص 390.

(4) المصدر السابق، ص 391. البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 107. وحيد السخاوي وابن العماد وفاته بشهر رجب أو جمادي الآخرة سنة 882هـ. الضوء اللامع، ج3، ص 112-113. شذرات الذهب، ج7، ص 334.

(5) Kafes Oglu: A.g. e, s, 884.

(6) شملت هذه الإمارة في عهد المولى محسن أكثر توابع شيراز وعبادان والدوق والسواحل الشرقية للخليج العربي حتى بندر عباس وجميع البنادر (المواني) إلى حدود فارس، ثم كوه قیلویه ودهشت ورامهرمز وامتدت شمالاً فشملت شوشتر والبختارية ولورستان وبيات ويشكنوه وكرمشاه وسيمرا (الصميرة) ويهبهان. انظر: نورس، علاء موسى كاظم، ورؤوف، عماد عبد السلام: إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982، ص 23.

تعقب عدد من أتباعه الفارين منه، ووصل هذا إلى ناحية قنابقا قرب الحلة، فهب وقتل جماعة من آل جحيش وآل جوذر التي تقع مضاربهم في هذه المنطقة ثم قفل راجعاً إلى بلدته⁽¹⁾. ويبدو أن عدم تصدي الشيخ حسن للمشعشين أثار غضب سلطان الآق قوينلو خليل بن حسن الطويل فعزله، وعين بدلاً عنه كلاي بن أمير بك الشهر بتوقات بايندر، فوصل هذا بغداد في 23 ربيع الأول سنة 883هـ / 1478م⁽²⁾ وفي عهد هذا الحاكم عاود المشعشعون تحرشاتهم بمناطق نفوذ الآق قوينلو في العراق لاسيما أطراف بغداد التي تعرضت يوم الأربعاء 19 جمادى الآخرة سنة 883هـ / 1478م إلى غارة مشعشعية قادها المولى محسن الذي تمكن من دخولها والخالص متزلاً النهب والقتل والأسر فيها لمدة ثمانية أيام ارتحل بعدها عائداً إلى الرماحية⁽³⁾.

ويبدو أن غارات المشعشين جاءت بهدف اختبار مدى قوة حاكم بغداد الذي لم يتخذ من الاجراءات في التصدي لهم غي قتل حاجي ناصر القتباني وأولاده بحجة تعاونهم مع المشعشين⁽⁴⁾.

عزل كلاي عن حكومة بغداد يوم 15 ذي الحجة سنة 883هـ / 1479م⁽⁵⁾ ويبدو أن أسباب عزله على يد السلطان يعقوب الذي كان قد اعتلى عرش السلطنة⁽⁶⁾ في شهر جمادى الأولى سنة 883هـ / 1479م⁽⁷⁾ كان بسبب إخفاقه في التصدي للمشعشين.

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 394. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 285-295. اشتور: المرجع السابق، ص 350.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 390 وهاشم المحقق رقم (3)، ص 395. وانظر: البديلي: المصدر السابق، ج1، ص 416.

Reid, James, J: Tribalism and Society in Islamic Iran 1500-1629 "

Malibu, California, 1982 ", p. 101.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 394. اشتور: المرجع السابق، ص 350-351.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 395.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

(6) جاءت تولية السلطان يعقوب بعد مقتل أخيه السلطان خليل، الذي لم يدم حكمه سوى ثمانية شهور قبل أن يقتله أحد جنود السلطان يعقوب في يوم الأربعاء 14 ربيع الثاني سنة 883هـ. انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 392-393 والهاشم التحقيقي الأول، من ص 393. والغفاري: تاريخ جهان أرا، ص 253-254. البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 108.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 393.

وفي غضون ذلك كان المماليك يراقبون عن كثب التطورات الحاصلة في العراق فوجدوا أن التدهور الناجم عن كثرة التغيرات الحاصلة على حكومة بغداد ونجاح غارات المشعشين، واختلاف عسكر الآق قوينلو على السلطان يعقوب فرصة مؤاتية على ما بدا لهم للسيطرة على العراق، فاعدوا حملة عسكرية كبيرة بقيادة الدويدار الكبير الأمير يشبك⁽¹⁾، الذي قاد الحملة المشار إليها باتجاه الرها سنة 885هـ / 1480م كهدف أولي ينطلق منه للسيطرة على العراق⁽²⁾.

ولكن هذه الحملة اصطدمت عند مشارف الرها بتحشدات آق قوينلوية قوية أسفرت عن هزيمة ماحقة للجيش المملوكي⁽³⁾، وهي على حد وصف ابن آياس لها كانت مصيبة عظيمة مهولة قل أن يقع مثلاً لعسكر مصر بحيث إن حوافر الخيل كانت لا تظاً إلا على جثث القتلى من العسكر⁽⁴⁾.

وإذا كان المماليك بهذه الهزيمة قد غصوا الطرف عن السيطرة على العراق فإن المشعشين استمروا في سعيهم لتحقيق هذا الهدف، فلم تقطع غاراتهم على مناطق نفوذ الآق قوينلو فيه وأدت هذه الغارات إلى اضطراب أوضاعه سياسياً واقتصادياً، ولمعالجة ذلك أرسل السلطان يعقوب جيشاً كبيراً تمكن من كسر شوكتهم، وذلك سنة 889هـ / 1484م⁽⁵⁾.

(1) يذكر ابن آياس أن الأمير يشبك تعرض لإغرامات بهدف السيطرة على العراق منها ما قال له أحد الأعاجم المطلعين على أحوال العراق من أن مملكة الآق قوينلو سائبة وأن العسكر يختطف على ابنه يعقوب ومتى حاربهم لا يقدروا على محاربتك ويسلموك مملكة العراق قاطبة. فاستجاب الأمير يشبك لهذا الإغراء. وقد بلغ تعداد الحملة عشرة آلاف مقاتل ونفقاتها أكثر من مائة ألف دينار. تاريخ ابن آياس، ج2، ص 195، 198. وانظر: السخاوي: النيل النام، ص 266.

(2) ابن آياس: المصدر السابق، ج2، ص 195، 198.

(3) للإطلاع بشكل مفصل على هذه المعركة، انظر: ابن آياس: المصدر نفسه، ج2، ص 198-199. البديسي: المصدر السابق، ج2، ص 109. والصيرفي ذكرها باختصار، انظر: أنباء الدهر بآباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، دار الفكر العربي، 1970م، ص 507-508. طرخان: المرجع السابق، ص 138-139. الجواهرري: المرجع السابق، ص 39-42.

(4) ابن آياس: المصدر السابق، ج2، ص 199.

(5) القرمانلي: المصدر السابق، ص 337. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 268. اشتور: المرجع السابق، ص 351. ويشير الشوشري إلى أن المشعشين لم يتعرضوا لبغداد بعد حملة السلطان يعقوب عليهم حتى سنة 914هـ وفي هذه السنة تعرضت بغداد لإحدى غاراتهم، ولكن حاكم بغداد الصفوي تصدى لها، وقتل السيد محمد ابن المولى محسن. انظر: مجالس المؤمنين، ج2، ص 401.

توفي السلطان يعقوب سنة 896هـ / 1490م⁽¹⁾، وبوفاته اضطربت أحوال الآق قوينلو، بسبب صراع الأبناء على السلطة⁽²⁾، وكان لحاكم بغداد شاه علي برناك دور فيها بدعم ابقاء العراق تحت زعامة محمود بيك بن اوغرلو محمد، وكان محمود هذا قد عارض سلطة بايسقر بن يعقوب⁽³⁾.

ويلاحظ أن محمود بيك ما أن وطد سلطته في العراق حتى أخذ يستهدف مناطق نفوذ بايسقر ومنها ناحية دركزين وبيروجرد⁽⁴⁾، ولكن الأمير صوفي خليل قائد عسكر بايسقر تصدى له وتمكن من قتله وقتل شاه علي⁽⁵⁾. ولكن الأوضاع السياسية لم تستقر كثيراً لمصلحة بايسقر، فقد أطلق بعض الأمراء الآق قوينلو سراح منافسه الآخر رستم بيك بن مقصود بن حسن الطويل الذي كان مسجوناً في قلعة النجق (الانجاق) ودعموه بجيش كبير تمكن به من دحر بايسقر الذي التجأ إلى حاكم شيروان فرخ يسار أواخر شهر رجب سنة 897هـ / 1491م. أما رستم بيك فإنه قصد تبريز وأعلن تسلطه فيها وجاءته الوفود من العراق وفارس وباقى الولايات لتقديم الهدايا وفروض الطاعة⁽⁶⁾.

واستمر رستم بيك سلطاناً على الآق قوينلو حتى مقتله سنة 902هـ / 1496م على يد كوده أحمد بن اوغرلو محمد الذي حل محله في السلطنة⁽⁷⁾، ولكنه ما لبث أن قتل أيضاً على يد بعض أمرائه وذلك سنة 903هـ / 1497م بعد حكم دام ستة شهور⁽⁸⁾.

(1) ابن طولون، شمس الدين محمد: مفاتيح الخللان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1962، ق1، ص 137. البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 114. ابن العماد: المصدر السابق، ج7، 359.

(2) البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 114. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 178. وعن تفاصيل هذا الصراع، انظر: العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 280-286.

(3) مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 178. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 285-286.

(4) دركزين وبيروجرد: مدينتان تقعان في إقليم بلاد الجليل الأولى تقع شمال همدان والثانية جنوبها. لسترنج: المرجع السابق، ص 231، 235. وانظر: الحارطة قبالة ص 239. المصدر نفسه.

(5) البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 144. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 178. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 285-286.

(6) البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 114-115. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 178. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 287-288.

(7) روملو، حسن بيك: أحسن التواريخ، تصحيح: عبدالحسين نوائي فرمكتستان أدب و هنر، إيران، ص 27. البديلي: المصدر السابق، ص2، 116.

ومقتل كوده أحمد انقسمت إمارة الآق قوينلو إلى أجزاء عديدة يحكم كل جزء أمير مستقل، مراد بن يعقوب في شيروان، والوند بن يوسف في أذربيجان، وأخوه محمدي في يزد⁽²⁾. أم العراق فقد اشتدت المنافسة عليه بين مراد بن يعقوب ومحمدي اللذين دخلا في مواجهة عسكرية أسفرت نتيجتها عن مقتل محمدي واستيلاء مراد على العراق، وذلك سنة 905هـ / 1497م⁽³⁾ باستثناء الموصل التي استقل فيها حاكم ديار بكر أمير يك بن الأمير كلاي بن توقمان حتى الاحتلال الصفوي لها⁽⁴⁾.

(1) البديلي: المصدر نفسه والصفحة. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 178. لين يول: المرجع السابق، ج2، ص 540.

Minorsky: The Aq-Qoyunlu and Land Reforms " B. S. O. A. S., vol. XVII, part 3, 1955, " p. 460.

(2) المزوي: تاريخ العراق، ج3، ص 302-303. لين يول: المرجع السابق، ج2، ص 540.

(3) مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 179. المزوي: تاريخ العراق، ج3، ص 305.

(4) Reid: opcit, p. 101. Minorsky: Asoyurghal of Qasim B. Jahangir Aq-Qoyunlus " B. S. O. A. S., vol. IX, Part 4, 1939 " p. 936.

والبديلي يسميه أمير خان بن كلاي يك بن أمير بك الشهير بتوقات بابتدور، ويذكر أنه كان حاكماً لارزجان على عهد حسن الطويل، وأصبح في أواخر عهد الآق قوينلو حاكماً لديار بكر. انظر: الشرفنامه، ج1، ص 461، ج2، ص 127، ووردت التسمية عند حسين محمد القهواتي باسم عمر بيك، ولعله تحريف لأمير بيك. انظر: العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب بجامعة بغداد، 1975م، ص 41، والهامش الثاني. وتشير المعلومات إلى أن هذا الأمير قد أعلن إنضمامه إلى الشاه إسماعيل الصفوي. انظر: علي، علي شاكز: ولاية الموصل في القرن السادس عشر، دراسة في أوضاعها السياسية والإدارية والاقتصادية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل 1992، ص 37.

وخلال هذه الأحداث تعاضمت قوة الصفويين بزعامة إسماعيل الصفوي⁽¹⁾، الذي لم يتأخر عن استغلال فرصة انشغال الآق قوينلو بمشكلاتهم وصراعاتهم الداخلية ليحل محلهم. فقد جيشه سنة 905هـ / 1499ز نحو شيروان فضمها لمملكته⁽²⁾، ثم تحرك نحو تبريز، وفي المواجهة مع الوند حاكم أذربيجان سنة 907هـ / 1506م تمكن من إنزال هزيمة ساحقة به أعقبها احتلاله تبريز⁽³⁾. أما الوند فقد فرّ مذعوراً إلى بغداد ومنها إلى ديار بكر ليقتل هناك⁽⁴⁾، كما أن مراد قد تلقى أيضاً هزيمة قاسية على يد الصفويين قرب همدان وذلك يوم السبت 24 ربيع الأول سنة 908هـ / 1502م، فالتجأ إلى بغداد التي كان يحكمها نائباً عنه باريك بيك برناك⁽⁵⁾. وبهذه الانتصارات يكون الشاه اسماعيل قد أحكم سيطرته على جميع مناطق نفوذ الآق قوينلو في بلاد إيران، وأصبح العراق هدفاً حتمياً له.

(1) إسماعيل الأول الصفوي: مؤسس الدولة الصفوية في إيران ينحدر من أسرة من الدراويش استقرت بآردبيل من أعمال أذربيجان منذ عهد الشيخ صفي الدين إسماعيل جبرائيل. وقد دعم حسن الطويل هذه العائلة على أثر طرد جهانشاه القره قوينلو أحد أبنائها المدعو جنيد ققبل لجوؤه عنده وزوجه اخته التي ولد منها حيدر، فتزوج حيدر بنت حسن الطويل فولدت منه إسماعيل، فتمكن هذا بما امتلك من مكانة اجتماعية بوصفه رجلاً دينياً وصاحب حنكة سياسية من جمع أتباع كثيرين حوله مؤلفاً منهم جيشاً يسمى قزل باشي لأنهم كانوا يلبسون القلانس الحمراء وقادهم بعد أن حلت الفوضى بإمارة الآق قوينلو في أواخر عهدها في الإستيلاء على مناطق نفوذ هذه الإمارة في إيران والعراق، وللنفايل، انظر: البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 118-120. جمعة، بديع وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الراية العربي، ج1، ص 28-31. الشبي، كامل مصطفي: الفكر الشيعي والتزعات الصفوية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، ط1، مكتبة النهضة، بغداد 1966م، ص 393-410. هيوار: مادة اسماعيل الأول: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، ج2، ص 175.

(2) البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 120. الشوكاني: المصدر السابق، ج1، ص 271. لونكريك، ستيفن هيلي: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الحياط، ط5، مكتبة اليقظة العربية بغداد 1985م، ص 31.

(3) البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 120. بروكلمان: المرجع السابق، ص 497. الشبي: المرجع السابق، ص 409.

Dafes Oglu: Ak-Koyunlu devleti, s, 884.

(4) لونكريك: المرجع السابق، ج2، ص 31.

Romer: op.cit, Vol. 6, p. 183.

(5) البديلي: المصدر السابق، ج2، ص 121، 128. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 308.

أخذ مراد يعقوب يتشبث بالمعونة من جميع الجهات، ولكنها لم تأت من أحد، فالمماليك الذين قصدهم لم يسعفوه⁽¹⁾ لأن أوضاعهم السياسية لم تساعدهم على تقديم العون له بسبب انشغالهم في مواجهة الخطرين العثماني⁽²⁾ والبرتغالي⁽³⁾، كما أن إمارة ذي لغادر التي كان أميرها علاء الدولة قد تحالف معه لم يستطع أن يسانده لأن الصفويين قد اكتسحوا بلاده⁽⁴⁾. وأمام هذا الإخفاق فضل الالتجاء إلى بلاط السلطان العثماني ليقم هناك⁽⁵⁾ تاركاً أمر بغداد وتقرير مصيرها لنائبه فيها الأمير باريك، ولكن باريك لم يظهر ما يدل على وجود رغبة جادة في المقاومة على الرغم من عدم امتثاله لرغبة الشاه في مقابلته⁽⁶⁾، ولذلك فهو ما أن سمع بأن إسماعيل الصفوي قد أرسل حملة لاحتلال العراق بقيادة حسين بك لاله حتى هرب تاركاً بغداد تواجه مصيراً قاسياً على يد الصفويين الذين احتلوا سنة 914هـ / 1508م⁽⁷⁾. وبذلك طويت صفحة من صفحات الاحتلال الأجنبي للعراق لتبدأ صفحة أخرى أكثر دموية ومقتاً.

-
- (1) ابن أبياس: المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، 1961، ج7، ص 773-774.
(2) الحمداني: طارق نافع: علاقات المماليك المصريين بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع ق 16م، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد الخامس، العدد 17، 1985، ص 156.
(3) دارج، أحمد السيد: المماليك والفرنج في القرن 9هـ / 15م، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961، ص 127.
فهيم: المرجع السابق، ص 13. قهواتي: العراق بين احتلالين، ص 42.
(4) القهواتي: العراق بين احتلالين، ص 39-41.
(5) لونكر: المرجع السابق، ص 31.

Romer: opcit, Vol. 6, p. 183.

- (6) كان الشاه إسماعيل قد أرسل قاصداً عنه إلى باريك، فقبول القاصد بمظاهر الاحترام والتكريم وأعلن باريك للقاصد بأنه طائع متقاد للشاه وأرسل من طرفه رسواً عنه ومعه هدايا وتحف لتأكيد طاعته ولكن الشاه إسماعيل الذي عامل الرسول بلطف ورفض الهدايا وطلب أن يأتي باريك بنفسه طامعاً. وذلك هو ما أثار مخاوف باريك الأمر الذي دفعه على تحصين بغداد ثم مالبث أن ترك هذا الأمر هارياً إلى مدينة حلب.
الزواوي: تاريخ العراق، ج3، ص 314-315. قهواتي: العراق بين احتلالين، ص 43-47. الجواهرري: المرجع السابق، ص 55-56.
(7) ابن أبياس: المختار من بدائع الزهور، ج7، ص 774. البديسي: المصدر السابق، ج2، ص 128. الزواوي: تاريخ العراق، ج3، ص 315. لونكر: المرجع السابق، ص 31. علي: دولة الآق قويونلو، 17.

الفصل السادس

الإدارة والجيش

أولاً: الإدارة:

- 1- التقسيمات الإدارية
- 2- طرق الإدارة وأساليبها
- 3- الجهاز الحكومي

ثانياً: الجيش

الفصل السادس الإدارة والجيش

أولاً: الإدارة:

1- التقسيمات الإدارية:

سبق أن أشرنا فيما تقدم إلى أن العراق كان في العهد الأيلخاني يقع ضمن ثلاث ولايات هي: ولاية العراق العربي، وولاية ديار بكر، وولاية بلاد الجبل، وكان لكل ولاية حاكمها الخاص المرتبط بصورة مباشرة بالسلطان، أما الشؤون العامة فكانت تأخذ طابعاً مستقلاً خاصاً بها. وظلت هذه التقسيمات سارية في العهد الجلائري⁽¹⁾، بيد أن القره قوينلو لم يأخذوا بهذه التقسيمات، فالمعلومات المتوفرة تشير إلى أن العراق في بداية عهدهم جرى توحيله بولاياته الثلاث تحت إدارة واحدة هي إدارة الشاه محمد الذي مدّ نفوذه إلى شمال العراق بما فيه شهرزور⁽²⁾ ونصب ابنه شاه علي حاكماً على الموصل واربيل⁽³⁾، وأعطى حكم كركوك وداقوق وهيت للمقرين إليه⁽⁴⁾. وفي أواخر عهد اسبان كانت صورة العراق الموحد أكثر وضوحاً، فقد امتدت مناطق نفوذ اسبان من سنجار وتل اعفر والموصل واربيل شمالاً حتى الحوزة وأطراف البصرة جنوباً⁽⁵⁾. وبقيت هذه الحالة قائمة كذلك في عهد محمدي وبير بواقد أولاد جهانشاه⁽⁶⁾.

ويبدو أن الوضع الإداري ظلّ على حاله في عهد الآق قوينلو، إذ لم يرد في المصادر ما يشير إلى حدوث أي تغيير إلا في المدة التي شهدت نهاية حكمهم بسبب الاضطراب السياسي وصراع الأمراء على السلطة، فانفصلت الموصل عن تبعيتها لبغداد وأصبحت مركزاً لولاية ديار بكر⁽⁷⁾.

(1) عن بقاء التقسيمات الإدارية الأيلخانية قائمة في العهد الجلائري، انظر: العاني: المرجع السابق، ص 41.

(2) Minorsly: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(3) الخوافي: المصدر السابق، ج3، ص 207.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 253. وبالنسبة لهيت، انظر: الخوافي: المصدر السابق، ج3، ص 207.

(5) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 271-276. الشوشتري: المصدر السابق، ج2، ص 398-399.

(6) بسبب غارات آل فضل والشعشعين لم تكن سلطة حكومة بغداد كاملة على المدن العارقية، فقد انتزع الكثير من المدن العراقية لاسيما الغربية والجنوبية من حكم هؤلاء. ولكن جيشاً مدّ القره قوينلو نفوذهم كانوا يلحقون إدارة المدن ببغداد.

(7) Reid: op.cit, 101.

2. طرق الإدارة وأساليبها:

تشير المعلومات المتوفرة عن هذا الجانب إلى أن تعيين الحكام والموظفين في تلك المدة كان يتم بالشكل الآتي:

- أ- يجري تعيين حاكم الولاية من قبل الحكومة المركزية في تبريز.
 - ب- ويجري تعيين حكام المدن والموظفين في الغالب من قبل حكومة الولاية، وقلمًا كانت الحكومة المركزية تتدخل في هذه التعيينات باستثناء تعيين قره يوسف لابنه أبي القاسم حاكماً على تكريت سنة 814هـ / 1411م⁽¹⁾ وتعيين جهانشاه لابن أخيه الوند حاكماً على الموصل سنة 850هـ / 1446م⁽²⁾، وتعيين حسن الطويل الأمير حمزة حاكماً على الحلة سنة 880هـ / 1475م⁽³⁾.
- ولم يختلف أسلوب الإدارة في ذلك العهد عنه في العهدين الأيلخاني والجلاليري، فقد بقي القره قوينلو والاق قوينلو يجمعون بين إقطاع الولاية وإدارتها وكانت تقع على حكامها من المقطعين مسؤولية تحصيل الموارد المالية لمصلحة الحكومة المركزية، بعد إقطاع جزء منها لحكومة الولاية أو المقاطعة، كما تقع عليهم أيضاً مسؤولية ضبط الأمن وتهيئة الجند عند الحاجة⁽⁴⁾، ولنا في ذلك أمثلة، فقره يوسف قد أقطع الشاه محمد ولاية بغداد مدة عشرين سنة⁽⁵⁾، فعندما امتنع محمد عن تسليم ما بلّته من أموال للحكومة تبريز غزا قره يوسف واستصفى أمواله سنة 823 هـ / 1420 م⁽⁶⁾، وحدث للسبب نفسه غزو جهانشاه لبغداد في عهد بير بواق سنة 869 هـ / 1464 م. وفي المقابل كان حاكم الولاية يقطع المدن التابعة له لابنائه وأعوانه والمقرين له، فقد كانت الدجيل أولكة إقطاعاً لمرزا علي ثم أصبحت لاسبان، وكركوك للوند⁽⁷⁾، كما كان باقي المدن العراقية تدار بأسلوب الإقطاع⁽⁸⁾.

(1) Sumer: A.g.e, 1, cilt, s, 85.

(2) النياي: المصدر السابق، ص 305.

(3) المصدر نفسه، ص 390.

(4) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 300.

(5) Minorsky: The Qara Qoyunlu and Qutb Shahs, p. 60.

(6) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق1، ص 533. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص 98.

(7) النياي: المصدر السابق، ص 250-251، 280.

(8) انظر: المصدر نفسه، ص 253، 262، 267، 269.

وقد استمر الآق قوينلو على هذا النظام الذي غلبت عليه تسمية السيورغال⁽¹⁾، ولم يعد منح السيورغال مقتصرأ على أبناء الأسرة الحاكمة وأمراء الجيش، بل شمل العلماء من رجال الدين، ومع أننا لا نملك معلومات عن تملك هؤلاء العلماء سيورغالات في العراق، فقد علمنا أن اردستان⁽²⁾ كانت سيورغالأ لأفراد من هؤلاء العلماء، الذين كانت لهم سيورغالات كبيرة أيضاً في اصفهان⁽³⁾.

3- الجهاز الحكومي:

لم يتخلص القره قوينلو من نظمهم العشائرية في إدارة الإمارة والولايات التابعة لها، فقد بقي الحكم في نظرهم إرثأ مشتركأ يتقاسمه أبناء العائلة الحاكمة ولا يجوز لأحد من غيرهم أن يشاركهم فيه⁽⁴⁾. وكان رئيس العشيرة الذي يسمى اولوباى هو الحاكم الفعلي للإمارة ويمجري انتخابه عن طريق أفراد العشيرة الحاكمة⁽⁵⁾، قره يوسف كان اولوباى القره قوينلو ولم يلقب نفسه بسلطان واكتفى بلقب نوبان⁽⁶⁾ اعظم⁽⁷⁾، في حين لقب ابنه بير بوادق بلقب سلطان سنة 810هـ/ 1407م⁽⁸⁾ وكان دافعه إلى ذلك اسباغ الصفة الشرعية على حكم ابنه ليسوغ توسعه على حساب الجلالتين كما تقدم ايضاح ذلك في الفصل الثاني. ومع أن اسكندر لم يلقب نفسه بلقب سلطان⁽⁹⁾، مكثياً بمنصب اولباى، فإن جهانشاه تلقب بهذا اللقب⁽¹⁰⁾، وكذلك تلقب حكام الآق قوينلو ابتداءً من عهد السلطان حمزة بلقب سلطان⁽¹¹⁾، انسجامأ مع روح العصر وشعروأ بالعظمة.

وكان الاولوباى أو السلطان يقيم في مركز الإمارة تبريز، يساعده في حكم الولايات الشاهزادكية أبناء الاولوباى أو السلطان فجميع حكام العراق كانوا من أبناء قره يوسف

(1) عن السيورغال، انظر: الفصل الاقتصادي.

(2) اردستان: مدينة حصينة تقع في إقليم بلاد الجبل. لسترنج: المرجع السابق، ص 243.

(3) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and Land Reforms, p. 454.

(4) علي: الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض، ص 265.

(5) Uzuncarsili: Anadolu, s, 199.

(6) عن لقب النوبان، انظر: مبحث الجيش.

(7) Uzuncarsili: Osmanle Devleti, ss, 286, 288, 290.

(8) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 576. منجم ياشي: المصدر السابق، م3، ص 150.

(9) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 288.

(10) Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 280.

(11) الغياثي: المصدر السابق، ص 373، 375.

وأحفاده، وكان على هؤلاء الأبناء 'الشاهزادكية' الرجوع إلى الاولويائي أو السلطان في كل أمر يتعلق بالحرب والسلام⁽¹⁾، كما كان عليهم حضور مجلس القوريلتاي⁽²⁾، لتتصيب أحد الأمراء في السلطنة⁽³⁾، أو لمناقشة أمور الأمانة، كما تقع عليهم مسؤولية إمداد حكومة المركز في تبريز بالعسكر عند الحاجة، وقد كان في عهد القره قوينلو أو الآق قوينلو - على حد سواء - ديوان مركزي يشرف على جميع أمورهما ويوسف المشرف عليه، بأنه المصاحب، الأعظم⁽⁴⁾، أو الصدر⁽⁵⁾، وفي نهاية عهد الآق قوينلو أطلق عليه اسم الوزير الأعظم⁽⁶⁾. وتتبع هذا الديوان دواوين متخصصة هي:-

أولاً: ديوان الاستيفاء⁽⁷⁾ : ومسؤولياته ضبط الصادرات والواردات والموازنة بينهما، ويسمى الذي يتولاه : مستوفي الممالك⁽⁸⁾.

ثانياً: ديوان النيشان: ومسؤولياته كتابة الأوامر والفرامين⁽⁹⁾، ويسمى متوليه بروانجي أعلى، ويجب أن يكون على إطلاع واسع بالخط والإملاء وترتيب المعاني⁽¹⁰⁾، وصاحب هذا المنصب، يقابل كاتب الإنشاء عند الجلالتين⁽¹¹⁾.

ثالثاً: ديوان التواجي: ويتخصص بقضايا الإدارة والتموين، فضلاً عن مسؤوليات أخرى، كما سئرى ذلك في مبحثنا عن الجيش.

رابعاً: ديوان الصدر: ويتخصص بالوظائف الدينية، كما سئرى ذلك لاحقاً.

(1) Uzuncarsili: Anadolu, ss, 199-200.

(2) القوريلتاي: كلمة منغولية تعني المؤتمر العام الذي يحضره جميع الحكام والأمراء.

(3) يذكر فاروق سومر أن قره يوسف استدعى جميع حكام الولايات والأمراء لحضور قوريلتاي تتصيب ببر بوداق سلطانا على القره قوينلو.

Kara Koyunlular, 1, cilt, ss, 89-90.

(4) Uzuncarsili: Anadolu, s, 200.

(5) Hinz: A. g. e, ss, 87-88.

(6) A. n. e., s, 87.

(7) Uzuncarsili: Anadolu, s, 200.

(8) A.n.e, s, 201. Hinz: A. g.e, s, 200.

(9) Uzuncarsili: Anadolu, s, 200.

(10) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 299.

(11) العاني: المرجع السابق، ص 100.

ويقابل هذا الموضع الإداري في المركز ترتيب مصغر مثله في الولايات، ففي العراق كان الشيخ درسون أمير ديوان الشاه محمد⁽¹⁾، وكان الخواجه بير أحمد وزيراً لاسبان والمسؤول عن استيفاء الأموال⁽²⁾، كما كان علي كيوان وزيراً لبير بواق⁽³⁾، وشاه علاء الدين وزيراً لحاكم بغداد الآق قوينلوي خليل بيك⁽⁴⁾.

ومثلما كان للاولوي أو السلطان نواب ينوبون عنه في حال غيابه عن مركز الإمارة تبريز⁽⁵⁾، كان لحكام الولايات من ينوب عنهم، فقد عهد اسبان لسعاد تيار نيابة بغداد في أثناء مدة غيابه في شمال العراق⁽⁶⁾، وعهد بير بواق بهذه المهمة للأمير سيدي محمود في أثناء وجوده في شيراز⁽⁷⁾، ويشير فاتر هيتز إلى أن منصب النائب، أو الوكيل من ضمن المناصب الإدارية التي كانت قائمة في عهد السلطان يعقوب الآق قوينلو⁽⁸⁾. ويذكر الفلقشتندي أن واجبات النائب ويسميه نائب الغيبة ليس إلا لأخذ الثوائر وخلاص الحقوق⁽⁹⁾.

وكان سلاطين القره قوينلو والآق قوينلو يعمدون إلى جعل أولادهم صفار السن حكاماً على الولايات والمدن ليتعلموا ويمتلكوا خبرة الحكم يساعدهم في ذلك أمراء من ذوي الخبرة في الإدارة، وكان هؤلاء المساعدون يسمون لالا⁽¹⁰⁾، وتقع على اللالا تبعة حكم الولاية

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 249. وكان للشاه منصور زينل حاكم بغداد ديوان لم يذكر الغياثي من تولاه. انظر: ص 335 من كتاب: التاريخ الغياثي.

(2) المصدر السابق، ص 268.

(3) المصدر نفسه، ص 308.

(4) المصدر نفسه، ص 390.

(5) تولى الأمير علي كوجك سنة 812هـ نيابة تبريز في أثناء مدة غياب قره يوسف عنها في شرق الأناضول، وقد تولى الشاه محمد هذا المنصب أيضاً نائباً عن والده علي تبريز سنة 813هـ انظر: خواندمير: المصدر

السابق، م3، ص 576-577.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 267.

(7) المصدر نفسه، ص 308.

(8) Uzun Hasan, s, 88.

(9) صبح الأعشى، ج4، ص 17-18.

(10) لالا: كلمة فارسية تعني الخادم أو الرعي. انظر: طلائي: المرجع السابق، ص 521. وهذا المصطلح يقابل مصطلح الاتابك الذي يتعهد بتربية أولاد السلاطين وتدريب شؤون المملكة. انظر: الفلقشتندي: صبح الأعشى، ج4، ص 18، ج6، ص 5. العاني: المرجع السابق، هامش 97، ص 123-124.

لأنه المسؤول الأول عن إدارتها⁽¹⁾ فقد عين الشاه محمد ابنه صغير السن شاه علي حاكماً على الموصل وأربيل سنة 814 هـ / 1411م وجعل حسن أغا لالا عليه⁽²⁾. وفي سنة 850 هـ / 1446م عين جهانشاه ابنه الصغير السن محمد علي ولاية بغداد، وجعل تدبير المملكة بيد الأمير عبدالله كبر فكان هو الحاكم والمتولي، وما كان لمحمدي غير الاسم⁽³⁾. وكان خليل بيك لالا للشاب مقصود بيك بن حسن الطويل حاكم بغداد⁽⁴⁾.

وعلى غرار حكومة المركز كانت لحاكم الولاية مجموعة من الموظفين أيضاً، ومنهم:-
أولاً : المهردار: وتقع عليه مسؤولية ملازمة الحاكم في حله وترحاله، كما أنه المسؤول عن حياته الخاصة⁽⁵⁾، وعن تولى هذه المسؤولية الأمير حسين شاه الذي كان مهرداراً لحاكم بغداد بير بوداق⁽⁶⁾.

ثانياً : مير أخورد: وهو المسؤول عن اصطبل الحاكم⁽⁷⁾، وله صلاحية إعطاء الخلع للأشخاص عن هم دون منصبه⁽⁸⁾. ومن بين الذين تقلدوا هذا المنصب في عهد اسبان الأمير حسن⁽⁹⁾.

ثالثاً : جاندار: وهو الذي يستأذن لدى دخول الأمراء للخدمة، ويدخل أمامهم إلى الديوان⁽¹⁰⁾ ويقدم البريد⁽¹¹⁾. ويؤكد أوزن جارشلي أن هذا المنصب كان قائماً في حكومة القره قوينلو ويضيف أن واجباته كانت تتداخل مع واجب المردة دار، أي الحاجب ومع واجب المصاحب أي النديم⁽¹²⁾.

(1) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 291.

(2) الخوافي: المصدر السابق، ج3، ص 207.

Sumer: A. g. e, I, cilt, s, 89.

(3) النياي: المصدر السابق، ص 288، 205.

(4) الغفاري: تاريخ جهان آرا، ص 253.

(5) Uzuncarsili: Omanli Devleti, s, 291.

(6) النياي: المصدر السابق، ص 310.

(7) الفلشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 18-19.

(8) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 291.

(9) النياي: المصدر السابق، ص 279.

(10) الفلشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 20-21.

(11) Uzuncarsili: Anadolu, s, 201.

(12) A. n. e, s, 201.

رابعاً : أمير كاؤليه: ويقابله عند الماليك أمير الاستادارية⁽¹⁾، وعند الجلالتين أمير الباورجيه⁽²⁾. وواجباته الإشراف على مطبخ السلطان أو الحاكم وتقديم الطعام والشراب له⁽³⁾، وربما كلفوه ببعض المهام الخطيرة، فقد أرسل جهانشاه ثلاثة من كاؤليه إلى بير بوداق لحثه على إنهاء تمردة عليه والخروج من شوستر وذلك سنة 866هـ/ 1461م⁽⁴⁾.

خامساً : ركبدار: أي صاحب الركاب⁽⁵⁾، ومروض الجياد، وقد تقلد هذا المنصب في عهد قره يوسف الأمير حجي كوجك⁽⁶⁾.

سادساً : المهندار⁽⁷⁾ : ووظيفته تلقي الرسل الواردين إلى دار الإمارة أو الولاية وإنزالهم في دار الضيافة والتحدث بأمرهم⁽⁸⁾، وكان يعقوب شاه بن اسطا علي الارزنجانبي مهنداراً لاسكندر ابن قره يوسف⁽⁹⁾.

سابعاً : رقيب دارك وهو عين الحاكم على كل صغير وكبير⁽¹⁰⁾.
ثامناً : الاناق: وواجبه تنظيم عملية الاتصال مع حكام المدن التابعين للولاية⁽¹¹⁾.

تاسعاً: الداروغه: أي الحاكم العسكري للمدينة وتتداخل سلطته مع سلطة الشحنة التي تقارب وظيفة مدير الشرطة في وقتنا الحاضر، وواجباته الأساسية القضاء على

(1) المصدر نفسه، ج4، ص 13، 21-22.

(2) العاني: المرجع السابق، ص 78.

(3) الغياني: المصدر السابق، ص 290، وهامش المحقق رقم (14) من الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص 290، 317.

(5) المصدر نفسه، ص 335، وهامش المحقق رقم (2) من الصفحة نفسها .

(6) خواندمير. المصدر السابق، م3، ص 576.

(7) المهندار: بالفارسية معناها الضيف. طلائي: المرجع السابق، ص 552.

(8) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 22.

(9) السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص 280-281.

(10) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 294.

(11) A. n. e, s, 294. Uzuncarsili: Anadolu, s, 201.

حوادث الفتن والعصيان وأعمال الشغب⁽¹⁾، ومن تولى هذه المسؤولية الأمير بسطام الذي كان حاكماً للحلة وشحنة لها سنة 857هـ/ 1453م⁽²⁾. ويطلق على جميع هؤلاء الأمراء مصطلح أمراء النوكرية أي الملازمين لخدمة السلطان أو الحاكم، والغياثي يرد هذا المصطلح كثيراً في معرض حديثه عن أمراء القره قوينلو⁽³⁾. وكانت هناك وظائف مالية أقل مرتبة من الوظائف التي ذكرناها آنفاً، منها وظيفة توشمال، وواجهه الإشراف على عملية جمع الضرائب والرسوم وإرسالها إلى ديوان الاستيفاء⁽⁴⁾. ويبدو أن صاحب هذه الوظيفة هو نفسه التماجي⁽⁵⁾ أو المحصل. وكان في بعقوبة تماجي اسمه إبراهيم أعدمه الشاه محمد لتأمره عليه⁽⁶⁾، وفي بغداد في عهد بير بوداق أستوفى التماجي فضيل من أهلها قسراً ماله كثيراً فأثروا عليه وقتلوه⁽⁷⁾، وكذلك وظيفة مجيب الغلة التي كانت معروفة في عهد إسبان وتقع على متوليها مسؤولية توفير الغلة لاجل عليق خيل الصكر في أثناء مدة الحرب⁽⁸⁾.

أما الوظائف الدينية التي كانت ترتبط بديوان الصدر فهي:-

أولاً: قضاء القضاة:

وموضوع هذه الوظيفة كما يشير القلقشندي التحدث في الأحكام الشرعية وتنفيذ قضايها، والقيام بالأوامر الشرعية، والفصل بين الخصوم ونصب النواب للتحدث فيما عسر على قاضي القضاة مباشرته بنفسه، وهي أرفع الوظائف الدينية وأعلىها قدراً وأجلها رتبة⁽⁹⁾. وقد كان لولاية بغداد قاضي قضاة، وكذلك للموصل، ويبدو أن ارتباطهما كان بقاضي قضاة المملكة في مركز الإمارة في تبريز.

(1) عن الدراغة والشحنة، انظر: خلاصتي: المرجع السابق، ص 369. العاني: المرجع السابق، ص 101، وهامش رقم (57)، ص 63.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 309.

(3) انظر: التاريخ الغياثي، ص 140، 279-280، 310، 315، 322-323، 325.

(4) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s. 301.

(5) التماجي: مشتق من التما، والتما كلمة مغولية تعني الضريبة والمشراف على تحصيلها يسمى تماجي. عن ذلك، انظر: خلاصتي: المرجع السابق، ص 190.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 250 الجدول.

(7) المصدر نفسه، ص 318.

(8) المصدر نفسه، ص 271-272.

(9) صبح الأعشى، ج4، ص 34-35.

ولم يكن لهؤلاء القضاة حرية الرأي فقد عذّب قاضي قضاة بغداد تاج الدين أحمد بن محمد بن أحمد الحنفي البغدادي (571-834هـ / 1350-1430م) وجدع أنفه لتعرضه لفساد قرة يوسف وأولاده⁽¹⁾، وفي الموصل توفي علي يد إسمان للسبب نفسه جراء العقوبة القاضية محمد بن طاهر بن قاضي قضاة الموصل شمس الدين بن يونس الموصلية في سنة 833هـ/1429م⁽²⁾.

وفي عهد الآق قوينلو، ونظراً لتقرب سلاطينهم من علماء الدين نال القضاة حرية الحركة وعهد للبعض منهم كقاضي قضاة المملكة وكان يدعى عيسى مهمة الاشتراك مع الوزير الديلمي في إصلاح النظام المالي للإمارة وذلك على عهد السلطان يعقوب⁽³⁾، ويبدو أن قضاة الولايات المرتبطين به قد شاركوه في هذه المهمة.

وكانت أصول جميع من تولى هذا المنصب في العراق محلية، وهذه دلالة على أن أمور الشرع الإسلامي بقيت بأيدي السكان المحليين، ففي الموصل انحصر هذا المنصب في عائلة ابن يونس الموصلية⁽⁴⁾، وعن تولوا منصب قاضي قضاة بغداد فضلاً عن تاج الدين المذكور آنفاً القاضي علاء الدين علي بن شمس الدين محمد بن أبي الفتح الكتاني الحنبلي⁽⁵⁾، والقاضي مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الحنفي⁽⁶⁾، وعز الدين بن علي بن أبي العز البغدادي الحنبلي⁽⁷⁾. وفي الموصل تولى هذا المنصب، فضلاً عن شمس الدين بن يونس ابنه أبو الفضائل عبدالله بن يونس الشافعي وحفيده شهاب الدين بن أبي العباس أحمد بن أبي الفضائل عبدالله الذي كان قاضي قضاة الموصل سنة 845هـ / 1441م وأعقبه أبو القاسم مظهر بن أبي الفضائل⁽⁸⁾. ويلاحظ من مذاهب هؤلاء القضاة أن هذا المنصب لم ينحصر بمذهب واحد في ذلك العهد.

(1) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص 111-112.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج7، ص 274.

(3) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and Land Reforms, p. 451.

(4) انظر: مجهول: اكسير الذهب في علم النسب، نسخة الخطاط يوسف دنون المصورة عن نسخة أصلية بحوزة توفيق نعمان الفخري، الورقة 67-69.

(5) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج2، ص 245.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص 245-246.

(7) الصيرفي: نزعة النفوس، ج3، ص 173-174. السخاوي: الذيل على رفع الأصر أو بنية العلماء والرواق تحقيق: جودة هلال، الدار المصرية للتأليف والنشر، الهامش ص 115. العمري: غاية المرام، ص 257.

(8) مجهول: اكسير الذهب، الورقة 67-69.

ثانياً: القضاء:

ويأتي هذا المنصب في المرتبة الثانية بعد منصب قاضي القضاء، وهم عادة قضاة المدن والقرى ويتم تعيينهم من قبل قاضي قضاء الولاية، ويبدو أن بغداد كان فيها أكثر من قاضٍ، وهذا هو ما يفهم من كلام الغياثي، فقد ذكر أن حاكم بغداد الآق قوينلو استدعى قضاة بغداد لمحكمة شاه منصور بن زينل فمقدوا مجلساً وأصدروا حكماً بقتله لجرائم ارتكبها بحق الرعية وذلك يوم الاثنين 14 جمادى الآخرة 874 هـ / 1469 م⁽¹⁾. ومن قضاة بغداد نظام محمود السديرائي الشافعي⁽²⁾، وأحمد بن عبدالرحيم الشهير بالعراقي المتوفى سنة 826 هـ / 1422 م⁽³⁾، وأحمد ابن وجيه⁽⁴⁾، ويوسف بن قوام الدين، وقد تولى الأخيران هذا المنصب في عهد الآق قوينلو⁽⁵⁾. أما قضاة باقي المدن العراقية فالمصادر لا تسعفنا بأسمائهم باستثناء قضاة الموصل واربل، فقد ذكر صاحب أكسير الذهب: أن ابن يونس الشافعي كان قاضياً للموصل وأن ابنه أبا الفضائل عبدالله كان قاضياً لاربل. ومن أحفاد ابن يونس الذين تولوا هذا المنصب في الموصل أيضاً نصير الدين علي وعون الدين أحمد⁽⁶⁾. ويذكر الغزي أن علي بن أحمد الاربلي المتوفى سنة 903 هـ / 1497 م كان أحمد العدول العراقيين⁽⁷⁾.

ثالثاً: الإفتاء:

يتولى صاحبها إيجاد الحلول للمشاكل والقضايا المتجددة في ضوء الشريعة الإسلامية، وقد تولى هذا المنصب في إمارة الآق قوينلو إدريس بن حسام الدين البديسي الذي كان مفتي لديار المملكة⁽⁸⁾. وفي بغداد وباقي المدن العراقية قام بعض علماء الدين لمهمة الإفتاء ومنهم أحمد بن محمد بن محمد الجلال أبي الطاهر بن شمس الدين المدني الحنفي الذي اتخذ من

(1) التاريخ الغياثي، ص 335-336.

(2) السخاوي: الفقه اللازم، ج 4، ص 154.

(3) العمري: غاية المرام، ص 256.

(4) ابن أبياس: المصدر السابق، ج 2، ص 145.

(5) الغزي: المصدر السابق، ج 1، ص 319.

(6) أكسير الذهب، الورقة 67-69.

(7) الكواكب السائرة، ج 1، ص 267.

(8) المالبي، أنور: الأكراد في بهلتيان، مطبعة الحصان، الموصل، 1960، هامش ص 126.

المدرسة المستنصرية مكاناً لإفثاته⁽¹⁾، وكان الشيخ أحمد بن فهد قد قام بهذه المهمة في الحلة أيضاً⁽²⁾.

رابعاً: الحسبة:

وموضوعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة المعاش والبضائع، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته⁽³⁾، وواجبات صاحبها تقابل اليوم ما تقوم به دوائر الشؤون الاجتماعية والصحية والبلدية. وكان المحتسب يعمل تحت سلطة القاضي⁽⁴⁾. وجاء في وثيقة آق قوينلوية تعود إلى عهد السلطان يعقوب إصدار قانوني المملكة أوامره للمحتسبين في جميع الولايات بضرورة تنفيذ عقوبات صارمة بحق شاربي الخمر⁽⁵⁾.

خامساً: نقابة الأشراف:

وقد ظهرت هذه النقابة منذ القرن الثالث الهجري، والأشراف هم المتمون إلى أسرة الرسول - ﷺ - وانحصر القلب بالعباسيين والعلويين⁽⁶⁾ والنقيب هو زعيم إحدى الأسرتين العلوية 'الطالية' والعباسية 'الهاشمية' وقد فقدت نقابة العباسيين أهميتها في العهد الأيلخاني في حين اكتسبت نقابة العلويين احترام الحكام المغول⁽⁷⁾.

ونقابة العلويين التي كان يطلق عليها في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو اسم نقابة الأشراف وظيفة شريفة موضوعها كما يذكر القلقشندي 'التحدث عن ولد علي بن أبي طالب - ﷺ - من فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - ... و الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقاربهم والأخذ على يد المعتدي منهم ونحو ذلك'⁽⁸⁾.

وقد كانت رئاسة هذه النقابة تنحصر في هذا العهد ببعض الأسر التي سبق وأن تول أبناؤها هذه المسؤولية في العهود السابقة كما هي الحال في نقابة الأشراف في الموصل التي كان متوليها في عهد تيمور نصير الدين عبيدالله أبا المحامد وبعد وفاته سنة 802هـ / 1399م انتقلت

(1) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص 194، 198.

(2) الشوشترى: المصدر السابق، ج2، ص 396.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 37.

(4) خصباك: للمرجع السابق، ص 72.

(5) Minorsky: The Aq-Qoyunlu and Land Reforms, p. 451.

(6) لرتدنك: مادة شريف، دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية، م13، ص 272. رشاد: الموصل في عهد السيطرة المغولية، م2، ص 231.

(7) العاني: المرجع السابق، ص 111.

(8) صبح الأعشى، ج4، ص 37-38.

رأستها إلى ابنه عماد الدين أبي الفداء علي جعفر بن نصير الدين وأعقبه بعد وفاته سنة 810 هـ / 1407م ابنه النقيب أبو القاسم مرتض الدين الذي استمر عليها حتى وفاته سنة 842 هـ / 1438م لكونه لم يخلف ولدًا فقد انتقلت زعامة النقابة إلى حفيد آخر من أسرة نصير الدين هو ركن الدين أبو محمد الحسن والذي أطلق عليه صاحب اكسير الذهب لقب نقيب النقباء. ويبدو أن حكام القره قوينلو قد ضايقوا ركن الدين هذا فترك زعامة النقابة وانتقل إلى حصن كيفا فحل محله أخوه نقيب النقباء نصير الدين أبو القاسم محمد الذي نال مكانة عظيمة عند الحاكم الآق قوينلوي حسن الطويل وقد تعاقب أولاد وأحفاد نصير الدين على هذا المنصب حتى نهاية عهد الآق قوينلو⁽¹⁾.

وعلى ما يبدو فإن بعض النقباء كان لهم دور في الأحداث السياسية في العراق في نهاية عهد الآق قوينلو لاسيما السيد محمد بن حسين بن ناصر الحسيني وهو من أكابر السادة والنقباء في العراق وقد تخوف منه آخر حكام بغداد الآق قوينلوي باريك لاعتقاده بأنه من المعارضين ضد الوجود الآق قوينلوي في العراق فاعتقله، فبقي في معتقله حتى الاحتلال الصفوي للعراق⁽²⁾.

سادساً: إمارة الحج:

من المعروف أن موكب الحجيج كان يخرج من بغداد إلى الديار المقدسة في كل سنة، إذا لم يكن هناك خطر محتمل الوقوع. وقد جرت العادة أن يتولى الإشراف على هذا الموكب أمير مهمته حمايته وصيانة أمنه خلال السفر، وهو يتصدرهم في القيام بشعائر الحج في مكة وعرفات، ومن الشروط الواجب توافرها في الأمير الخبيرة بمسالك الطريق ومنازل الأعراب ومكانم اللصوص، ويعمل بأمرته عدد من الرجال المسلحين⁽³⁾. ومن تولى هذه الوظيفة في عهد القره قوينلو شاب من التركمان يدعى الأمير جعفر الذي قاد قافلة حجاج بغداد

(1) اكسير الذهب، الورقة 66-70.

(2) الفهواتي: العراق بين احتلالين، ص 45، والمماش الأول.

(3) هورفتر: مادة أمير الحج، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، م 2، ص 649. العاني: المرجع

السابق، ص 114.

سنة 850 هـ / 1446 م⁽¹⁾. وفي سنة 877 هـ / 1472 م فاد محمل⁽²⁾ الحاج العراقي الأمير
رستم وصحبه القاضي أحمد بن وجيه⁽³⁾.
ثانياً: الجيش:

اعتمد القره قوينلو والآق قوينلو في تشكيلاتهم ونظمهم على ما ورثوه من نظم وتقاليد
سلجوقية مع ملاحظة التأثيرات المغولية الايلخانية الجلالتية⁽⁴⁾، فالتقسيمات القيادية
كانت على الشكل الآتي: قيادة الجيش، وكانت ييد الاولويائي أو السلطان بوصفه الزعيم
والمسؤول عن حماية الأمة⁽⁵⁾ الالوس⁽⁶⁾. وكان الاولويائي يحمل رتبة نويان⁽⁷⁾، أعظم⁽⁸⁾، وهو
الذي يعلن الحرب والفرار العام، وله حق قيادة الجيش وتقرير الصلح والإنسحاب وتسريح
الجيش⁽⁹⁾. يساعده في القيادة أمراء الالوس، وهم عادة من أبناء الشاهزادكية أبناء الاولويائي أو
السلطان ومن المقرين إليه⁽¹⁰⁾. ويختار من أمراء الالوس أمير الأمراء ويسمى كذلك باسم
الأمير الأعظم⁽¹¹⁾ أو الأمير الكبير⁽¹²⁾، وكان يطلق على أمير الأمراء في العهد الايلخاني لقب

(1) السخاوي: التبر المسوك، ص 148.

(2) المحمل: هو جمل عمل بأشياء وكسوة مخصصة لتغطية الكعبة. سليم، محمد رزق: عصر سلاطين المماليك،
ط2، دار الحمامي للطباعة، 1965، ج2، ص 139.

(3) ابن أبياس: المصدر السابق، ج2، ص 145-146.

(4) Uzuncarsili: Anadolu, s, 203.

(5) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 287.

(6) نويان: كلمة مغولية، والنوين هو الذي يطلق عليه أمير التومان أي أمير العشرة آلاف رجل وهي أعلى رتبة
عسكرية عند المغول. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 423. عميد حسن: فرهنگ عميد، سازمان
جاب وانشازات جاويدان، ص 1076.

(7) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 290.

(8) عن إصدار هذه الأوامر انظر أمثلة عنها عند: الغياني: المصدر السابق، ص 294.

Hinz: A. g. e, s, 42.

Sumer: A. g. e, I, cilt, ss, 116-117.

(9) انظر:

في الحديث عن اسبان والأمير سعد الله.

(10) اتش، مادة آق قوينلو: دائرة المعارف، 1، ص 285.

Uzuncarsili: ANadolu, s, 207.

(11) Hinz, A. g. e, s, 42.

بكلاري بك⁽¹⁾، وهو بمثابة نائب القائد العام للقوات المسلحة أو وزير الدفاع في زماننا، وكان يخاطب في عهد قره يوسف بلقب أمير قرمان⁽²⁾ أي 'الأمير البطل'، وما يميزه عن باقي الأمراء وجود نجمة ذهبية على قبضة سيفه⁽³⁾، وجميع أمراء الألوس كانوا برتبة النوين⁽⁴⁾. وتلي هذه الرتبة رتب أقل، ومع أن بعض المصادر تشير إلى أن الرتب كانت موجودة عند الأمراء ولكنها لم تعددها، فخواندمير يذكر أن علاقة بسطام جاكير أمير أمراء قره يوسف كانت جيدة مع قائده ومع الأمراء الأقل رتبة منه على اختلاف مراتبهم⁽⁵⁾، وكما كان الأمر عند الأيلخانين ثمة وجود لرتبة أمير آلاف، ثم أمير المائة يليه أمير العشرة⁽⁶⁾.

ومن الذي تقلدوا مناصب قيادية قره يوسف الذي كان أولويائي القره قوينلو برتبة نوبان أعظم⁽⁷⁾ وما يقال عنه يقال عن سلاطين القره قوينلو والآق قوينلو الآخرين. وكان ابنه اسبان من أمراء الألوس، وكذلك الأمير سعدالله وهو من أبناء قبيلته⁽⁸⁾، وهناك أمراء الوس آخرون لم تذكر المصادر أسماءهم، لكن الغفاري يشير إلى أنهم كانوا حاضرين ليلة احتضار قره يوسف ووفاته، وذلك يوم الخميس سابع ذي القعدة سنة 823هـ/ 1420م⁽⁹⁾، ومن تقلد منصب أمير الأمراء في عهد قره يوسف غير بسطام جاكير الأمير بير عمر⁽¹⁰⁾، وكان بير علي بيك أمير الأمراء في عهد جهانشاه والحاكم المطلق⁽¹¹⁾. وفي عهد الآق قوينلو كان قاسم برونجه

(1) بكلاري بك: يشير الفلقشندي إلى أن قيادة الجيش الأيلخاني كانت بيد أمراء الألوس، وهم أربعة، أكبرهم بكلاري بك وهو أمير الأمراء وإليه يقطع أمر كل ذي سيف فهو أمر الجيوش والعساكر. صبح الأعشى، ج4، ص 423-424.

(2) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 309.

(3) Uzuncarsili: Anadolu, s, 207.

(4) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 423.

(5) تاريخ حبيب السير، 3م ص 570.

(6) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 423.

(7) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 290.

(8) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 116-117.

(9) تاريخ الغفاري، ص 248.

(10) المزوي: تاريخ العراق، ج3، ص 59.

(11) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 69.

كبير أمراء حسن الطويل⁽¹⁾، والأمير خليل موصلو قائد عسكر السلطان رستم والمتنفذ في شؤون مملكته⁽²⁾.

أما جيش الولاية فكان يتولى قيادته حكام الولاية، أبناء الشاهزداكية، فأبناء قره يوسف الشاه محمد واسبان وابن جهانشاه بير بوداق تولوا قيادة جيش بغداد، وكذلك كان لدى حكام بغداد الآق قوينلو، ولكن المصادر لا تشير إلى أن هؤلاء الحكام كانوا يعملون رتباً عسكرية أم لا، كما لم يصل إلينا شيء عن رتب أمرائهم غير شيوع تسمية النوكرية عليهم⁽³⁾ دون التمييز بين رتبهم⁽⁴⁾، وكان للحاكم الحق في منح الأفراد الذين يقدمون الخدمات له لقب أمير كما هي حال محمود الحمال الذي منحه الشاه محمد لقب أمير مع سيف⁽⁵⁾.

وما يلحظ أن موظفي ديوان الولاية كانت عليهم مسؤوليات عسكرية، فضلاً عن وظائفهم الأصلية، فالأمير درسون صاحب ديوان الشاه محمد قاد عسكر بغداد لاحتلال الحلة سنة 825هـ / 1421م⁽⁶⁾ وبير بوداق حاكم بغداد قد عهد في أثناء وجوده في شيراز سنة 858هـ / 1454م بقيادة تشكيل من عسكره للأمير حسين شاه مهردار وأمره بالتوجه إلى بغداد⁽⁷⁾.

وقد اعتمد جيش القره قوينلو والآق قوينلو في تشكيلاته العسكرية على صنفين رئيسيين هما الفرسان الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للجيش لحسن تدريبهم وخفة حركتهم وسرعة تنقلهم والصنف الثاني هم المشاة⁽⁸⁾، وقد استخدم القره قوينلو في بداية عهد الإمارة في تقسيم الجيش إلى مجموعات على نظام القوشون⁽⁹⁾، وتعني الفوج، وكان عدد أفراد القوشون الواحد في عهد قره محمد القره قوينلو الذي توفي سنة 791هـ / 1388م ثلاثمائة رجل،

(1) Hinz: A. g. e, s, 42.

(2) Minorsky: The Aq- Qoyunlu and the Land Reforms, p. 457.

(3) النوكرية: مفردتها نوكر وهي كلمة فارسية تعني: الرقيق. الخادم. المستخدم. العبد. عميد: المرجع السابق، ص 1076، التونجي: المرجع السابق، ص 579.

(4) انظر: الغياني: المصدر السابق، ص 262، 280، 322-323، 325.

(5) المصدر نفسه، ص 253، 266.

(6) المصدر نفسه، ص 139، 249.

(7) المصدر نفسه، ص 310.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 60.

(8) انظر:

Romer: op.cit, Vol. 6, pp. 181-182.

(9) القوشون: كلمة فارسية وتركية تعني الجيش، المجموعة العسكرية، الفوج، انظر: التونجي: المرجع السابق، ص 446. الغياني: المرجع السابق، هامش (90)، ص 164.

وكل قوشون مقسم إلى ثلاثين مجموعة كل مجموعة تتألف من عشرة رجال⁽¹⁾، ولكن عدد أفراد القوشون لم يكن ثابتاً كما كانت الحال عند التيموريين، فالعدد يرتفع وينخفض بحسب كثافة الجند وطبيعة الحرب⁽²⁾، وإذا كانت المصادر قد أعطت معلومات جيدة عن أعداد الجيش فهي لم تشر إلى عدد القوشونات التي كان يتألف منها، ففي بداية عهد قره يوسف كان عدد الجيش القره قوينلوي يتراوح بين (1000) إلى (20000) مقاتل⁽³⁾ - والعدد يرتفع وينخفض بحسب طبيعة الظروف السياسية المحيطة به لملاحقة تيمورلنك له - وقد وصل العدد في نهاية عهد قره يوسف إلى (40000) مقاتل⁽⁴⁾، وقد تضخم هذا الجيش في عهد أولاده، فوصل في عهد جهانشاه إلى (150000) مقاتل⁽⁵⁾، وفي عهد حسن علي تراوح بين (180000)⁽⁶⁾ إلى (200000) مقاتل⁽⁷⁾. كما تضخم جيش الأقباق قوينلو كذلك فبلغ في عهد حسن الطويل زهاء (100000) رجل وهذا ما جاء على لسان شاهد عيان هو سفير دولة البندقية كاترنو زينو⁽⁸⁾. أما عن جيش بغداد فالمعلومات تشير إلى أن الشاه محمد سرح جيشه ولم يحفظ إلا بقوة صغيرة لحماية أسوار المدينة⁽⁹⁾. وابن تغري بردي يذكر أن جيش اسبان كان ألف مقاتل⁽¹⁾. وأن

(1) العاني: المرجع نفسه، ص 152.

(2) بلغ عدد أفراد القوشون الواحد في جيش أبي بكر بن ميرانشاه التيموري في أثناء حربه مع قره يوسف سنة 809 هـ خمسمائة رجل. Sumer: A.g.e, I, cilt, s, 71 في حين كان عند تيمور في منغولستان بمحدود ألف رجل وفي ما وراء النهر بين خمسين ومائة رجل وكلتا المنطقتين من أملاك تيمور. العاني: المرجع السابق، ص 152. في حين كان الفوج في دولة المنول في الصين عشرة آلاف فارس. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 644.

(3) انظر: Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

(4) انظر: الصيرفي: نزعة النفوس والأبدان، ج2، ص 183. ميرخواند: المصدر السابق، ج6، ص 445. السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص 216. الشوكاني: المصدر السابق، ج2، ص 56-57.

(5) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 310.

(6) خواتمير: المصدر السابق، ج4، ص 87. الغفاري: تاريخ جهان آرا، ص 250. منجم باشي: المصدر السابق، ج3، ص 154.

(7) الغياني: المصدر السابق، ص 329.

(8) Romer: op.cit, Vol. 6, p. 181.

(9) الغياني: المصدر السابق، ص 248.

وأن بير بوداق كان له جيش ضخم بدليل أن ولاية العراق وفارس كانت تخضع لحكمه وأن جهانشاه تخوف من هذا الجيش، ولوضع حد له غزا بغداد سنة 869هـ/ 1464م ولا توجد لدينا معلومات عن أعداد جيش حكام بغداد الآق قويونلوين.

وقد اتبع القره قويونلو والآق قويونلو الخطط التقليدية المعروفة لدى المسلمين في تقسيم وتعبئة الجيش إلى مقدمة وقلب وميمنة وميسرة، فالذي يتقدم الجيش كان يطلق عليه بشدار قسيمي⁽²⁾، والغياثي يسميه قراول⁽³⁾، وغالية هذه القوة كان تتألف من العيد⁽⁴⁾. والبديسي يطلق على قائد جيش المقدمة اسم قائد الطليعة⁽⁵⁾، وعادة ما يكون هذا القائد من أشجع القواد وأحياناً كان يتولى هذه القيادة كبير الأمراء كما حدث في معركة موشر، فقد كان كبير أمراء الآق قويونلو قاسم پروانجه يتصدر طليعة جيش حسن الطويل⁽⁶⁾. أما القلب أو المركز فيسمى اولوغ كول، وكان فيه السلطان أو قائد الجيش، وجيش الميمنة كان يسمى 'بارانجور' ويعرف جيش الميسرة جوانغار، وفضلاً عن هذا التقسيم كان هناك جيش الاحتياط، ويوجد عادة في مؤخرة الجيش وأحياناً على بعد مسيرة يوم أو يومين منه، وكان يطلق على هؤلاء اسم اوروغ⁽⁷⁾.

ولنا مثال في تطبيق هذه التعبئة أو التشكيل فقره يوسف عندما التقى في جمادي الأولى سنة 809هـ/ 1405م مع جيش أبي بكر ميرزا بن ميرانشاه التيموري كان في مقدمة جيشه

Minorsky: Jihan Shah Qara-Qoyunlu and his Poetry, p. 274.

(1) النجوم الزاهرة، ج2، ص 45.

(2) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 307.

(3) التاريخ الغياثي، ص 254-255، 212. وقراول: كلمة فارسية تعني الجندي المراقب من الأبراج أو طلائع الجيش. انظر: التوخي: المرجع السابق، ص 443.

(4) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 307.

(5) شرفنامه، ج2، ص 102.

(6) المصدر نفسه والصفحة. وانظر كذلك:

Hinz: A. g. e, s, 42.

(7) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 307.

الأمير بير حسن في حين كان على الميمنة الأمير سعد الله وعلى الميسرة الأمير ديزك أم القلب فكان فيه قره يوسف⁽¹⁾ نفسه.

وكان الجيش القره قوينلوي والآق قوينلوي على مستوى عال من الضبط والنظام العسكري، ويشير اوزن جاوشلي إلى أن مستوى الضبط عند القره قوينلو والآق قوينلو كان أعلى مما في باقي الإمارات التركمانية، ولكن الآق قوينلو فاقوا بمستوى ضبطهم للجيش جيش القره قوينلو حتى أن السلطان العثماني محمد الثاني (الفاتح) أبدى إعجابه بتنظيم جيش حسن الطويل⁽²⁾.

وكان يشرف على أمن الجيش وتنظيمه إدارياً وعموياً التواجي، ويرأس هذا التنظيم أمير يسمى أمير التواجي له ديوان خاص يسمى ديوان التواجي يضم السجلات المتعلقة بالجيش كاسماء الجند وأمواهم الاجتماعية وأوصافهم كما أن التواجي كان مسؤولاً عن لوازم الجيش ومتابعة تحركاته وتسجيل الخسائر والغنائم، وكانت تتناوب به أيضاً مسؤولية تجميع الجيش والإشراف عليه وتربيته وانصرافه أو انسحابه⁽³⁾، وربما أسندت إليه قيادة الجيش أو حكم الولايات بدل الشاهرزداكية أو النيابة عن حكام الولايات، من ذلك أن الأمير بير محمد التواجي كان تواجياً لجهانشاه وقد أسند إليه حكم ولاية بغداد سنة 870هـ / 1465م⁽⁴⁾، كما تولى الأمير خليل أغا التواجي قيادة جيش حسن الطويل الذي احتل العراق بعد معركة موشر، كما أسند لهذا الأمير مهمة المشاركة بحكم بغداد إلى جانب حاكم بغداد الآق قوينلوي مقصود بيك بن حسن الطويل⁽⁵⁾.

وكان الجيش يتكون عادة من الجند النظامي والمتطوعين من أفراد القبائل والعشائر⁽⁶⁾، وبلغ عدد أفراد الجيش النظامي عند جهانشاه (100000) رجل⁽¹⁾، ويذكر

(1) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 73.

وفي هذا الصدد يذكر ميرخواند أن أسكندر ابن قره يوسف رتب جيشه إلى مقدمة وقلب وميمنة وميسرة لمواجهة جيش شاهرخ التيموري سنة 832هـ روضة الصفا، م 6، ص 697.

(2) Anadolu, s, 205.

(3) Uzuncarsili: Osmanle Devleti, ss, 305-306.

Anadolu, s, 206.

(4) النياي: المصدر السابق، ص 292، 331.

(5) أبو بكر الطهراني، المصدر السابق، ج2، ص 337. وانظر كذلك: النياي: المصدر السابق، هامش المحقق، رقم (9)، ص 334.

(6) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 304. Anadolu, s, 184.

المؤرخ التركي أنش ان الآق قوينلو كان لهم جيش نظامي محدود (30000) مقاتل تصرف لهم رواتب⁽²⁾. واستأد إلى المعلومات التي أوردها الشهزاده خليل بن حسن الطويل حاكم ولاية فارس في تقرير أعده سنة 881هـ / 1476م فإن الجيش النظامي الدائم لحسن الطويل كان يتكون من (25000) مقاتل منهم (15000) من الفرسان و (10000) من المشاة، ولهذه القوات من العناصر القيادية والملاكات الإدارية ما يكفي لادامتها⁽³⁾.

وقد تمثل الجيش النظامي أساساً بقوة الحماية الخاصة للسلطان وحكام الولايات، وهذه القوة كانت تنقسم إلى صنفين هما الجاوشان أي الحرس الخاص، والقورجي وهو قوة الحماية الذاتية للديوان⁽⁴⁾. وكان يطلق على القورجي في ولاية فارس في عهد واليها شهزاده خليل بن حسن الطويل مصطلح نوكران خاص وكان عددهم (3230) رجل⁽⁵⁾، يضاف إليهم مقاتلون من صنف البياده⁽⁶⁾ والصنف الأخير يسمى أيضاً البياده الأخفاف، وواجباتهم هي المراقبة والاستطلاع وعند قيامهم بعمليات انتحارية كان يطلق عليهم (رعد انداز) وعددهم كان (184) عازياً⁽⁷⁾.

وفيما يتعلق بالعناصر العرقية للجيش النظامي فقد ضمّ القره قوينلو إلى قيادة جيشهم عناصر من غير أصولهم التركية، فكان الأمير الكردي شيخ محمود في عداد ياورنة (ضباط) قره يوسف⁽⁸⁾.

أما الجيش غير النظامي الذي كان يتكون من متطوعي أفراد القبائل والعشائر العربية والتركية والكردية، فالمصادر تشير إلى أن هؤلاء قد اشتركوا إلى جانب القره قوينلو في حروبهم. ويبدو أن هدفهم كان الحصول على الغنائم والاقطاعات والمناصب، قره يوسف قد استعان بمطوعين من بعض القبائل العربية في منطقة هيت، وهزم بمساعدتهم علاء الدولة ابن السلطان

(1)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 310.

(2) مادة قاق قوينلو: دائرة المعارف، ج1، ص 285.

(3) Romer: op.cit, Vol. 6, pp. 181-182.

(4)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, ss, 291,304.

(5) A. n.e, s, 304.

(6) البياده: كلمة تركية تعني الجندي المشاة. انظر: ينذر أوغلو، عبد اللطيف وآخرين: المعجم التركي العربي، منشورات مديرية الثقافة التركمانية، الجمهورية العراقية، 1982م، ج3 ص 590.

(7)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, ss, 304-305. Anadolu, s, 206.

(8) البديسي: المصدر السابق، ج1، ص 297.

أحد في هذه المنطقة سنة 806هـ / 1403م⁽¹⁾، وفي عاشر شهر ربيع الأول سنة 820هـ / 1417م أصدر قره يوسف مرسوماً أقطع فيه الأمير الكردي شرف الدين البديلي مقاطعة بدليس مع إبقائه على رأس حكومة بدليس وجاء في أسباب المنح "لكمال الإخلاص والالتحاق ونهاية الاختصاص والتضحية"⁽²⁾ التي أبداهها هذا الأمير لقره يوسف عندما وقف إلى جانبه بوجه التيموريين سنة 809هـ / 1405م و 810هـ / 1406م⁽³⁾. ويشير فاروق سومر إلى أن ثلاثة آلاف كردي من أكراد جزيرة ابن عمر يتصدرهم الأمير شمس الدين كانوا يحاربون إلى جانب أسكندر ضد قره عثمان الآق قوينلوي سنة 824هـ / 1421م⁽⁴⁾، وفي سنة 836هـ / 1432م تمكن الشاه محمد من استعادة حكم الموصل واريل من اسبان بمساندة حاكم حديثة الشيخ حارث الطائي الذي كافأه الشاه محمد لخدماته هذه بأن منحه الموصل إقطاعاً⁽⁵⁾، كما أن الآق قوينلو قد استعانوا بمتطوعين أيضاً من هذه العناصر، لاسيما الأتراك والأكراد، فقد ذكر شاهد عيان هو كاترينو زينو سفير البندقية أنه قد رأى تحت تصرف حسن الطويل جيشاً يقدر بـ (100000) رجل منهم (25000) من الجيش النظامي، والباقيون متطوعة من أفراد القبائل⁽⁶⁾. وأخيراً لا بد من القول أن الأسلحة التي استخدمها الجيش كانت تقليدية معروفة في ذلك الزمان كالسيف والسهم والرمح والفأس والعرادة والمنجنيق والأسلحان الآخرين كانوا يستخدمان في حصار المدن والقلاع ولقذف الحجارة لهدم الأبراج والأسوار⁽⁷⁾ مع التأكيد على أن جيش الآق قوينلو قد استخدم في عهد حسن الطويل سلاحاً جديداً لم يستخدمه القره قوينلو وهو سلاح المدفعية والبنادق النارية، ولكن على نطاق محدود⁽⁸⁾، وكانوا قد حصلوا هذا السلاح من دولة البندقية⁽⁹⁾.

(1) ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص 445.

(2) البديلي: المصدر السابق، ج1، ص 391-392.

(3) المصدر نفسه، ص 390. وانظر: خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 568.

(4) Kara Koyunlular, I, cilt, s, 119.

(5) النياي: المصدر السابق، ص 253.

(6) Romer: op. cit, Vol. 6, pp. 181- 182.

(7) Uzuncarsili: Anadolu, s, 204.

(8) Kafes oglu: Ak-Koyunlu Devleti, s, 884.

(9) يشير اشتور إلى أن البنادقة قد أرسلوا سنة 878هـ / 1473م إلى حسن الطويل 52 مدفع هاون ستة منها كبيرة و 500 قريينة (بندقية) وبنادق قتل مع الذخائر الضرورية لها، فضلاً عن 200 مدرب أشرفوا على تدريب جيش الآق قوينلو على استعمالها. التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص 347.

الفصل السابع

الحياة الاقتصادية

أولا : نظام الأراضي

ثانيا : الزراعة

ثالثا : الصناعة

رابعا : طرق المواصلات

خامسا : التجارة

سادسا : الضرائب وطرق جبايتها

سابعا : النقود

الفصل السابع الحياة الاقتصادية

أولاً: نظام الأراضي

لم يحدث المغول - الأيلخانيون والجلاتريون - تغيرات كبيرة على نظام الأراضي التي كان يعمل بها في العصر العباسي الأخير، فقد ظلت أصناف الأراضي أراضي الخليفة، وأراضي الديوان، وأراضي الوقف، والملكيات الفردية كما هي، باستثناء التسميات فقط⁽¹⁾، وبقيت الدولة هي المالكة القانونية للرئاسة لمعظم الأراضي، ولكن ربح الأرض سار إلى وجهة جديدة من بيت المال العام إلى بيت المال الخاص⁽²⁾. وهذا النظام أخذ به القره قويونلو والاق قويونلو وطبقوه في مناطق نفوذهم ومنها العراق، ويمكن ملاحظة هذه التطبيقات من خلال:-

1- أصناف الأراضي في عهد القره قويونلو والاق قويونلو:

كانت للأسرة الحاكمة الجلالتريّة في العراق أملاك خاصة، يشمل قسم منها أراضي واسعة في بغداد والمناطق المحيطة بها، وكذلك في منطقة طريق خراسان⁽³⁾، ولما كان القره قويونلو قد حلوا محلهم في حكم العراق، فمن المنطقي أن تنتقل ملكيات هذه الأراضي إلى أسرهم، ومنها انتقلت إلى أسرة الاق قويونلو الذين أطلقوا عليها تسمية أراضي الخالصات⁽⁴⁾ أي الأراضي التي أصبحت ملكياتها خالصة للسلطان فقط. أما الأراضي الديوانية فيشير الغيائي إلى أن الشاه محمد أعفى الأراضي الخارجية - وهي أراضٍ ديوانية تعود ملكيتها للدولة - من الخارج لمدة سبع سنوات⁽⁵⁾، ولكون هذا الصف من الأراضي يشكل معظم أراضي العراق فقد كان أعفائه لها سبباً لاستقرار أحوال ولايته خلال العشر سنوات الأولى من حكمه دون اضطراب⁽⁶⁾. وكانت أراضي الدجيل إلى تكريت خراجية، تدفع الضريبة المقررة عليها لأسبائ⁽⁷⁾.

(1) كان يطلق في هذا العهد على الأراضي الديوانية اسم الخجولو وعلى لراضي السلطان خالصة أو خاص الخجو، انظر: العاني: المرجع السابق، ص 187، والهامش الثالث، ص 204.

(2) علي: ولاية الموصل، ص 150.

(3) العاني: المرجع السابق، ص 189.

(4) Minorsky: Asoyurghal of Qasim. P. 947.

(5) الغيائي: المصدر السابق، ص 248.

(6) المصدر نفسه، ص 247.

(7) المصدر نفسه، ص 260.

اما الصنف الثالث وهو اراضي الاوقاف، فقد كان على نوعين، اراضي فرزت من الاراضي الاميرية لجهة خيرية أو اراض تعود ملكيتها لافراد خصصوها لجهات البر كالمؤسسات الدينية والخيرية من مساجد ومدارس وخانقاهات. وتشير المعلومات عن العهد الايلخاني إلى وجود قرى بكاملها كانت موقوفة على جهات خيرية⁽¹⁾، وبقي قسم منها في الجلائري والتركمان⁽²⁾، وتتولى ادارة الاوقاف الاسلامية نقابة الاشراف والنصرانية الكنائس والأديرة. وهناك من يذكر ان قره يوسف كان ديدنه تحسين حالة للموقوفات⁽³⁾ واذا صحت هذه الرواية - وهي في الحقيقة لا تتوافق مع سيرته السيئة - فان دوافعه فيها لا تخرج عن نطاق التموهية على الرعية، وصرف انصارهم عن اعماله الفاسدة. ولكن تبقى هناك حقيقة ان هذا الصنف من الاراضي قد نقص في العراق في عهد حكم هذه الاسراة، فالعيني يذكر ان الشاه محمد استولى على الاوقاف جميعا وقطع ارزاق القضاة والفقهاء⁽⁴⁾، وما قام به لا يعد سابقة ان مصادرة الاوقاف الاسلامية حدثت كذلك في عهد الحكام الايلخانيين⁽⁵⁾، في حين جرى التوسع في منحها زمن الآق كوينلو ولاسيما في عهد حسن الطويل وابنه السلطان يعقوب،

(1) من هذه القرى قرية القونسية القريبة من الموصل، وقد اوقفها غازان لسادات الموصل وجعل الاشراف عليها لتقريب الموصل ضياء الدين ابي عبد الله زيد وكان انتاجها السنوي عشرة آلاف تغار. مجهول: اكسير الذهب، ورقة 65. وابن فضل الله العمري، يذكر عن اوقاف بغداد انها لم تتعرض لأيدي العلوان في دولة هولاكو ولا فيها بعلها. بل كان وقفا مستمرا بيد متولي، ومن له الولاية عليه، وانما نقصت الاوقاف من سوء ولاية امورها لا من سواها، القلقشندي: صبح الاعمش، ج4، ص331-332 قلا عن مسائل الابصار.

(2) تضمنت الحجة الموجودة حتى الان في خزانة الكلدان البطريكية والتي يعود تاريخها الى سنة 896 هـ / 1490م اشارت الى جود قرى كثيرة كانت موقوفة لطائفة النساطرة في الموصل واعمالها قسم منها جرى توارثه منذ سنة 511 هـ / 1117م، وبقيت موقوفة لهذه الطائفة حتى نهاية عهد الآق كوينلو وللإطلاع على ما تضمنته هذه الحجة من تفاصيل، انظر: الكللاني، بطرس نصري: كتاب ذخيرة الأفعان في تواريخ المشاركة والمغاربة السريان، مطبعة دير الابهاء الدومنيكيين، الموصل، 1913م، ج2، ص85-86.

(3) الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص61، قلا عن كتاب احسن التواريخ لحسن روملو.

(4) عقد الجمان، ص301 وورد الصيرفي نفس الرواية، انظر: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص399.

(5) اشور: المرجع السابق، ص339.

فكانت اراضي اردستان - من اعمال اقليم بلاد الجبل - وقفا لابواب البر السلطانية⁽¹⁾. ويذكر مينورسكي ان دوافع ذلك كانت كسب علماء الدين في الاقاليم المحتلة وتهدة خواطهم⁽²⁾. اما الصنف الاخير من الاراضي - الملكيات الفردية - فيذكر اشور ان هذا الصنف قد جرى التوسع فيه كثيرا في عهد الابلخانيين، ويبيع الكثير من الاراضي المملوكة للدولة للأفراد، وربما حدث البيع بسبب حاجة الدولة للأموال، وظهر نتيجة ذلك طبقة جديدة من اصحاب الضياع⁽³⁾، كما حدث التوسع في عهد الجلائريين⁽⁴⁾، ويظهر ان هذا الصنف من الاراضي بقي قائما في العراق خلال عهد القره قوينلو والاق قوينلو، فالكلداني يشير إلى ان الموصل واعمالها كانت فيها اراض وقرى ويساتين تعود ملكيتها لأفراد من طائفة النساطرة في هذه المنطقة قسم منها متوارث ابا عن جد، ويضيف استادا إلى الحجة التي سبقت الإشارة إليها إلى ان البطريك شمعون الياسيدي الدهوكي بن فرج الشماس (توي سنة 908 هـ / 1502م) اشترى اراض وطواحين واملاكا اخرى سنة 896 هـ / 1490م اوقفها للطائفة النسطورية وأديرتها، وجعل ادارتها بيد البطريك. واستحصل لذلك الصكوك الشرعية لاثبات ملكيتها من اماره الآق قوينلو⁽⁵⁾.

2. الاقطاع:

جرى استخدام الاقطاع في اواخر الخلافة العباسية اسلوبا من اساليب التنظيم الاداري والمالي في الدولة، فكانت الخلافة تمنح الاقطاع لمن تشاء شريطة ان يرسل المقطع الوارد للحكومة بعد قطع جزء منه لنفسه، أو ان يتقبلها المقطع بالضمان عن طريق دفع مقدار معين من المال يدفعه للدولة سنويا، ويحتفظ لنفسه بالباقي⁽⁶⁾. ولم يكن على اصحاب الاقطاع واجبات عسكرية دائما، بل كان عليهم ان يدفعوا الضرائب إلى الديوان⁽⁷⁾. وكان هذا الاقطاع على صفتين: اقطاع تمليك واقطاع استغلال، فالأول يمنح لصاحبه الملكية على نحو دائم أو مدى الحياة، ويعطى عادة من اراضي الموات لاحتياها أو من الاراضي

(1) Minorsky: The AQ – Qoyunli and land Reforms, p. 454.

(2) Ibid., p. 450.

(3) التاريخ الاقتصادي، ص 339.

(4) انظر: العاني: المرجع السابق، ص 190-191.

(5) ذخيرة الأنعمان، ج2، ص 85-86، ولتأريخ وفاة شمعون الياسيدي، انظر: هامش المرجع نفسه، ص 79.

(6) خصباك: المرجع السابق، ص 100-101.

(7) الدوري: المرجع السابق، ص 28. العاني: المرجع السابق، ص 193.

التي توفي اصحابها من غير وارث. والصف الثاني - اقطاع استغلال - بمنح لفترة محدودة ينتهي استغلاله في حال اخفاقه في تنفيذ الشروط التي من أجلها منح له، وكان يعطي لرجال الجيش والموظفين المدنيين من الأراضي الخراجية بدلا عن الراتب النقدي، وهذا الصف لا يورث⁽¹⁾.

وكلا من الصنفين لم يكن سمة اساسية للاقتصاد العام للخلافة، في حين اصبح في العد الايلخاني هو السمة الاساسية لاقتصاديات الدولة لا سيما بعد اصدار غازان تشريعا سنة 703 هـ / 1303م نظم فيه شؤون النظام الاقطاعي في ملكية الاراضي وبموجبه وزع على العسكريين جميعا اقطاعات دون استثناء، واصبح العسكريون نتيجة لذلك هم غالب مالكي الاراضي⁽²⁾. فكان ذلك سببا لتحول اقتصاد العراق إلى اقتصاد مقايضة⁽³⁾. ووصفت الامارة الجلالتية بأنها امارة اقطاعية⁽⁴⁾، وكما هو الحال عند الايلخانيين كان اقطاع الاستغلال عند الجلالتين الأكثر شيوعا⁽⁵⁾. وفي عهد القره قوينلو اقتصر اقطاع الاستغلال والذي يسميه الغياثي 'اولكه'⁽⁶⁾ على الامراء والحكام لا سيما ابناء الاسرة الحاكمة. واتسع حجم الاقطاعات فاصبحت تشمل مدنا أو اقاليم بكاملها، وهذا ما نجده في مناطق الدجيل وحرسى والخالص وكركوك واربيل وألتون كوبرى والموصل وغيرها⁽⁷⁾.

(1) للمؤرخي: المصدر السابق، ص 191-198. النوري: المرجع السابق، ص 40. وعن اقطاع التملك، انظر كذلك: بن جعفر: المصدر السابق، ص 215-218.

(2) اشتور: المرجع السابق، ص 317. الجواهري، عماد احمد: ملاحظات عن الاقطاع وحيازة الاراضي في كردستان في العصور الاسلامية، مجلة كاروان، العدد 34، لسنة 1985، ص 142.

(3) اشتور: المرجع السابق، ص 317.

(4) العاني: المرجع السابق، ص 193. وانظر كذلك: المرجع السابق، ص 346.

(5) وللخصايل، انظر: العاني: المرجع السابق، ص 193-195.

(6) اولكه: تعني الاقطاع، أو المنطقة التي تحت حكم المرء ونفوذ ويراد بها المملكة. التونجي: المرجع السابق، ص 83. المزايي: تاريخ العراق، ج3، هامش ص 131. وانظر: كذلك: التاريخ الغياثي، ص 250، وهامش المحقق رقم (8) وص 280، 329.

(7) الغياثي: المصدر نفسه، ص 250، 260، 280. الحمداي: المرجع السابق، ص 18. الجواهري: ملاحظات عن الاقطاع، ص 142. ويذكر اوزن جاشلي في كتابه Anadolu, s, 203 بأن معظم الأراضي الاميرية في هذا العهد خصصت كاقطاعات للامراء.

وكان العراق اقطاعا لحكام القره قوينلو في تبريز⁽¹⁾. ويهدف تسخير بعض القرى المحلية لصالحهم عمد حكام القره قوينلو إلى منح اقطاعات لزعماء بعض القبائل العربية والعشائر الكردية، فقد منح قره يوسف الشيخ محمود زعيم عشائر المحمودية قلعة اشوت القرية من العمادية كاقطاع⁽²⁾، وكذلك فعل الشاه محمد عندما منح الشيخ حارث الطائي الموصل اقطاعا له سنة 836 هـ / 1432م⁽³⁾، وكانت تقع على هؤلاء الأمراء مسؤولية ادارة الاقطاع واستثمار ارضها بزراعتها مع تهئية الجند عند الطلب ودفع جزء من الايراد السنوي للديوان⁽⁴⁾. ويلاحظ ان هذا النمط من الاقطاع لا يشترط ان يقيم الامير في محل اقطاعه، فقد يكلف بحكم مدينة هي ليست اقطاعا له، كما هو الحال بالنسبة للامير ملك شاه الذي عينه قره يوسف حاكما على ماردين سنة 812 هـ / 1409م ومنحه الموصل اقطاعا⁽⁵⁾، وفي هذه الحالة يتعين على الامير ان يعين احد الاشخاص ليقوم بادارة شؤون اقطاعه نيابة عنه.

ويلاحظ في هذا العهد انه قد جرى التوسع في نمط معين من الاقطاع يسمى بـ السيورغال: والسيورغال هي الاملاك التي يمنحها السلطان عن طريق الاحسان والانعام والمهبات للأشخاص الذين يقدمون له أو للدولة خدمات معينة ولبعض القريين ممن لا وظيفة لهم كالشعراء والعلماء ورجال الدين وغيرهم⁽⁶⁾، وكانت خيوط هذا النمط قد تشكلت في العراق منذ العهد الجلائري، وجرى استكماله نظاما اقطاعيا في عهد القره قوينلو والاق قوينلو⁽⁷⁾، وعلى الرغم من ان هذا النمط من الاقطاع هو اقطاع استغلال فانه يختلف عن اقطاع الاستغلال الذي كان سائدا في العهد الايلخاني والذي كان منحة مشروطة تسحب عند اخفاق الاقطاعي، اما في عهد التركمان فقد اصبحت دائمية ووراثية⁽⁸⁾، ولا تشارك الحكومة المقطع (بالتفتح) بأي جزء من ايرادات الاقطاع أو حق الاشراف عليها، وكل ذلك يجري تاييده في وثيقة المنح. ولنا في ذلك صورة مرسوم يؤكد بعض ما قلناه، اصدره قره يوسف في عاشر

(1) الحمداني: المرجع السابق، ص 18.

(2) البديلي: المصدر السابق، ج1، ص 296، والمهامش رقم (1).

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 253. العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 87.

(4) Uzuncarsili: Osmanli Dvleti, s, 300.

(5) I. A: Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 298.

(6) العاني: المرجع السابق، ص 196، وانظر كذلك:

Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, p. 453. the note.

(7) اشتور: المرجع السابق، ص 352.

(8) المرجع نفسه والصفحة.

شهر ربيع الاول سنة 820 هـ / 1416م اعلن فيه لجميع رعاياه بمنح امير الامراء مير شمس الدين ابي المعالي 'سيورغالات' ... حكومة بدليس واختلاط وخنوس وموش وغيرها من القلاع والتوابع والمللقات والمضافات والنسويات إلى الامير المشار اليه يتصرف... في حقوقها الديوانية وعائلاتها الاميرية وغيرها من عوائد الايالة وماليتها، فلا يشاركه فيها احد ولا يتازعه بوجه من الوجوه، وايدانا لذلك اصدروا امرنا هذا السعيد وحكمنا النافذ في جميع الاقطار، ليعلموا بها وألا يتدخلوا في شؤون امارته وبلوكاتها ومزارعها وقشلاتها... وان لا يعارضوا في اعمال رعاياه وتحركات رجاله ولا يزاومهم قط، وكل من يخالف هذا يعرض نفسه للعقوبة الصارمة... هذا وواجب الامراء والقواد والأعيان والسكان - في هذا السورغان - ... ان يحلوا جميع امورهم وقضاياهم بمعرفة الامير على ايدي رجاله وعماله في البلاد...⁽¹⁾، وقد جاء في اسباب المنح ما ورد في مقدمة المرسوم اعلاه والذي تضمن: 'كمال الاخلاص والاتحاد ونهاية الاختصاص والتضحية'.. التي ايدها الامير شمس الدين لقره يوسف⁽²⁾.

وكان اتساع هذا النمط من الاقطاع على نحو كبير في عهد الآق قويونلو قد أدى من غير شك إلى اضعاف السلطة المركزية⁽³⁾، ففي هذا العهد وكما جاء في احد وثائق الاقطاعات ان 'ارجل الموظفين قد ازيلت واقلامهم قد رفعت'⁽⁴⁾، وهذا النص تأكيد على غياب اية سلطة ادارية أو مالية على السيورغالات. وبدلا من التوسع في منح السيورغالات في العراق وأذربيجان جرت في عهد حسن الطويل الذي لم يقصره على الامراء فحسب بل منح كثيرا منه لعلماء الدين لكسب هذه الطبقة إلى جانبه وكذلك فعل خليفته يعقوب شاه⁽⁵⁾ ورستم⁽⁶⁾، ومع

(1) البديلي: المصدر السابق، ج1، ص391-392.

(2) المصدر نفسه، ص391.

(3) اشتور: المرجع السابق، ص353. وجاء في احدى وثائق اقطاع الآق قويونلو بان اتساع هذا النمط قد أدى إلى تناقص الموارد المالية للدولة بشكل خطير بحيث اصبحت الدولة عاجزة عن اعانة الفقراء وتقوية الجيش، وبالنتيجة اصبحت غير قادرة على مواجهة الانحلال. نظر:

Minorsky: The AQ – Qoyunlu and the land Reforms, p. 456.

(4) اشتور: المرجع السابق، ص352.

(5) المرجع نفسه والصفحة.

(6) يذكر حسن روملو بان السلطان رستم بن مقصود بن حسن الطويل قد منح السيورغالات لرجال الدين واتباعه بحيث فاق ذلك جميع سلاطين القره قويونلو والآق قويونلو الذين حكموا البلاد من قبله، انظر احسن التواريخ، ص27.

ان هذا المنح رافقه تأكيد شرط الخدمة العسكرية⁽¹⁾، فانه حرم الدولة من موارد مالية كبيرة كانت بحاجة اليها لذا جرت محاولات في اخر عهد السلطان يعقوب لاسترداد الاقطاعات الممنوحة لعلماء الدين ليعاد الاستفادة من مواردها. ولكن جرت مقاومتها من قبل امراء الاقطاع والفقهاء وسقط الموظفون الذين قاموا باجراء الاصلاحات بعد موت السلطان يعقوب سنة 896 هـ / 1490م⁽²⁾، وتكررت محاولة الالغاء في عهد السلطان احمد وعلى نحو اكثر تطرفا عندما رفض التوقيع على وثائق السيورغالات التي منحها اسلافه للامراء ورجال الدين، وهذا الرفض يعني النية في القضاء على هذا النمط من الاقطاع، ومرة اخرى عارض امراء الاقطاع نويا الامير واسقطوه قتيلا في 17 ربيع الثاني سنة 903 هـ / 1497م بعد حكم دام ستة أشهر⁽³⁾.

ثانيا: الزراعة:

لغرض تسليط الضوء على حالة الزراعة في العراق في حقبة البحث لابد من القول ان المعلومات المتيسرة غير كافية للتفصيل في هذا النشاط لقلة الجغرافيين المعاصرين الذين كتبوا عن العراق، وما كتبه في الغالب مستنسخ عن جغرافي العهود السابقة والتي كانت معلوماتهم مخصصة لحقبة التسلط المغولي والفترة التي سبقتها.

ويمكن القول باطمئنان ان النشاط الزراعي في ظل الفوضى السياسية والحروب والسياسة المالية الجشعة لحكام التركمان، واهمال انظمة الري قد تقلص كثيرا فتناقصت مساحة الاراضي الزراعية لمصلحة التصحر والمستنقعات وانحسر النشاط الزراعي تدريجيا بالمدن الرئيسة واطرافها لاسباب امنية، ولثلاثي مشكلات النقل، كما ان الناتج الاجمالي للوحدة الزراعية قد تناقص ايضا، ومع ان الفياثي ينوه بان الغلال كانت في بغداد في بعض السنين كثيرة⁽⁴⁾، فان ذلك لا يعطي مؤشرا على حدوث تحسن في الانتاج الزراعي ولكنه قد يكون مؤشرا على انخفاض الطلب على الناتج الزراعي نتيجة لتناقص السكان. وبعمامة بقيت الزراعة هي محور النشاط الاقتصادي للغالية العظيمة من السكان، ويعزى ذلك إلى امتلاك العراق مقومات

(1) اشتور: المرجع السابق، ص 352.

(2) اشتور: المرجع نفسه والصفحة.

Minorsky: The AQ – Qoyunlu and the land Reforms, p. 452-457.

(3) اشتور: المرجع السابق، ص 352.

Minorsky: The AQ – Qoyunlu and the land Reforms, p. 459.

(4) انظر: التاريخ الفياثي، ص 280، 282.

الاتاج الزراعي المتمثلة بترية خصبة ومياه وفيرة، واحوال مناخية مشجعة. وكانت اهم المناطق الزراعية ومتوجاتها هي:-

1- منطقة بغداد والاراضي القريبة منها:

وهي من اهم مناطق العراق الزراعية، ذلك لان وجود نهر دجلة الذي يشقها في الوسط ويقسمها إلى جانين شرقي وغربي، وقرب نهر الفرات منها جعل كل من دجلة والفرات عاملا اساسيا في انتشار القرى الزراعية الكثيرة فيها، ويلمح الغيائي في معرض حديثه عن الاحتلال الآق قونلوي لبغداد بانتشار مثل هذه القرى⁽¹⁾، كما ان الحميري يصف طريق بغداد - الحلة بأنه اهل الطرق لما فيه من بساطة، وذلك بفضل فروع نهر الفرات المنحدرة باتجاه دجلة والتي كانت تسقي تلك البساتين بحيث كانت تتصل عينا وشمالا حتى جعلت منها موضع انشراح وانسراح لمن يراها⁽²⁾، وما يؤكد قول الحميري الرحال الايطالي جوزيف باربارو الذي زار منطقة المحول⁽³⁾ في اثناء رحلته إلى فارس سنة 876 هـ / 1471م، حيث يصف للمنطقة بأنها كانت نشطة زراعيًا، وتتوافر المواد الغذائية والفواكه فيها بكميات كبيرة، ولا سيما التمور والفستق والمتوجات الاخرى⁽⁴⁾. ولكن هذا الرحالة يقول عن بغداد التي كانت في الماضي مدينة مشهورة، هي الآن خربة إلى حد كبير⁽⁵⁾ والحراب لم يطل مبانيها فحسب بل اقتصادها ومنه الزراعة، وهذا ما يؤكد ابن تغري بردي (توفي سنة 874 هـ / 1469م) فيقول وجف اكثر نخلها زمن الشاه محمد⁽⁶⁾ بسبب تحريب قنوات الري⁽⁷⁾، ولا شك ان النخيل كان

(1) انظر: التاريخ الغيائي، ص380.

(2) الحميري، محمد بن عبد النعم: الروض للعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص197.

(3) بلدة المحول: تقع غربي بغداد بمسافة قليلة، ويمر بمنطقتها نهر عيسى الذي يقطع طريق بغداد - الحلة، كما ان هذه البلدة يمر بها الطريق المؤدي إلى الانبار. لسترنج: المرجع السابق، ص49-50، وانظر: الحارطة مقابل، ص40 من نفس الكتاب.

(4) عن هذا الرحال وما أورده من معلومات عنه، انظر: العاني: المرجع السابق، ص215، وهامش رقم (10) من ص232.

(5) اورد هذه المعلومة اشتور تولا عن كتاب الرحلات لهذا الرحال، انظر: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص358.

(6) النجوم الزاهرة، ج4، ص349.

(7) Al-Feel, Muhanad Rashid: The Historical Geography of Iraq Between the Mongolian and Ottoman Conquests "Nejef, 1965", Vol. 1, p. 232.

من أهم متوجاتها الزراعية، فهذا ابن فضل الله العمري يقول: "وبها ثمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والتمر..."⁽¹⁾. ويوافق المستوفي القزويني الذي امتدح ثمرها المختوم "المكتوم" والخسراوي كما امتدح انتاجها من الرمان الدراجي والعنب المورقي "المراقي" الذي لا يوجد مثيل له في مناطق أخرى⁽²⁾، وكان أسبان مغرماً باعناها، وأقام لنفسه فيها بستاناً زرعتها جميعاً بالاعناب⁽³⁾ وما قاله هؤلاء البلدانيون عن كثرة فاكهتها يؤكد جوسافت باريارو حيث يشير إلى توسعها في زراعة اشجار الفاكهة وكان قسم كبير من الانتاج يصدر كفاكهة مجففة من بغداد إلى فارس⁽⁴⁾.

وظلت هذه المنطقة تنتج الخضراوات والغلال كالقمح والشعير والذرة⁽⁵⁾ وأشار إلى ذلك الغياثي ضمن أحداث سنة 849 هـ / 1445م فيقول "كان ببغداد غلال وخيرات واجناس لا حد لها ولا حساب"⁽⁶⁾. وكانت ببغداد تنتج القطن ويجري في كل سنة احتفال بزراعته⁽⁷⁾، ويعتمد على حاصله في صناعة المنسوجات القطنية التي اشتهرت بها بغداد، ولعبت منسوجاته هذه شهرة واسعة في بلاد الشام ومصر، وهذا ما أشار اليه بعض المصادر المملوكية⁽⁸⁾.

2. منطقة الحلة والكوفة وكربلاء والأراضي القريبة منها:

احتفظت الحلة كما كانت سابقاً ولاحقاً بأهميتها الزراعية⁽⁹⁾ بحكم موقعها على نهر الفرات وخصوبة أراضيها، فكان النخيل يكثر في داخلها وخارجها وهو سبب لرطوبة

(1) القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص332. نقلا عن مسالك الأبصار.

(2) NAzat – Al – Qulub, p. 41.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص277، ويسمى هذه البستان التي دفن فيها يباغجه عيش خانة نفس المصدر والصفحة، وباغجة كلمة فارسية تعني البستان الصغير، وباغج تعني عنب لم ينضج بعد. التوثيحي: المرجع السابق، ص98.

(4) انظر: اشثور: المرجع السابق، ج4، ص340.

(5) القلقشندي: صبح الاعشى، ج4، ص332.

Mustawfi, op. cit, p. 41.

(6) التاريخ الغياثي، ص282، وانظر كذلك: ص280. من نفس المصدر.

(7) Al – Feel: op. cit, Vol, 1, p. 236.

(8) انظر: مبحث التجارة.

(9) ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد: رحلة ابن جبير، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1981، ص169. الحميري:

المصدر السابق، ص197. العمري: غاية المرام، ص64. لسترنيج: المرجع السابق، ص98.

هوائها⁽¹⁾، ويشير الغيائي إلى كثرة غلالها⁽²⁾، وكانت حاصلاتها مشابهة لحاصلات بغداد⁽³⁾ وكانت مدينة النيل القريبة منها والتي يمر منها نهر يسمى باسمها ذات قرى وبساتين تسقى بماء هذا النهر⁽⁴⁾.

ومزارع ونخل كثير⁽⁵⁾ وليمون⁽⁶⁾، وكان تمر الكتاس - حي من أحياء الكوفة - من أجود التمور، وقصب السكر فيها أجود ما في سائر العراق، ويكثر فيها القطن والذرة⁽⁷⁾. وعرفت النجف بكثرة بساتينها ومتزهاتها⁽⁸⁾. وبها عينان تسقيان عشرين ألف نخلة⁽⁹⁾، ونحف بساتين النخيل مدينة كربلاء القريبة منها وتسقيها أنهار تأخذ من الفرات⁽¹⁰⁾، وأخيرا اشتهرت المدن الثلاث بزراعة محصول الرز⁽¹¹⁾.

3. منطقة واسط والبصرة والحويصة والأراضي القريبة منها:

كانت واسط من أعمار بلاد العراق، وعليها معول ولاية بغداد⁽¹²⁾ لوفرة الخصب فيها، فيها بساتين وأشجار كثيرة لا سيما النخل⁽¹⁾، كما أنها وافرة الانتاج من محصول الرز وقصب

(1) الحميري: المصدر السابق، ص 197. لسترنج: المرجع السابق، ص 98.

Mustawfi: op. cit., p. 47.

(2) التاريخ الغيائي، ص 263.

(3) العاني: المرجع السابق، ص 216.

(4) لسترنج: المرجع السابق، ص 99.

Mustawfi: op. cit., p. 53.

(5) الروض المعطار، ص 501.

Al - feel: op. cit., 1, p. 226.

(6) اشثور: المرجع السابق، ص 339.

(7) لسترنج: المرجع السابق، ص 103.

Al - feel: op. cit., 1, p. 226.

(8) الحميري: المصدر السابق، ص 575.

(9) العمري: غاية الرام، ص 70.

(10) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 221. لسترنج: المرجع السابق، ص 106.

(11) لسترنج: المرجع السابق، ص 102.

Al - feel: op. cit., Vol. 1, p. 218-219, 239.

(12) الحميري: المصدر السابق، ص 599.

السكر، ولا سيما في منطقة كسكر القرية منها وكذلك في منطقة البطائح ذات القرى الكثيرة⁽²⁾. وكان اسبان حاكم بغداد يجلب الرز من هذه المناطق على ظهر سفن إلى بغداد⁽³⁾. واطرى الجغرافيون والرحالة تخيل ويساتين البصرة وشط العرب والابله⁽⁴⁾ فما ركوبولو والمستوفي القزويني اعتبروا تمور البصرة من اجود انواع التمور⁽⁵⁾، وامندح ابن بطوطة فاكهتها الاثيرة ويساتينها الكثيرة وعسل تمرها⁽⁶⁾، ولا شك ان كثرة انتاجها الزراعي يعود إلى كثرة انهارها التي اشتهرت بها في كل الأزمنة ولا سيما نهر المعقل والابله، وكانت بساتين نهر الابله تمتد على طول النهر⁽⁷⁾ وكانت عمليات المد تساعد على وصول المياه من شط العرب إلى الكثير من بساتين هذه المنطقة⁽⁸⁾، ومن محاصيلها الزراعية المهمة الذرة التي كانت تؤكل احيانا بدل القمح، كما كان يزرع فيها الرز والقمح⁽⁹⁾، فضلا عن نوم البصرة⁽¹⁰⁾. وفي اجزائها الغربية

(1) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 183. الشوشترى: المصدر السابق، ج2، ص 399. لسترنج: المرجع السابق، ص 60.

Mustawfi: op. cit., p. 53.

(2) ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج1، ص 206، ج2، ص 712. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 184. الشوشترى: المصدر السابق، ج2، ص 399. لسترنج: المرجع السابق، ص 62-63.

Al – Feel: op. cit., Vol. 1, p. 219.

(3) الشوشترى: المرجع السابق، ج2، ص 399.

(4) ابو الفداء: المصدر السابق، ص 57. ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج1، ص 18. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 185. الحميري: المصدر السابق، ص 105.

(5) رحلات ماركوپولو، ص 38.

Nazat – Al Qubub, p. 46.

(6) رحلة ابن بطوطة، ص 185-186.

(7) ابو الفداء: المصدر السابق، ص 57. الحميري: المصدر السابق، ص 105. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 336-337. لسترنج: المرجع السابق، ص 67.

(8) الحميري: المصدر السابق، ص 105.

Mustawfi: op. cit., p. 45.

(9) Al – Feel: op. cit., Vol. 1, p. 235.

Abid, Vol. 1, p. 219, 235.

(10) اشتور: المرجع السابق، ص 339.

والجنوبية البعيدة عن الانهر كانت الزراعة فيها تعتمد على مياه الامطار⁽¹⁾، وفي الغالب كانت هذه المنطقة يزرع فيها الشعير لانه اكثر قدرة على تحمل ملوحة التربة والجفاف من الحنطة، اما اراضي الحوزة وبطائحها فلعل اشهر محاصيلها الزراعية الرز والذرة والقمح والشعير وقصب السكر والقطن⁽²⁾.

4. منطقة طريق خراسان والأراضي القروية منها:

بقيت هذه المنطقة محظطة بأهميتها الزراعية، وهذا ما يلمح اليه الغياثي، حيث يؤكد ان قراها وغلالها كانت هدفا لغارات عساكر القصرة قوينلسو والمشعشين⁽³⁾. واشتهرت هذه المنطقة قديما وما زالت بالنخيل واشجار الفاكهة، فجلولاء فيها نخيل وزروع⁽⁴⁾، اما الطريق الممتد بينها وبين قرية الدسكره فهو بين جبال ورمال ونخيل⁽⁵⁾. وكانت بساتين النخيل متصلة في البندجين اكثرها في باقطنيا⁽⁶⁾. اما بعقوبة فكانت بساتينها كثيرة وفواكهها وفيرة لا سيما التمر والتارنج والاطرنج⁽⁷⁾. وكانت بساتين شهربان ونشتبري مختلطة⁽⁸⁾، وقد أثرت وفرة انتاج بعقوبة وشهربان من الحمضيات على اسعارها بحيث كان يباع ما بين (300) إلى (400) يرتقالة بدرهم⁽⁹⁾، ورمال شهربان كان يضرب به المثل لجودته⁽¹⁰⁾، اما منطقة يات التي بادريها (بدره) وبكاسايا وعددا من القرى التابعة لها، فهناك من يشير إلى انها بقيت محظطة بنشاطها الزراعي بعد نهاية القرن الثامن الهجري⁽¹¹⁾. اما درتلك - والتي كانت تعرف قديما باسم حلوان

(1) الفلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص335.

(2) لسترنج: المرجع السابق، ص276. العاني: المرجع السابق، ص217-218.

Al - Feel: op. cit., Vol. 1, p. 235.

(3) التاريخ الغياثي، ص253، 267، 311.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص167. لسترنج: المرجع السابق، ص87.

Mustawfi: op. cit., p. 49.

(5) الحميري: المصدر السابق، ص244.

(6) ياقوت: المصدر السابق، م1، ص499. ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج4، ص225.

(7) لسترنج: المرجع السابق، ص86.

(8) ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج4، ص1372.

(9) Mustawfi: op. cit., p. 49. Al - Feel: op. cit., Vol. 1, p. 221.

(10) العمري: غاية المرام، ص46.

Al - Feel: op. cit., Vol. 1, p. 236.

(11) العاني: المرجع السابق، ص217.

- فقد بقيت في عهد القره قوينلو محفظة بأهميتها في انتاج الغلال⁽¹⁾، فضلا عن زراعتها بأشجار التين والنخيل⁽²⁾.

5- المنطقة المحيطة بنهر الدجيل بين بغداد وتكريت:

هي منطقة واسعة تقع في الجانب الغربي لنهر دجلة، مسماة باسم نهر دجيل الواقعة عليه، وهو نهر يمتد من أعلى بغداد بينها وبين تكريت، ثم تصب فضله في دجلة⁽³⁾. وهذه المنطقة كانت في القرن الثامن الهجري 'ولاية عامرة ببغداد غنية ... وهي أحسن من بقية ولايات بغداد فيها قرى معتبرة، قريب من مائة قرية'⁽⁴⁾، معظمها تروى من ماء نهر الدجيل⁽⁵⁾. ومع اتنا لا نعلم فيما إذا كان هذا العدد من القرى التابعة لدجيل قد بقي قائماً في القرن التاسع الهجري، إلا ان اتخاذ اسبان مقراً له فيها قبل انتزاعه حكم بغداد من أخيه الشاه محمد وجبايته الأموال من قراها⁽⁶⁾، كلها دلالات على ترجيح استمرار أهميتها الاقتصادية لا سيما الزراعية في هذه الحقبة. وقد وصفت هذه المنطقة بكثرة محاصيلها الزراعية وبساتينها⁽⁷⁾، وكان رمانها الدراري أحسن أنواعه في نواحي بغداد الأخرى⁽⁸⁾، وبقيت حربي التي وصفت بأنها في غاية الخصب⁽⁹⁾ على أهميتها الزراعية بدليل انها كانت موضع صراع بين حكام القره قوينلو من اجل الاستحواذ على مواردها⁽¹⁰⁾، واشتهرت تكريت بزراعة البطيخ⁽¹¹⁾، كما كان فيها

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 253-254.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 336.

(3) ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج2، ص 516.

(4) لسترنج: المرجع السابق، ص 74.

Mustawfi: op. cit., p. 48.

(5) ابن بطوطة: للمصدر السابق، ص 234.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 260.

(7) العمري: غاية المرام، ص 45-50. العاني: المرجع السابق، ص 220.

Mustawfi: op. cit., p. 48.

(8) لسترنج: المرجع السابق، ص 74.

Mustawfi: op. cit., p. 48.

(9) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 234. لسترنج: المرجع السابق، ص 74.

(10) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 251، 260.

(11) Mustawfi: op. cit., p. 46.

بساتين النخيل⁽¹⁾، ووصفت قرية صرفين الكبيرة بأنها غناء شجراء⁽²⁾، واشتهرت بفاكهة الليمون⁽³⁾.

6. منطقة شرقي وغربي نهر دجلة بين تكريت ومصب الزاب الأسفل:

وصف المستوفي القزويني مناخ هذه المنطقة، لا سيما دافق بأنه افضل مناخات العراق⁽⁴⁾، وبالتأكيد كان هذا العامل مع خصوبة التربة وتوفر مياه الري او الامطار مسيما لانتشار المزارع الخصبية الواسعة التي تنتج مختلف المحاصيل الزراعية والفاكهة⁽⁵⁾، ويبدو أن الأراضي التي تقع شرقي دجلة في هذه المنطقة كانت اكثر زراعة من المنطقة التي تقع غربي النهر، ولهذا كانت عساكر تيمورلنك والقره قوينلو والاق قوينلو المتقلة بين بغداد والموصل تسلك طريق شرقي دجلة عبر هذه المنطقة دون غربيها، ولعل سبب ذلك يعود الى توافر الغلال والاعلاف والمياه في هذا الجانب اكثر من الجانب الغربي من دجلة.

7. المنطقة المحيطة بنهر الفرات بين الأنبار وعانة:

اشتهرت هذه المنطقة بزراعة مختلف المتوجات الزراعية من فاكهة وحبوب وخضراوات، فكانت بساتين عانة تضم اصنافا متعددة من اشجار الفاكهة كالحمضيات والرمان والتين والزيتون والنخيل⁽⁶⁾، وحديقة بأشجار البندق والجوز⁽⁷⁾، واشتهرت هيت بمدايقها وكثرة بساتين الفاكهة والنخيل، وكان يتبعها في القرن الثامن الهجري (30) قرية اشهرها قرية جبة التي تكثر فيها فاكهة مناخات البلاد الباردة والحارة كالجوز واللوز والتمر والتارنج⁽⁸⁾.

(1) Al - Feel: op. cit., Vol. 1, p. 227.

(2) ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج2، ص516، 839.

(3) العمري: غاية اللرام، ص48-49.

(4) Mustawfi: op. cit., p. 48.

(5) لسترنج: المرجع السابق، ص119.

(6) المرجع نفسه، ص138.

Al - Feel: op. cit., Vol. 1, pp. 221-222, 227.

(7) Ibid., Vol. 1, p. 224.

(8) Mustawfi: op. cit., p. 53.

8. مناطق العراق الشمالية:

تميزت منطقة الجزيرة الجنوبي سنجار بانتاج الحبوب لا سيما الحنطة والشعير كما هي عليه في الوقت الحاضر. ومن قراها الزراعية الخاتونية وكوكو (كوكمت) وشيخ كندی⁽¹⁾. وكانت غلال هذه القرى قد تعرضت لغارات عساكر اسبان المتكررة⁽²⁾، وعرفت سنجار وجبلها المسمى باسمها بانتاج اصناف مختلفة من الفاكهة كالتين والعنب والجوز واللوز والرمان والزيتون اضافة إلى السماق⁽³⁾. وتكثر في تل اعفر البساتين والاشجار⁽⁴⁾. وامتدح القزويني وهو من بلداني القرن السابع الهجري بساتين الموصل، وأشاد بنشاط أهلها وانتفاعهم من مياه دجلة عن طريق شق القنوات ونصب النواعير⁽⁵⁾، ويبدو ان هذه القنوات قد آل مصيرها إلى الخراب لخراب المدينة بفعل سلب أسبان نعم أهلها وتشريدكم لمصلحة الاعراب⁽⁶⁾.

وكانت تتبع الموصل الكثير من الاعمال والقرى الزراعية التي ثبتت اسماؤها في الحجة المحفوظة إلى الان في خزانة الكلدان البطركية والتي يعود تاريخها إلى سنة 896 هـ / 1490م، اذ كانت تنتج مختلف المحاصيل الزراعية، كما كانت تضم بساتين لاشجار الفاكهة⁽⁷⁾. واشتهرت برطلة بزراعة نوعية جيدة من القطن، وكانت الموصل تعتمد عليها وعلى قطن سنجار في صناعة المنسوجات القطنية حتى القرن الثالث عشر الهجري⁽⁸⁾. اما العمادية والعقر وشقلاوه فشهرتها كانت بانتاج عدة اصناف من الكروم، فضلا عن انواع اخرى من الفاكهة⁽⁹⁾. وأخيرا تميزت اربل وقراها بانتاج الحبوب والقطن الممتاز⁽¹⁰⁾. اما مناطق الجبال ذات الامطار الكثيرة

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 271-272.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) Mustawfi: op. cit., p. 154.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 323.

(5) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد: دار صادر، بيروت، 1960م، ص 461-462.

(6) عن هذا التخریب، انظر: القريزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص 918. ابن تغري يردی: النجوم الزاهرة، ج15، ص 45.

(7) لغرض الاطلاع على اسماء هذه القرى والتي ذكرت في الحجة، انظر: الكلداني: المرجع السابق، م3، ص 85-86.

(8) مراد، خليل علي: تجارة الموصل، موسوعة الموصل الحضارية، م4، ص 273.

(9) Mustawfi: op. cit., p. 154.

(10) Ibid., p. 102.

فكانت موطناً لغابات البلوط كما ضمت الكثير من وديانها بساتين البندق والفسق واللوب والزيتون، وأهم محاصيلها الزراعية كانت الحبوب كالخطة والشعير والرز والحمص والعدس⁽¹⁾.

2. سياسة المحتلين الزراعية:

لم يكن لحكام القره قوينلو في العراق اية سياسة اصلاحية زراعية، باستثناء ما ذكر بان الشاه محمد بعد دخوله بغداد سنة 814 هـ / 1412م اعفى الفلاحين من دفع الخراج لمدة سبع سنوات⁽²⁾، ويبدو ان اجراءاته هذه كانت بهدف تطمين الفلاحين على اراضيهم بعد الفوضى التي رافقت الغزو التيموري والصراع الجلائري - القره قوينلوي، الا ان قره يوسف لم ترق له هذه الاجراءات طالما انها لا توفر له الاموال، لذلك طالب الشاه محمد بدفع ما بذمته من اموال مقررة، وعندما امتنع حاصر بغداد واستصفى امواله وعاد إلى تبريز⁽³⁾.

وفي عهد الاق قوينلو نلّس بعض الجهود الاصلاحية الاقتصادية، والتي كانت لها على ما يبدو اثار طيبة على الزراعة، منها ما قام به حسن الطويل من اصدار قانون بضبط جباية الاموال واعمال العدل بين الرعية سمي بقانون نامه او بدستور حسن بيك⁽⁴⁾، والذي طبق حسب ما جاء في رواية البديسي في العراق وفارس وأذربيجان⁽⁵⁾. وفي ضوء هذا القانون الذي

ويذكر اشتر ان منطقة كردستان العراق كانت تنتج في القرن التاسع الهجري كميات كبيرة من القطن.

انظر:

Ashtor. E.: The Venetian Cotton Trade in Syria in the Later Middle Ages in "Studies on the Levant time trade in the Middle Ages, London, 1978", p. 690.

(1) العاني: المرجع السابق، ص 221.

(2) الفياثي: المصدر السابق، ص 248.

(3) المقرئزي: المصدر السابق، ج 4، ق 1، ص 533. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 14، ص 98.

الحمداني: المرجع السابق، ص 18.

(4) الفياثي: المصدر السابق، ص 391-392. وهامش المحقق رقم (1)، ص 392. ويذكر مينورسكي ان تشريعات هذا القانون بقيت في حيز التطبيق حتى عهد الشاه طهماسب الصفوي، وان كثيراً من تفاصيله اخذ بها العثمانيون، انظر:

The AQ – Qoyunlu and land Reforms, p. 449.

(5) الشرفنامه، ج 2، ص 107-108.

نجهل معظم بنوده أصبح الخراج يجبي من الفلاحين على نحو معلوم⁽¹⁾، كما انه خفض ضريبة التمتع التي كانت تفرض ايضا على المحاصيل الزراعية والفاكهة بنسبة النصف 'فجعل كل عشرين درهما درهما على النصف' أي 10 / 1. ومع ذلك بقيت هذه الضريبة مرتفعة أكثر من اثنتي عشرة مرة عما كانت عليه في عهد المغول⁽²⁾، ولنا ان تصور من خلال هذه الضريبة كم كان حيف المحتلين قاسيا على الفلاحين.

وسار على نهج حسن الطويل ابنه السلطان يعقوب الذي عرف عنه تعاطفه مع الفلاحين وجهه للرعية وكانت ادارة الشؤون المالية في عهده يتولاها نجم الدين سعود الذي قال عنه خواندمير بانه عمل من اجل بذر بذور الحب في نفوس الفلاحين⁽³⁾.

واهم اجراء اصلاحى يخص الارض والفلاحين تبناه السلطان يعقوب يتمثل بالعرض الذي قدمه له قاضي المملكة المدعو عيسى⁽⁴⁾ سنة 894 هـ / 1489م والذي اعتبر فيه ان احد اهم اسباب مشكلات الاراضي الزراعية منذ عهد جنكيزخان تتمثل بضريبة التمتع التي اعتبرها ضريبة مجحفة وغير اسلامية، ودعوا إلى اعفاء الرعية منها، فاستجاب السلطان يعقوب لهذا المطلب⁽⁵⁾، وكلف الوزير والمشرع على الديوان شرف الدين محمد الديلمي بان يزل كل ما استحدثه الملوك السابقون من ضرائب لا تتوافق مع احكام الشرع. فياشر الديلمي مهمته واخذ بمراجعة وتدقيق الخراج لضبط النظام الضريبي يساعده في ذلك نائبه وشقيقه امام الدين شيخ علي. ويهدف دعم السلطان اجراءات الديلمي اصدر مرسوما سنة 894 هـ / 1489م اعطى فيه الحق للديلمي في عزل أي موظف في العراق وفارس من منصبه اذا كان هذا الموظف يعيق عمله⁽⁶⁾، وكان الديلمي قد اصدر امرا لموظفي الخراج يدعوهم فيه إلى التوقف عن جباية الخراج في العراق وفارس لحين اكمال موظفي الديوان مسح الاراضي الزراعية وتدقيقها⁽⁷⁾.

(1) النياي: المصدر السابق، ص 391.

(2) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, p. 450. The Footnote.

(3) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, p. 451-452.

وانظر كذلك: الزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 261، 263.

(4) القاضي عيسى: اورد الزاوي اسمه الكامل 'القاضي مسيح الدين عيسى الساوي ابن الخواجة شكر الله'. تاريخ العراق، ج3، ص 261.

(5) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, pp. 451-452.

(6) Ibid., pp. 452-453.

(7) Ibid., pp. 452-453.

ويبدو ان قسما كبيرا من موظفي الخراج الذين استهدفهم مرسوم السلطان، كانوا قد عرقلوا امر الدليمي بضغط من كبار ملاكي الاراضي الذين كانت اجراءات الدليمي الاصلاحية تستهدف هؤلاء الملاكين لانها اولا ستلزمهم بعد اكمال المسوحات بدفع ضرائب معلومة، في حين كانوا من قبل يدفعونها على غير نظام يتوقف مقدارها حسب علاقتهم مع الموظف ومقدار ما يرشونه، لأنها مستحرمهم من جميع الاراضي التي كانوا قد استحوذوا عليها بطرق غير شرعية. وبذلك يكون مرسوم السلطان الأنف الذكر قد وضع حدا لمحاولة هؤلاء الموظفين عرقلة اجراءات الدليمي الاصلاحية.

ومع ان الدليمي خطا خطوات كبيرة في مجال تحقيق مشروعه⁽¹⁾، فان الظروف السياسية حالت دون اكماله وذلك لوفاة السلطان يعقوب سنة 896 هـ / 1490م وتولى مقاليد السلطة الامير صوفي خليل الذي كان قائدا للجيش ومشرفا على رعاية السلطان الرضيع بايستقر، وكان صوفي خليل من كبار الملاكين ومن اشد معارضي اجراءات الدليمي الاصلاحية لانها استهدفته كغيره من الملاكين، لذلك عزل الدليمي مع مساعديه بعد ان عذب، كما اعلم القاضي عيسى وذلك في 8 ربيع الاول سنة 897 هـ / كانون الثاني 1491م⁽²⁾.

وفي اواخر عهد الآق قوينلو جرت محاولة اصلاحية اخرى تبناها السلطان احمد الذي اصدر اوامره للوزراء وموظفي الديوان بعدم استحصال دينار واحد يتعارض مع الشرع، كما انه حاول الغاء نظام اقطاع السيورغال، لكنه ذهب ضحية هذه المحاولة⁽³⁾.

ثالثا: الصناعة

لم تنجح الصناعة العراقية من الكوارث التي احاقت بمجانب الحياة الاقتصادية المختلفة، فقبل احتلال القره قوينلو العراق كان تيمورلنك قد انتفى امهر حرفيي وصناع العراق وهجرهم إلى سمرقند لغرض اقامة نهضة صناعية وعمرانية فيها على ايدي حرفيي العراق، وذلك سنة 795 هـ / 1392م⁽⁴⁾، ومن بقي منهم اصابتهم اضرار كبيرة بسبب تعسف حكام

(1) يذكر مينورسكي ان موظفي الدليمي قد تمكنوا في جولاتهم المتعددة من ازالة كثير من الاستحقاقات الضريبية غير الشرعية على الاراضي.

The AQ-Qoyunlu and land Reforms, pp. 452-453.

(2) Ibid., pp. 454-455, 457-458.

(3) اشتور: المرجع السابق، ص 353.

Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, pp. 459.

(4) حسين: المرجع السابق، ص 423.

القره قوينلو بعد احتلالهم بغداد. ومع ذلك فقد حافظت الكثير من الصناعات على نشاطها النسبي، وتمكنت ان تجد طريقها إلى الاسواق الخارجية وأهم هذه الصناعات هي:-
1- صناعة المنسوجات:

حافظت الموصل وبغداد على شهرتهما العالمية في صناعة المنسوجات، لاسيما القطنية منها، ويرجع ذلك لتوافر المقومات الاساسية لهذه الصناعة والمتثلة بتراكم الخبرة الفنية منذ العهود العباسية، واعتدال المناخ فيها، وخصوبة الاراضي المحيطة بهما والصالحة لزراعة القطن، فضلا عن موقعيهما الجغرافي الذي جعل منهما مركزين تجاريين مهمين لهذه الصناعة⁽¹⁾. فالموصل وكما كانت سابقا بقيت تشتهر بهذه الصناعة حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي⁽²⁾. ولعل افضل اقمشتها الفاخرة هو 'الموسلي' نسبة اليها، والذي كان يوشى بالذهب⁽³⁾، وكذلك القماش المسمى بـ 'المحمرات' وهو منسوج مزيج من القطن والحرير⁽⁴⁾. وكان بلاط سلاطين المماليك، حتى عهود مناصرة يستخدم المنديل الموصلي⁽⁵⁾.

أما بغداد فتقصر انتاجها على البيوتات المحلية بعد ان غابت عنها المصانع الحكومية⁽⁶⁾ التي كانت تنتج الاقمشة الفاخرة، ومع ذلك فقد حافظت هذه البيوتات على جودة الانتاج، مما جعل منتجاتها مرغوبة فيها في الاسواق الخارجية، ولا سيما في بلاد الشام ومصر، فهذه البلاد كانت تستورد كميات كبيرة منها ومن الثياب الموصلية، وتجارها حققوا ارباحا عالية أغرت سلطان مصر على احتكارها لتكون متجرا للسلطان وحده⁽⁷⁾.

وبما ان هذه المنسوجات كانت غالية الثمن فقد اقتصر استخدامها على السلاطين والملوك والحكام والموسورين، ولهدايا الدولة وضيوفها، فالشاه محمد كان يلبس الشاش البغدادي⁽⁸⁾، وكثيرا ما كانت هدايا حكام بغداد لسلاطين مصر تتضمن ثيابا بغدادية أو موصلية

(1) Al - Feel: op. cit., Vol. 1, pp. 236, 265.

(2) مراد: تجارة الموصل، م4، ص273.

(3) ماركو بولو: المرجع السابق، ص37.

(4) Al - Feel: op. cit., Vol. 3, p. 268.

(5) ايوار: مادة سلاح دار، دائرة المعارف الإسلامية، (الترجمة العربية)، م12، ص40.

(6) عن هذه المصانع، انظر: الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد اثناء الحكم الايلخاني، ص312. العاني:

المرجع السابق، ص242.

(7) انظر: مبحث التجارة.

(8) الغياني: المصدر السابق، ص266.

مصنوعة من الحرير الثمين، كما حدث في سنة 856 هـ / 1452م عندما اهدى بيروداق السلطان المصري جقمق قماشا من الحرير⁽¹⁾، كما ان هذه المنسوجات كانت تستخدم لأغراض دينية فمحمل حجاج بغداد سنة 857 هـ / 1453م كان فيه آيات كريمة مذهبة على قماش⁽²⁾. ولم تقتصر صناعة المنسوجات على هذه الانواع فحسب، بل شملت كذلك صناعة السجاد والزواالي³ البسط⁴ والستور، وقد ذكر الغياثي وجود انواع منها في مشهد الامام علي في النجف والامام الحسين في كربلاء حيث استحوذ عليها المشعشعون⁽⁵⁾، كما اشار إلى ان الوند الذي كان يطمح بحكومة بغداد كان يستخدم الصيوان⁽⁶⁾ خيمة كبيرة ويبدو انها كانت تصنع في العراق، كما كان يصنع فيها الكبتك⁽⁷⁾، وعن لبسه شاه علي بن اسكندر حاكم الحلة، كما كان الدراويش يلبسونه في هذا العهد⁽⁸⁾.

وأخيرا رددت بعض المصادر أسماء بعض ممن اشتغل بصناعة المنسوجات في العراق في حقبة هذا البحث منهم:

- 1- شمس الدين محمد بن سعد الدين بن محمد بن نجم الدين محمد البغدادي الزركشي (توفي سنة 813 هـ / 1410م)⁽⁹⁾.
- 2- عبد المحسن بن حسان البغدادي البطائني، كان يشتغل بصناعة نسج الثياب (كان حيا سنة 815 هـ / 1431م)⁽¹⁰⁾.
- 3- عبد النعم بن محمد بن عبد المولى بن عبد القادر بن عبد الله البغدادي، كان يرتزق من صناعة الحياكة (كان حيا سنة 838 هـ / 1434م)⁽¹¹⁾.

(1) السخاوي: التبر، ص 384.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 308.

(3) التاريخ الغياثي: ص 309.

(4) المصدر نفسه، ص 281، وهامش المحقق رقم (9).

(5) الكبتك: عباءة مصنوعة من الصوف، وفي العادة كان يستخدمها رعاة الاغنام والابقار ولا تزال تستعمل في بعض مناطق شمال العراق، لا سيما الجبلية منها. انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 332 هامش المحقق رقم (10).

(6) الغياثي: المصدر نفسه، ص 332.

(7) ابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص 104.

(8) السخاوي: الضوء اللامع، ج 5، ص 78.

(9) للمصدر نفسه، ج 5، ص 89.

2. الصناعات المعدنية ومواد البناء والطواحين:

ان الاقفال والمسامير والدبابيس والاطبار¹ الفؤوس² والطواشي، اسماء تكرر ذكرها في حقبة البحث⁽¹⁾، ولهذا دلالة على استمرار صناعتها في العراق. وكان في عهد الآق قوينلو تفرض ضريبة على الاواني النحاسية والفضية المصنعة تسمى تمغاسياه⁽²⁾. وثمة اشارات تدل على ان صناعة المجوهرات والصياغة بقيت قائمة في هذا العهد، فزوجة قره يوسف كانت تملك مجوهرات نفيسة⁽³⁾، وان الشاه محمد اهدى سنة 836 هـ / 1432م أحد خدمه في الموصل كمرشمشير⁽⁴⁾ مذهبا⁽⁵⁾، وان يريوداق حاكم بغداد منح والده جهانشاه سنة 870 هـ / 1465م احجارا من الفصوص الثمينة لقاء فكه الحصار عن بغداد⁽⁶⁾. ومن اشتهر بهذه الصنعة احمد بن عمر بن علي بن عبد الصمد بن ابي البدر الشهاب ابو العباس البغدادي ويعرف بالجوهري وربما للؤلؤي الذي كان مجيدا في صناعته وله معرفة تامة بصنف الجواهر⁽⁷⁾.

واستمرت صناعة مواد البناء كالخشب والطابوق والابواب والشبابيك من الخشب او الحديد، والزجاجيات، ولكن على نطاق ضيق، وهذه المواد دخلت في عملية بناء القبة التي دفن فيها اسبان في بغداد سنة 848 هـ / 1444م⁽⁸⁾، وفي عملية بناء سوق الحلة وقلعتها سنة 859 هـ / 1455م⁽⁹⁾ وعرفت الطواحين⁽¹⁰⁾ الرحاء في اكثر قرى العراق ومدنه، وقلما كانت هناك قرية بدون رحاء لا سيما في شمال العراق والتي تديرها مياه العيون، وكان قسم من هذه الرحاء موقوفة لطائفة النساطرة في هذا العهد⁽¹⁰⁾.

(1) انظر: الغياني: المصدر السابق، ص252، 266.

(2) علي: الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الاسود والخروف الابيض، ص269، وهامش (35) من ص271.

(3) انظر: المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق1، ص524-525. ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص214.

(4) كمرشمشير: كلمتان فارسيتان الاولى تعني حزام، نطاق، والثانية سيف. التوحي: المرجع السابق، ص378، 476.

(5) الغياني: المصدر السابق، ص253.

(6) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، ج3، ص592.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص55.

(8) الغياني: المصدر السابق، ص277.

(9) المصدر نفسه، ص311.

(10) انظر: الكلداني: المرجع السابق، ج2، ص85-86.

3. صناعة الأسلحة والسفن

بقيت هذه الصناعة رائجة لحاجة المحتلين إليها في ادامة حروبهم، وكان قسم منها من الجردة بحيث كانت تدخل، ضمن الهدايا التي ترسل إلى السلاطين والملوك فجهاانشاه اهدى السلطان جقمق سنة 855 هـ / 1451م ثلاثة أقفاص سلاح من خوذ وزرديان⁽¹⁾، وكذلك فعل بيريوداق الذي اهدى جقمق سنة 856 هـ / 1452م بعض الانواع من الاسلحة⁽²⁾. وكانت بعض سيوف اصحاب النفوذ مرصعة بالذهب⁽³⁾، وفي اثناء الصراع القره قوينلوي - المشعشي اضطر المشعشعون إلى بيع جواميسهم وابقارهم لشراء اسلحة بثمنها لمواجهة اعدائهم فباعوا كل جاموسة او بقرة بسيف وعشرة دراهم⁽⁴⁾. وعلى ذكر صناعة السيوف اشار السخاوي إلى ان علي بن يوسف الاربلي السيوفي وابنه حسن المولود سنة 850 هـ / 1446م كانا ممن تعاطوا هذه الصنعة⁽⁵⁾.

ويلمح الغياثي إلى ان صناعة النشاب والنبال بقيت قائمة⁽⁶⁾. وجرت في بغداد صناعة السلام التي تستخدم لاجياز الاسوار⁽⁷⁾. وكانت هناك صناعة اخرى لها استخداماتها العسكرية والمدنية، وهي صناعة السفن، فاسبان اعتمد عليها في نقل ذخائره ومؤنه اثناء انسحابه من الحوزة⁽⁸⁾ والمشعشيون كانوا يمتلكون زهاء بضعة الاف مركب⁽⁹⁾. وفي بغداد كانت هناك زوارق كبيرة ذات مواصفات خاصة تستخدم لاغراض اقامة الجسور عليها، وقد تعرضت احدها للغرق⁽¹⁰⁾.

(1) ابن تفرى يردى: حوادث الدهور، ج1، ص103. السخاوي: التبر، ص345.

(2) ابن تفرى يردى: حوادث الدهور، ج1، ص123. السخاوي: التبر، ص384.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص253، وهامش المحقق رقم (7).

(4) الشوشترى: المصدر السابق، ج2، ص397.

(5) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص119.

(6) التاريخ الغياثي، ص282، 321.

(7) المصدر نفسه، ص265.

(8) الشوشترى: المصدر السابق، ج2، ص399.

(9) ابن تفرى يردى: حوادث الدهور، ج2، ص306.

(10) الغياثي: المصدر السابق، ص282-283.

4. صناعات أخرى

كانت صناعة طحن الحبوب معروفة في العراق، وتعتمد على الرحاء، وكان في بغداد أفران تنتج الخبز⁽¹⁾، واشتهرت بغداد بصناعة تحفيف الفاكهة، وقسم كبير من إنتاجها في هذا العهد كان يصدر إلى فارس⁽²⁾، واشتهرت بعض مناطق العراق بصناعة السكر، ومنها صناعة السكر المعروف بالبغدادي الذي كان قسم منه يصدر إلى الخارج⁽³⁾، ويبدو أن صناعة الخمر بقيت رائجة لا سيما في عهدي شاه محمد وشاه منصور اللذين كانا يتعاطيان الخمر⁽⁴⁾. وكانت أجود أنواع الخمر تصنع في اديرة الموصل وديار بكر⁽⁵⁾.

واستمرت الصناعات الجلدية في هذا العهد، وكان منها ما يستخدم للخيل وحيوانات النقل كالسروج والجلال وكذلك صناعة الدباغة والاحذية والاشربة. واوردت بعض المصادر عددا من المشتغلين بها منهم السراج القزويني الذي كان حيا سنة 811 هـ / 1408م⁽⁶⁾، والسراج ابو حفص عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادي⁽⁷⁾، وعلي بن جمعة بن ابي بكر البغدادي، الذي نشأ في بغداد وتعلم فيها صنائع، وارتزق من صناعة الشريط وتوفي في القاهرة سنة 868 هـ / 1463م⁽⁸⁾.

وأخيرا كل هذه النصوص لا تنقض فرضية التدهور الكبير في صناعات العراق في هذه الفترة، فكثير من الصناعات لم يعد لها ذكر في حين كان العراق يشتهر بصناعاتها في القرن الثامن الهجري كالورق ذي النوعية الجيدة الذي كان يتج في بغداد واعتبر افضل من الورق السوري والمصري⁽⁹⁾، وكذلك الاواني الزجاجية النفيسة وغيرها⁽¹⁰⁾.

(1) القريري: المصدر السابق، ج2، ق2، ص918.

(2) اشتور: المرجع السابق، ص340.

(3) فهمي: المرجع السابق، ص242.

(4) الغياني: المصدر السابق، ص251، 334.

(5) ابن عبد الحق: المصدر السابق، ج2، ص550 والحاشية، ص551. العمري، ابن فضل الله: مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: احمد زكي باشا، القاهرة، 1924م، ج1، ص255، 302-303، 310.

Mustawfi: op. cit., pp. 104-105.

(6) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص119 في الحديث عن ترجمة احمد بن محمد.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص233 في الحديث عن ترجمة احمد بن نصر الله.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص210.

(9) القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص487. اشتور: المرجع السابق، ص340.

(10) اشتور: المرجع نفسه والصفحة.

رابعاً : طرق المواصلات

ترتبط المدن العراقية بعضها ببعض، ومع البلاد المجاورة، بشبكة من طرق المواصلات البرية. وتعد بغداد مركزاً لها، ومنها تتفرع ستة طرق رئيسية:

1- طريق بغداد - البصرة

يتننى من بغداد ماراً بالمدائن - النعمانية - واسط، ومن واسط يسير بمحاذاة الاهوار ماراً بالهضيب - وادي الكراع - المشيرب - البصرة، وطوله ثمانون فرسخاً⁽¹⁾، وقد سلكه ابن بطوطة سنة 727 هـ / 1326م⁽²⁾، كما كانت تسلكه القوافل التجارية، ومنها القافلة التي تعرض لها المشعشعون سنة 844 هـ / 1440م⁽³⁾، كما سلكه اسبان سنة 836 هـ / 1432م وسنة 847 هـ / 1443م⁽⁴⁾.

2- طريق بغداد - الكوفة

ويتننى من بغداد ماراً بقرية صرصر - فراشه، ثم يعبر نهر الفرات الشرقي عند الحلة - الكوفة، ومن الكوفة كان تتفرع منه عدة أفرع أحداها إلى النجف وطوله ستة وعشرون فرسخاً، والآخر يخرج من الكوفة نحو الجنوب الغربي إلى القادسية ثم إلى البادية ويسمى بطريق الحج، كما كان يخرج من الكوفة طريق آخر بمحاذاة حافة البطائح الجنوبية وطوله بين ثمانين وخمسة وثمانين فرسخاً⁽⁵⁾، وقد سلكه ابن بطوطة في أثناء قدومه من البصرة إلى بغداد⁽⁶⁾. وطريق الكوفة - بغداد سلكه ابن جبير⁽⁷⁾، ومن جاء بعده من الرحالين⁽⁸⁾. كما سلكته قوافل الحج ومنها قافلة الحج البغدادية والتي تعرضت لغارة مشعشعية سنة 857 هـ / 1453م بعد نزولها

(1) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 185. الفياثي: المصدر السابق، ص 252، 265، 275-276. العاني: المرجع السابق، ص 294. الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص 321.

(2) رحلة ابن بطوطة، ص.

(3) الشوشتري: المصدر السابق، ج2، ص 397.

(4) الفياثي: المصدر السابق، ص 252، 265، 275-276.

(5) لسترنج: المرجع السابق، ص 111. العاني: المرجع السابق، ص 294.

(6) انظر: رحلة ابن بطوطة، ص 649.

(7) انظر: رحلة ابن جبير، ص 167-173.

(8) لسترنج: المرجع السابق، ص 111.

بالمشهد الشريف الغروي في النجف⁽¹⁾. ويشير ابن تغري بردي إلى أن بير بوداق أصلح هذا الطريق سنة 861 هـ / 1456م وأخذت قوافل الحجاج تسلكه بعد انقطاع دام سنين عدة⁽²⁾.

3- طريق بغداد - عانة

ويخرج من بغداد إلى الحول ثم يسير بمحاذاة نهر عيسى إلى الأنبار على نهر الفرات ومنها يصعد مع النهر مارا بهيت - حديثة - عانة - ومنها إلى بلاد الشام⁽³⁾. وكان هناك طريق آخر سلكه شاه محمد أثناء هروبه إلى حديثة بعد استيلاء إسباني على بغداد سنة 836 هـ / 1433م. ويتنبد من بغداد - مشهد موسى الكاظم (رض) - الدجيل - حديثة⁽⁴⁾.

4- طريق بغداد - الموصل

ترتبط بغداد بالموصل بثلاثة طرق رئيسية هي:-

أ- طريق بغداد - كركوك - الموصل

ويخرج من بغداد مارا بالعظم - الخالي - عبر جبل حميرين - زانكباد - كفري - طوزخورماتو - دافوق - كركوك - وعبر الزاب الأسفل عند التون كوبري - اربيل - عبر الزاب الأعلى - الموصل⁽⁵⁾. وكان هذا الطريق تسلكه في الغالب عساكر المحتلين في هذه الحقبة⁽⁶⁾ لكثرة القرى والأعلاف ومصادر المياه فيه.

ب- طريق بغداد - البردان - عكبري - القادسية - سر من رأى - السن - حديثة - الموصل ويتبع هذا الطريق الحافة اليمنى لنهر دجلة⁽⁷⁾. وقد سلكه جانباً من هذا الطريق تيمورلنك في أثناء حملته على ديار بكر سنة 796 هـ / 1393م⁽⁸⁾. وكذلك في أثناء فرار السلطان أحمد الجلائري من بغداد إلى تكريت سنة 806 هـ / 1403م⁽⁹⁾.

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص308. الشوشري: المرجع السابق، ج2، ص399.

(2) حوادث الدهور، ج2، ص305-306.

(3) لسترنج: المرجع السابق، ص113.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص252-253.

(5) الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص321.

(6) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص189، 253، 268-26، 280-281، 305.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص403. لسترنج: المرجع السابق، ص157.

Mustawfi: op. cit., p. 167.

(8) الشامي: المصدر السابق، ص142-144.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص208.

ج- طريق بغداد - حربي - تكريت - الموصل⁽¹⁾

ومن الموصل كانت تخرج عدة طرق محلية واخرى ترتبط ببلدان مجاورة ومنها:-

1. طريق الموصل - بلد - تل عفر - تل كوكو - منجار⁽²⁾. وقد سلكه اسبان سنة 840 هـ / 1436 م⁽³⁾.

2. طريق الموصل - جزيرة ابن عمر - نصيبين - منجار، وقد سلكه ابن بطوطة في اثناء رحلته إلى ديار بكر⁽⁴⁾، كما سلكه اسكندر بن قره يوسف سنة 823 هـ / 1420 م⁽⁵⁾.

3. طريق الموصل - جزيرة ابن عمر - ماردين - الرها - البيره - حلب⁽⁶⁾.

4. وكانت الموصل ترتبط عن طريق ماردين بتهريز وكان هذا الطريق يمر بالمدن الآتية:-
ماردين - حصن كيفا - سمرة - وان - وسطان - سلماس - تهريز⁽⁷⁾.

5. طريق بغداد - حلوان

ويسمى بطريق خراسان، ويستدئ من بغداد إلى النهروان - الدسكرة - جلولا - خاتقين - قصر شيرين - حلوان - ثم يدخل الاراضي الايرانية شرقاً إلى همدان ويستمر حتى تخوم صحراء الصين⁽⁸⁾. وكانت تخرج من هذا الطريق داخل العراق طرق فرعية، فعند خاتقين كان يخرج منه طريقان، الاول يتجه نحو مندلي، والثاني نحو ججمال⁽⁹⁾، وعندها كان يتصل بطريق كركوك - ججمال - شهر زور، ثم يعبر جبال كردستان باتجاه بلاد ايران. والطريق الاخر سلكه تيمورلنك في اثناء توجهه لاحتلال بغداد سنة 795 هـ / 1392 م⁽¹⁰⁾، كما سلكه الشاه محمد في اثناء توجهه من بغداد لاختضاع شهر زور لحكمه سنة 814 هـ / 1411 م⁽¹¹⁾.

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص403.

(2) المصدر نفسه، ج4، ص322-323. الغياثي: المصدر السابق، ص271.

(3) الغياثي: المصدر نفسه، ص271-272.

(4) رحلة ابن بطوطة، ص236-238.

(5) Sumer: A. g. e. 1, cilt, ss, 118-119.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص403.

(7) المصدر نفسه، ج4، ص405.

(8) المصدر نفسه، ج4، ص403.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص204.

(10) المصدر نفسه، ص185.

(11) Sumer: A. g. e. 1, cilt, s, 93.

الطرق المائية

تمثل الطرق المائية بنهري دجلة والفرات وروافدهما، فنهري دجلة صالح للملاحة، وفي موسم الفيضانات كانت الاكلاك النهرية تقطع المسافة بين الموصل وبغداد خلال 3 او 4 ايام، اما في الاوقات الاعيادية تستغرق السفرة 15 يوما⁽¹⁾. وكان الطريق النهري بين بغداد والبصرة ايسر من الطريق البري⁽²⁾، لبوء تيار نهر دجلة وقلة الانحدار واتساع الوادي⁽³⁾، لذا كان يجري استخدامه على نطاق واسع لنقل الافراد والمؤن والتجارة، وكذلك للاستخدامات العسكرية، فالمشعبيون كانت لهم على مجرى هذا النهر ويطائحه بضعة الاف زورق⁽⁴⁾، واسبان استخدمه لنقل المؤن والرز من منطقة الحويزة والبصرة إلى بغداد⁽⁵⁾.

اما الملاحة في مجرى نهر الفرات فيبدو انها كانت اقل من نهر دجلة، وذلك بسبب كثرة تعرجاته التي كانت تطيل كثيرا من امتداده، وكذلك بسبب ما يتعرض له من جنادل وشلالات تؤدي إلى زيادة سرعة التيار، لا سيما في المنطقة الممتدة بين عانة وهيت⁽⁶⁾، ومع ذلك استخدم هذا النهر لنقل التجارات والمحاصيل من بلاد الجزيرة الفراتية والشام إلى بغداد بواسطة الاكلاك⁽⁷⁾، وكان يستخدم كذلك لنقل الافراد، فحاكم حديثة المسمى حادث المجدد على ظهر سفينة على الفرات، ثم برا إلى بغداد.

خامسا: التجارة

تدهورت تجارة العراق في هذه الحقبة تدهورا كبيرا، وهناك عدة اسباب لهذا التدهور، منها أولا طغيان اقتصاد المقايضة، فلم يحدث من قبل - ومنذ ان فتح المسلمون العراق - تراجع البلاد إلى اقتصاد طبيعي ذي مستوى منخفض، كما حدث في عهد التركمان، وثانيا لا بد ان فقر السكان العام أدى إلى تقلص التجارة، ويشهد على هذه الاحوال ان قطع النقود التي وصلت الينا من ايام حكم القره قوينلو والاق قوينلو محدودة جدا⁽⁸⁾، وثالثا ثقل الضرائب

(1) القليل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص 316.

(2) لسترنج: المرجع السابق، ص 110.

(3) القليل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص 316.

(4) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج2، ص 306.

(5) الشوشتري: المصدر السابق، ج2، ص 399.

(6) شريف، ابراهيم: الموقع الجغرافي للعراق وآثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، مطبعة شفيق، بغداد ج1، ص 127، 131.

(7) طوني: التنظيمات التجارية في بلاد الشام، ص 258-259.

(8) اشتور: المرجع السابق، ص 353. وعن محدودية النقود، انظر: توحيد: المرجع السابق، ق4، ص 454، 459.

وجشع القائمين على استحصالها⁽¹⁾. وعلى الرغم مما قيل بأن حسن الطويل قد قلل من عملية التراجع لمعظم فروع التجارة عن طريق تخفيف ضريبة التمتع إلى النصف، فإن هذه الضريبة بقيت مرتفعة جداً قياساً لما كانت عليه زمن الأيلخانيين والتي كان مقدارها 1/240⁽²⁾، وأجراءاته هذه لم يستمر العمل بها طيلة عهد الآق قويونلو، قضي عهد السلطان مراد استغل اتباعه التجارة بمختلف الطرق، وببساطة أنهم سلبوا التجار بضائعهم⁽³⁾. تنقسم التجارة إلى داخلية وخارجية، تقوم الداخلية منها بين المدن بعضها مع بعض، وبينها وبين القرى والأرياف، والخارجية تقوم بين المدن العراقية والبلاد المجاورة والبعيدة، فضلاً عن تجارة الترانسيت التي يستفاد منها من خلال الضرائب التي تفرض على البضائع التي تمر عبر أراضي البلد، والتي كان يساهم بها أحياناً تجار عراقيون.

1. التجارة الداخلية:

على الرغم من أن بغداد زمن الجلائريين كانت تضم أسواقاً كثيرة⁽⁴⁾، فإن معظم هذه الأسواق قد غاب ذكرها في هذه الحقبة، لا بل هناك من يذكر أن بغداد زمن أسبان لم يعد فيها أسواق وليس بها إلا ثلاثة أفران⁽⁵⁾. وهذا يعني أن بغداد فقدت مركزها الكبير الذي كانت تضطلع به من قبل في النشاط التجاري العراقي، وفي عهد الآق قويونلو لم تجر محاولات لاتخاذ وضع المدينة فقد بقيت وعلى لسان شاهد عيان هو جوزيف باربارو بأنها "خربة إلى حد كبير"⁽⁶⁾ ومع ذلك فإن مزاولة عدد من سكان المدينة مهنة التجارة⁽⁷⁾ واستمرار بعض من خاناتها كخان

(1) انظر: مبحث الضرائب: وكذلك: الغياثي: المصدر السابق، ص 317، 391.

(2) الغياثي: المصدر نفسه، ص 391. اشترور: المرجع السابق، ص 354.

Minorsky: The AQ – Qoyunlu and Land Reforms, p. 450, note "3".

(3) اشترور: المرجع السابق، ص 354.

(4) عن هذه الأسواق، انظر: العاني: المرجع السابق، ص 277-278.

(5) المقرئ: المصدر السابق، ج 4، ق 2، ص 918. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 15، ص 45.

(6) اشترور: المرجع السابق، ص 358.

(7) عن من زاول مهنة التجارة من البغداديين، انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج 1، ص 73، 335، ج 2، ص 89، 209-210، ج 7، ص 114-115.

مرجان الارطمة والى فترات لاحقة تعمل كمشتات تجارية⁽¹⁾، واستمرار انتاجها لبعض الصناعات⁽²⁾ كلها علامات تدلل على وجود حركة تجارية فيها، ولكن في ادنى مستوى لها. اما البصرة فواقع حالها يختلف عن بغداد لان ايدي المحتلين القره قوينلو والاق قوينلو لم تصلها، لذا فقد سلمت أسواقها من التخريب، فكان فيها سوق ضخم للمتاجرة⁽³⁾، ولكن هذا السوق ارتبط بالتجارة الخارجية اكثر من التجارة الداخلية بحكم موقع البصرة الجغرافي على رأس الخليج. وكان للحلة سوق تجارية جرى تخريبه على ايدي المشعشين، ثم أعيد اعماره على يد سيدي علي القره قوينلوي سنة 859 هـ / 1454 م⁽⁴⁾، وكانت هيت مركزا تجاريا مهما، لا سيما مع البادية، كما كانت مركزا لحركة التبادل التجاري بين العراق وبلاد الشام⁽⁵⁾. اما الموصل فعلى الرغم من الخراب الذي لحق بها، فقد بقيت محفظة ببعض أهميتها في تجارة العراق لا سيما مع اجزائه الشمالية. ولم تحصل على معلومات عن النشاط التجاري لبقية المدن العراقية، ولكن ما ذكر عن تعرض قافلة تجارية كبيرة لأذى المشعشين في وسط العراق دليل على وجود نشاط تجاري بين مدنه⁽⁶⁾.

2- تجارة العراق الخارجية:

1- مع بلاد الشام ومصر والحجاز:

احتفظ العراق في هذه الحقبة بعلاقات تجارية مع الدولة المملوكية في بلاد الشام ومصر والحجاز، ولعل هذا يرجع إلى حالة السلم التي طغت على العلاقات السياسية بينهما ولحاجة الممالك لمتوجات عراقية، ولوقوع العراق على الطرق التجارية التي تربط الشام بكثير من بلدان الشرق. لذا كان قسم من تجارتها يمر عبر اراضيه، كما كان كثير من تجارها قد اتخذوا من بعض مدنه كهيت⁽⁷⁾ وبغداد والبصرة مراكز لتجارتهن⁽¹⁾، وبإزاء ذلك كانت حلب أهم مركز

(1) بكتنهام، جسن: رحلتي إلى العراق سنة 1816م، ترجمة: سليم طه التكريتي، مطبعة اسعد، بغداد، 1968م، ج1، ص197، 215.

(2) انظر: مبحث الصناعة.

(3) فهمي: المرجع السابق، ص122.

(4) الغياني: المصدر السابق، ص309، 311.

(5) تذكر بعض المصادر المملوكية ان هيت كان فيها سنة 835 هـ جمع غفير من التجار، انظر: المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص866. الصيرفي: نزعة النفوس والأبدان، ج3، ص232. مجهول: المصدر السابق، ص26.

(6) الشوشتري: المصدر السابق، ج2، ص397.

(7) المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص866.

لتجميع تجارة العراق. فكانت مقصدا لتجاره وبضائعه لاسيما المنسوجات والملابس المصنعة في الموصل وبغداد⁽²⁾، وكانت حماه ودمشق محطتين مهمتين لتجار المنسوجات العراقية⁽³⁾. وبقيت القاهرة مقصدا مهما لتجار العراق، فمنسوجاتهم الموصلية والبغدادية كانت تلقى رواجا كبيرا عند سلاطين وامراء مصر، وكانوا يعدونها من جملة الهدايا التي اعتادوا على تقديمها في المناسبات⁽⁴⁾. وكانت تجارة العراق مع الحجاز نشطة لاسيما مع ميناء جدة الذي يقع على البحر الاحمر والذي كان مقصدا لتجار الهند وجنوب شرق آسيا وشرق افريقيا وبلاد الشام ومصر اضافة إلى العراق⁽⁵⁾، وكان اكثر التجار العراقيين في هذا الميناء هم من تجار البصرة والكوفة يقصدونه بهدف التجارة بالتوابل⁽⁶⁾، كما كان للعراق تجارة مع مكة⁽⁷⁾، لاسيما في مواسم الحج. وثمة اشارات تؤكد ضخامة التعامل التجاري مع مدن الحجاز منها ما ذكره ابن حجر ضمن حوادث سنة 830 هـ / 1426م إلى تعرض قافلة تجارية عراقية في هذه السنة للنهب على يد عرب الحجاز حيث نهب منها ... اموالا عظيمة كثيرة جدا⁽⁸⁾. منها لتاجر واحد مائة جمل

- (1) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص192-193، ج2، ص256-257، 297، ويذكر نعيم زكي فهمي بان توافد تجار الشام على بغداد والبصرة قد استمر إلى نهاية عهد الآق قويونلو. وبعد استيلاء اسماعيل الصفوي على العراق منعهم من دخول بغداد. انظر: طرق التجارة الدولية، ص124.
- (2) فهمي: المرجع نفسه، ص149.

Ashtor: The Venetian Cotton Trade in Syria, p. 691.

- (3) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق2، ص792. الصيرفي: زهرة النفوس والأبدان، ج3، ص146. وانظر كذلك: ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص352 في الحديث عن التاجر احمد بن عبد الرحيم.
- (4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص80. حوادث الدهور، ج1، ص123. الصيرفي: زهرة النفوس والأبدان، ج3، ص118. السخاوي: التبر المسبوك، ص16.
- (5) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق2، ص791. الصيرفي: زهرة النفوس والأبدان، ج3، ص145، 338. مجهول: المصدر السابق، ص156.
- (6) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق2، ص791. الصيرفي: زهرة النفوس والأبدان، ج3، ص145.
- (7) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق2، ص755، 791. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص310. الصيرفي: زهرة النفوس والأبدان، ج3، ص145. السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص36، 73، 165.
- (8) انباء الغمر، ج3، ص383.

معملة بيزانص ما بين شاشان وارز وبهار ومواد اخرى⁽¹⁾. وكان للملك العراق ذهب في المدينة المنورة⁽²⁾، وربما كانت هذه الودائع لأغراض تجارية.

حقق التجار العراقيون لاسيما تجار المنسوجات ارباحا طائلة مع الدولة المملوكية، وفي محاولة من السلطات المملوكية الحد منها اتخذت اجراءات اضرت كثيرا بتجار المنسوجات العراقيين، اذ جرت العادة ان يبيع هؤلاء التجار ثيابهم الموصلية والبغدادية في مدن الشام ومصر بالاجل، وبهذه الطريقة من البيع يزداد ثمنها، فأصدر السلطان المملوكي الأشرف برسباي مرسوما في شهر جمادي الاول سنة 825 هـ / 1421م ألزم بموجبه هؤلاء التجار بيع بضائعهم بالتقيد دون الاجل، فأدى ذلك إلى إلحاق خسائر قدرها المقرضي بثلاث ثمن البضاعة، مما دفع التجار العراقيين إلى التوقف عن التجارة مدة من الزمن، ولم يستأنفوا تجارتهم الا بعد ان ألغى هذا المرسوم⁽³⁾.

وفي سنة 830 هـ / 1426م حاق بالتجار العراقيين حيف آخر تمثل بالزام السلطات المملوكية كافة التجار ومنهم العراقيون الذين كانوا يتبعون من متاجر مكة وجدة بالسفر ببضائعهم إلى القاهرة بقصد دفع المال فيها ومن يسافر إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان⁽⁴⁾، وهذا ما أدى بالنتيجة إلى تزايد الكلفة على البضائع المستوردة للعراق بسبب زيادة طول المسافة أولا وزيادة الضرائب التي أخذت تدفع ليس في جدة فحسب بل في القاهرة وفي مدن الشام في أثناء رحلة العودة⁽⁵⁾. وقد استهجن المقرضي وهو الخبير بالشؤون الاقتصادية هذا الاجراء وعده كارثة لبلاده، حينما قال "وهذا ليتكر وتلك الامور يعتني بانكارها، ويسعى اهل البلاد إلى ازالته، فيا نفس جدى ان دهرك هازل"⁽⁶⁾، ومع ان السلطات المصرية تراجعت في سنة 831 هـ / 1427م عن هذا الاجراء عندما اعفت تجار الكوفة والبصرة من القدوم إلى القاهرة ببضائعهم والزمته ان يدفعوا في جدة ومكة عن كل حل ثلاثة دنانير ونصف⁽⁷⁾، فانها ما لبثت سنة 832 هـ / 1428م ان اعادت العمل بمرسوم سنة 830 هـ / 1426م لا بل تشددت في تطبيقه عليهم

(1) المقرضي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص756.

(2) للمصدر نفسه، ج4، ق1، ص76.

(3) للمصدر نفسه، ج4، ق2، ص611.

(4) المصدر نفسه، ج4، ق2، ص755، 965. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص310. الصيرفي:

نزعة النفوس والأبدان، ج3، ص338.

(5) المقرضي: المصدر السابق، ج4، ق2، ص755. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج14، ص310.

(6) السلوك، ج4، ق2، ص755.

(7) المصدر نفسه، ج4، ق2، ص791. الصيرفي: نزعة النفوس والأبدان، ج3، ص145.

بحيث لم يقدر احد منهم ان يتأخر بمكة... واقامت عليهم الاعوان في طول الطريق يتقدمهم ويعد جالهم حتى قدموا... فحل بهم من البلاء ما لا يوصف⁽¹⁾.

والواقع ان السلطات المصرية باجرائها هذه لم تكن تقصد ضرب تجارة العراق والبلدان الاخرى وانما هدفها استحصال الاموال لادامة مصروفاتها الكثيرة على حروبها وعلى مؤسساتها، والتي كان جزء كبير منها يتأتى عن طريق التجارة⁽²⁾، لهذا ان اجراءاتها لم تكن موجهة ضد العراقيين وانما شملت كذلك تجار اجانب، فضلا عن الشاميين⁽³⁾.

استمرت مضايقة التجار العراقيين لاسيما تجار الموصل، وفي ذلك يشير المقرئ صراحة ضمن حوادث سنة 832 هـ / 1428م فيقول "بلغ السلطان ان التجارة الواردة إلى القاهرة من الموصل... تريح فيما تجلبه من الثياب المنسوجة من القطن مالا كثيرا فالزم السامسة ان لا يبيع لأحد من هذا الصنف شيئا بل يكون باجمعه متجرا للسلطان"⁽⁴⁾. وعلى اثر هذا الالتزام صودرت لتاجر عراقي ثمانون ثوبا كان معه⁽⁵⁾، كما لزم جماعة من تجار الموصل بيع تجارتهم من ثياب موصلية بثمان بخص⁽⁶⁾، ومن يتمتع عن بيع ثيابه كان يلزم بالعودة بتجارته إلى بلده كما حدث لقافلة قدمت إلى مدينة حماة ثياب موصلية، فاضطرت للعودة إلى الموصل⁽⁷⁾. وكان من نتائج ذلك ان "حل بالناس بلاء لا يمكن حكايته"⁽⁸⁾.

2. مع بلاد ايران وأذربيجان

من الطبيعي ان تكون تجارة العراق مع هذين البلدين قائمة بحكم كونهما مع العراق يشكلان الجزء الكبير من مملكة القره قوينلو ومن بعدهم الآق قوينلو، وهذه الميزة اعطت للتجار العراقيين وكذلك لتجار غربي ايران حرية التحرك التجاري. فالسخاوي يورد اسما لعدد من التجار العراقيين الذين كانوا يترددون على هذه البلاد⁽⁹⁾، كما كان لتجار ايران وجود

(1) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق2، ص791. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص145.

(2) طرخان: المرجع السابق، ص277.

(3) انظر: المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق2، ص755، 791، 965.

(4) المصدر نفسه، ج4، ق2، ص791-792. وانظر كذلك: الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص146،

155.

(5) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق2، ص792.

(6) المصدر نفسه، ج4، ق2، ص800. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج3، ص155.

(7) المقرئ: المصدر السابق، ج4، ق2، ص792.

(8) المصدر نفسه والصفحة.

(9) الضوء اللامع، ج4، ص319، ج5، ص147، 209-210.

في بغداد والبصرة⁽¹⁾، وكانت بغداد تصدر الفاكهة المحفوظة إلى بلاد إيران⁽²⁾. غير ان ابرز نشاط للتجار العراقيين كان في تبريز العاصمة، حيث كان فيها اعداد من تجار بغداد كانوا يقومون بشراء البضائع الايرانية لاسيما الحرير الخام الايراني والمنسوجات الصوفية وبضائع الهند والصين، ومن ثم يشحنونها عن طريق تبريز عبر الجزيرة الفراتية إلى حلب ومن ثم توزع على باقي البلدان لاسيما الأوربية منها⁽³⁾.

3- مع بلدان أخرى

ارتبط العراق بعلاقات تجارية مع الكثير من البلدان التي كانت تقع على طريق التجارة الدولية بين الشرق والغرب، والتي كانت تجارتها تسلك الطريق المار عبر الخليج العربي، فقد فضل تجار البندقية وجنوه ان يسلكوا بتجارتهم طريق الخليج العربي عبر العراق تفاديا لتقل الضرائب التي كانت تفرض على تجارتهم في حال مرورها عبر اراضي الدولة المملوكية⁽⁴⁾، وهذا ما أعاد للبصرة أهميتها في تجارة الترانسيت، وجعلها واحدة من اهم محطات التجارة الدولية بحكم وقوعها على رأس الخليج العربي⁽⁵⁾، فهي خرج تجارة العراق، وتصل بالصين والهند بطرق بحرية وبرية، كما تتصل بالشام وآسيا الصغرى بطرق برية ونهرية⁽⁶⁾، ولهذا كانت مركزا لتجمع التجار الاجانب لاسيما الأوربيين والهنود⁽⁷⁾ والشاميين والفرس⁽⁸⁾، وكانت تضم اسواقها مخازن ومستودعات كثيرة لبضائع البلدان الشرقية والغربية، فضلا عن البضائع العراقية، وقد بلغ ايرادها من ضرائب التجارة منتصف القرن التاسع الهجري حوالي (441000) دينار⁽⁹⁾. وقد ساهم التجار العراقيون بحركة التجارة بين الشرق والغرب، اذ كان في بعض موانئ الخليج العربي كميناء هرمز والبحرين وموانئ اليمن وبعض المدن الهندية ومدن

(1) المصدر نفسه، ج9، ص256-257. اشتور: المرجع السابق، ص355.

(2) اشتور: المرجع السابق، ص340.

(3) المرجع نفسه، ص355-356.

(4) يذكر نعيم زكي فهمي ان الممالك فرضوا رسوما كمركية عالية على كل بالة تجارية تمر من البحر الاحمر إلى مصر ودول أوربا، فالبضائع التي كان ثمنها (20.000) جنيه كان يدفع عنها رسوم تبلغ (4000) جنيه هذا غير الهدايا التي كانت تدفع للسultan لتسهيل الشحن. انظر: طرق التجارة الدولية، ص126-127.

(5) فهمي: المرجع نفسه، ص122.

(6) المرجع نفسه، ص122.

(7) المرجع نفسه، ص124. اشتور: المرجع السابق، ص355.

(8) السخاوي: الضوء اللامع، ج9، ص256-257. اشتور: المرجع السابق، ص355.

(9) فهمي: المرجع السابق، ص122.

أخرى في بلاد ما وراء النهر اعداد من التجار العراقيين⁽¹⁾ الذين كانوا يصدرون إلى بلدان الشرق سلع العراق⁽²⁾، ويشترون بضائع تلك البلدان ليشتحنوها إلى البصرة أو بغداد، ومن هناك يقوم التجار الأوربيون والشاميون بشراء غاليتها وشحنها إلى بلدانهم. وعلى ذكر التجار الأوربيين يشير اشتور استنادا إلى شهادة أحد الرحالة الأوربيين المسمى كاترينو زينو البندقي الذي قام برحلة برية في آسيا في عام 841 هـ / 1425م وعاش لبعض سنوات في البصرة بأن البصرة كان فيها اعداد من التجار الايطاليين، وهذه دلالة قاطعة على استمرار علاقة العراق التجارية مع أوروبا، وكانت أهم البضائع التي يتاجر بها الأوربيون عن طريق العراق التوابل⁽³⁾ والعنبر، فضلا عن استيرادهم بضائع عراقية كالمنسوجات التي كانت تلقى رواجاً كبيراً في أوروبا وكذلك السكر المعروف بالبغدادي⁽⁴⁾، والواقع أن هذه التجارة التي كانت قوافلها تسلك في الغالب طريق بغداد ديار بكر⁽⁵⁾ بقيت مزدهرة حتى بعد سقوط دولة الآق قوينلو ويشهد على ذلك الحقيقة القائلة أن 150 تاجراً من التجار الأوربيين كانوا يقيمون في أمد في سنة 924 هـ / 1518م⁽⁶⁾.

وأخيراً وللدلالة على استمرار النشاط التجاري في العراق، نورد أسماء عدد من التجار الذين زاولوا أعمالهم التجارية فيه ومع البلدان التي سبقت الإشارة إليها، ومن هؤلاء التجار:-
1- أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد الشهاب بن التاج، ويعرف بابن الفصيح الكوفي الأصل البغدادي ثم القاهري (توفي في شعبان 828 هـ / 1435م) وكان يتعاطى التجارة منذ شبابه⁽⁷⁾.

(1) انظر في نهاية المبحث قائمة بأسماء التجار الذين زاروا هذه المدن لأغراض تجارية.

(2) كانت أهم السلع والمنتجات التي تصدر إلى بلدان الشرق المسلمين والتمور والحبوب. انظر: فهمي: المرجع السابق، ص 173.

(3) سقط ذكر وجود التجار الايطاليين في البصرة في الترجمة العربية لكتاب التاريخ الاقتصادي لاشتور في حين تضمن النص الانكليزي هذه المعلومة. انظر:

Ashtor: Social and Economic history of the Near East in the Middle Ages " London, 1986", p. 276.

(4) فهمي: المرجع السابق، ص 241-242، 247.

(5) للمرجع نفسه، ص 154. اشتور: المرجع السابق، ص 356.

(6) اشتور: المرجع نفسه، ص 356.

(7) ابن حجر: انباء الغمر، ج 1، ص 353. السخاوي: الضوء اللامع، ج 1، ص 335.

- 2- محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبو الخير العمري الدمشقي الشيرازي (ولد سنة 751 هـ / 1350 م وتوفي سنة 833 هـ / 1429 م) كان يتردد على بلاد اليمن ومكة والقاهرة والشام والبصرة وشيراز لأغراض تجارية⁽¹⁾.
- 3- عبد النعم بن محمد بن عبد المولى بن عبد القادر بن عبد الله البغدادي (كان حياً سنة 838 هـ / 1434 م) طاف في بلاد سمرقند، وكان يرتزق من الحياكة⁽²⁾.
- 4- عبد الرحمن بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن نور الدين الجلال التستري الأصل البغدادي نزيل القاهرة (كان حياً سنة 840 هـ / 1436 م) كان يتكسب بتجارة الحرير⁽³⁾.
- 5- محمد بن أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر موفق الدين ابن الحب البغدادي (كان حياً سنة 854 هـ / 1450 م) تعاظم التجارة، وتوفي في مدينة الإسكندرية⁽⁴⁾.
- 6- عبد الكريم بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الكريم الزبيدي البصري (توفي سنة 855 هـ / 1451 م) دخل اليمن لأغراض التجارة⁽⁵⁾.
- 7- إبراهيم بن أبي بكر بن يوسف كمال الدين أو برهان الدين بن الحمال البصري (ولد سنة 804 هـ / 1401 م) وتوفي بمكة في ذي القعدة سنة 859 هـ / 1454 م) كان يتعاظم التجارة مع بلاد الحجاز ولاسيما مع مكة⁽⁶⁾.
- 8- أحمد بن جمعة بن عبد الله الواسطي الأصل الحرار والده البزاز (توفي سنة 857 هـ / 1453 م) بمكة⁽⁷⁾.
- 9- عطاء بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن عبد الله بن الكمال بن محمد ابن زماخه البصري الذي كان له مال كثير يتردد به إلى اليمن وشوشت ويلاد الهند والحجاز (توفي سنة 860 هـ / 1456 م) في كالكو⁽⁸⁾.

(1) السخاوي: الضوء اللامع، ج9، ص256-257.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص89.

(3) المصدر نفسه، ج4، ص157.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص114-115.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص319.

(6) المصدر نفسه، ج4، ص36.

(7) المصدر نفسه، ج4، ص268.

(8) المصدر نفسه، ج6، ص147.

- 10- إبراهيم بن عبد الوهاب بن عبد السلام بن عبد القادر برهان الدين ابو اسحاق بن التاج البغدادي ثم القاهري التاجر (ولد في بغداد في ذي الحجة سنة 793 هـ / 1390م، وتوفي في ذي الحجة سنة 867 هـ / 1462م) كان متكسبا بالتجارة على سداد وخير⁽¹⁾.
- 11- علي بن جمعة بن ابي بكر البغدادي (توفي سنة 868 هـ / 1463م) كان يرتزق من صناعته وطاف في بلدان عدة منها البحرين والهند وبلاد فارس وما وراء النهر⁽²⁾.
- 12- علي بن احمد بن حسن الخواجه نور الدين البصري ويعرف بالمغيري (توفي سنة 878 هـ / 1473م) بمكة، كان يتاجر مع بلاد الهند⁽³⁾.
- 13- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زوران البصري الخواجه (توفي في ربيع الآخر سنة 879 هـ / 1474م) كان يسافر إلى الهند لأغراض تجارية⁽⁴⁾.
- 14- عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن الخواجه شمس العقق بن محمد بن يوسف البصري المكي (توفي سنة 885 هـ / 1490م) كان يتعاطى التجارة ويسافر من اجلها، ودخل الشام وحلب وغيرها⁽⁵⁾.
- 15- ابراهيم بن الخواجه شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف العمق البصري نزيل مكة (كان حيا سنة 897 هـ / 1493م) اشتغل في حياته بالتكسب⁽⁶⁾.
- 16- عبد الله بن عامر المحيبي بن محمد الحسيني البلدي الحجازي الكيلاني، ويعرف بالمساوي، كان يتردد على بغداد وهرمز واليمن وبلاد اخرى، وله خبرة في قيادة القوافل، استقر في مكة سنة 884 هـ / 1479م⁽⁷⁾.
- 17- قاسم بن هرون بن محمد بن موسى التغاي الأصل القاهري الأزهري اقبل على التكسب وسافر في ذلك له ولغيره إلى العراق وهرمز والهند وبلدان أخرى⁽⁸⁾.

(1) المصدر نفسه، ج1، ص73.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص209-210.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص165.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص87.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص101.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص165.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص22.

(8) المصدر نفسه، ج2، ص292-293.

سادسا: الضرائب وطرق جبايتها

تصنف الضرائب إلى شرعية وغير شرعية، ويدخل في الصنف الاول ضريبة الخراج والجزية وعشور التجارة والصدقات وخمس المعادن وارث من يموت ولا وارث له، والصنف الثاني يدخل فيه كل ما استحدث من ضرائب اخرى غيرها⁽¹⁾.

كانت الدولة العربية الإسلامية في بداية عهدها تعتمد في مواردها المالية على الغنائم والزكاة والضرائب الشرعية. وفي العهد العباسي أصبحت الضرائب الشرعية غير قادرة على سد متطلبات نفقات الدولة المتزايدة بسبب توقف حركة الفتوحات الإسلامية وتقلص رقعة الخلافة نتيجة لحركات الانفصال الكثيرة التي أدت إلى حرمان بيت المال من مصادر مالية كبيرة، فانعكس كل ذلك على الضرائب لاسيما غير الشرعية التي زاد الاعتماد عليها، والتي أصبحت تضم عدة أنواع تسمى بالمكوس، وقد فرضت على الخوانيت والأسواق والارث ونقل البضائع التجارية والطواحين والدور والدخل والمراعي⁽²⁾.

ورث المغول الايخانيون والجلالريون من بعدهم هذا النظام ولم يميزوا فيه بين الضرائب الشرعية وغيرها ما دام ذلك يوفر لهم اكبر قدر ممكن من المال واعتبر كل انواع الضرائب التي كان معمولاً بها في العهد العباسي مصدراً يهتدى به⁽³⁾.

وكانت ضرائب عهد القره قوينلو والاق قوينلو استمراراً لضرائب العهود السابقة، لكنها كانت اكثر وطأة وتعدداً. والمصادر لا تقدم معلومات وافية عنها وعن نسبها وكيفية جبايتها.

ومن الضرائب الشرعية وغير الشرعية والتي وجدنا عنها بعض المعلومات في هذا العهد

هي:-

أولاً: الضرائب الشرعية

1- ضريبة الخراج:

كانت هذه الضريبة في العهد العباسي تؤخذ بالمقاسمة ثم خفضها الخليفة المأمون إلى الخمسين⁽⁴⁾. وكان الفلاح يدفعها اما نقداً أو عينا أو بكليهما معا تخفيفاً عنه، وليس هناك ما يشير إلى ان المغول الايخانيين قد احدثوا تغييراً في نظام هذه الضريبة، حيث بقي نظام المقاسمة

(1) ابن جعفر: المصدر السابق، ص 209-210، 224-226، 228، 241-243، 245.

(2) الدوري: المرجع السابق، ص 182، 192-196. خصباك: المرجع السابق، ص 107-108.

(3) انظر: الفراز: المرجع السابق، ص 252-253. العاتي: المرجع السابق، ص 309-310.

(4) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت، بيروت، 1966م، ص 182، 216.

يعمل به⁽¹⁾، في هذا العهد وكذلك في العهد الجلائري⁽²⁾. وليست لدينا معلومات عن نسبتها في عهد القره قوينلو، ولكن يبدو انها كانت مجففة، فبعد ان أوقف الشاه محمد جبايتها لمدة سبع سنوات، شرع سنة 820 هـ / 1417م في جمعها فحصل له منها اموال كثير⁽³⁾. وكذلك فعل اسبان بالنسبة لأراضي الدجيل⁽⁴⁾.

وحدث اصلاح مالي على نظام هذه الضريبة في عهد الآق قوينلو، فهناك من يذكر بانه قد جرى مسح للأراضي الخراجية في عهد حسن الطويل، وبوجهه ثبت مقدار الخراج الذي كان يجمع من كافة ارجاء المملكة⁽⁵⁾، ولكن هذا النظام لم تحده المصادر. وفي سنة 894 هـ / 1489م جرت مراجعة وتدقيق للخراج في عهد السلطان يعقوب بهدف ضبط النظام الضريبي لغرض استخدام المال الجبى من هذه الضريبة لفائدة الرعية والجيش وتطبيق احكام العدالة والمساواة، وحدث ذلك بعد ان اتهم القائمون على جبايتها بأنهم استخدموا اساليب العنف والازعاج في جبايتها، كما اتهم اخذوا يستحصلونها على نحو لا يتوافق مع احكام الشرع⁽⁶⁾. ويبدو ان تلت نسبتها لم يستمر طويلا لان هذه الاصلاحات المالية لم يؤخذ بها بعد وفاة السلطان يعقوب سنة 896 هـ / 1490م⁽⁷⁾.

2. ضريبة الجزية:

فرضت هذه الضريبة على اهل اللفة لقاء حمايتهم إلى جانب اعفائهم من الخدمة العسكرية على وفق ما أقره عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وتسقط هذه الضريبة عن الشخص اذا اعتنق الاسلام⁽⁸⁾، وقد استمر العمل بهذه الضريبة على هذا النحو في عهد الايلخانيين بعد اسلام الايلخان احمد تكودار⁽⁹⁾، وجرى أخذها من اليهود والنصارى والأرمن

(1) الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص310.

(2) العاني: المرجع السابق، ص310.

(3) ابن حجر: انباء الغمر، ج3، ص136. العيني: عقد الجمان، ص301.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص260.

(5) Minorsky: The AQ – Qoyunlu and land Reforms, p. 450.

(6) Ibid., pp. 452-453.

(7) Ibid., pp. 452-457.

(8) ابن جعفر: المصدر السابق، ص224-225.

(9) جاء في رسالة احمد تكودار إلى السلطان قلاوون التأكيد على اقامته "... نواميس الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الاحدي اجلالا وتعظيما". انظر نص الرسالة: ابن عبد الظاهر: المصدر السابق،

في العهد الجلائري⁽¹⁾، وعلى الرغم من تغافل المؤرخين عن ذكر جبايتها على عهد حكام القره قوينلو في العراق الا ان فرض جهانشاه الجزية على الجورجيين بعد احتلاله عاصمتهم تفليس⁽²⁾ سنة 843 هـ / 1439 م⁽³⁾ يرجع جبايته لها من ذممي العراق عن طريق نوابه على بغداد.

ثانياً: الضرائب غير الشرعية

1- ضريبة التمغا:

وتسمى احياناً طمغة أو دمغة ويراد بها الضريبة التي كانت تفرض على أهل المال والتجارة⁽⁴⁾، ومستحصلها يسمى تماغجي⁽⁵⁾، وفي العهود التالية لحكم الايخانيين توسع العمل بهذه الضريبة وأصبحت تشمل جميع الضرائب التي لم يرد لها ذكر في القرآن الكريم، والتي كانت تؤخذ من أهل المدينة ومن السلع المصدرة اليها وكان يطلق عليها اسم 'تمغا المدينة'⁽⁶⁾. وقد عانى سكان المدن كثيراً من هذه الضريبة فبعد ان كانت نسبة استحصالها 240/1 من أصل رأس المال في عهد المغول⁽⁷⁾ أصبحت في عهد القره قوينلو لا تطاق، ويذكر الغياثي ان أهل بغداد قد عجزوا عن دفعها في عهد يربوداق الذي كان له فيها تماغجيان احدهما اسمه فضيل⁽⁸⁾. وأراد حسن الطويل الآق قوينلو ان يطل هذه الضريبة في جميع بلاده. ولكن الامراء عارضوه 'فجعل التمغا من كل عشرين درهما درهما على النصف'⁽⁹⁾، أي بنسبة 10/1 ومع ذلك بقيت نسبة استحصالها مرتفعة اثنتي عشرة مرة، عما كانت عليه في عهد المغول.

ص8، واحد جوانب الشرع هو فرض الجزية على أهل الذمة. وقد أكد ابن العبري جبايتها من أهل

الذمة، انظر: تاريخ الدول السرياني، ص397-398.

(1) العاني: المرجع السابق، ص314.

(2) Minorsky: Jihan – Shah Qara – Qoyunlu, p. 279.

(3) Romer: op. cit., Vol. 6, p. 166.

(4) المزوي: تاريخ الضرائب العراقية، ص35-36.

(5) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص318.

(6) العاني: المرجع السابق، ص315.

(7) Minorsky: The AQ – Qoyunlu and Land Reforms, p. 450, Note "3".

(8) التاريخ الغياثي، ص318.

(9) المصدر نفسه، ص391.

وكانت ضريبة التمغا في عهد الآق قوينلو تنقسم إلى نوعين، الأولى تسمى تمغاسياه الأسود والثانية باج برزك ألباج الكبير وكلتاهما تفرض على السلع والمتوجات الزراعية والأواني النحاسية والفضية والأحمال والأملاك والفرق بينهما أن الأولى تؤخذ عن السلع التي تمر من مدينة إلى أخرى وهي للبيع، في حين أن الثانية هي ضريبة العبور أو الكمرك⁽¹⁾.

2. **ضريبة مال الأمان:**

وهي من الضرائب التي استحدثت في عهد تيمور، وكانت تفرض على سكان المدن التي اختلعت صلحا لقاء حفظ نفوسهم من القتل وأموالهم من النهب⁽²⁾، وقد استحصلها تيمور من سكان بغداد سنة 795 هـ / 1392 م⁽³⁾، وفي عهد القره قوينلو استحصلها أسبان من سكان مدينة الحوزة التي أخذ مال الأمان من أهلها حتى لم يبق شيء من المال عند أحد⁽⁴⁾.

3. **المصادرة:**

وهي من الضرائب التي كان يفرضها بعض حكام القره قوينلو على سكان المدن العراقية كلما احتاجوا إلى مال، فقد فرض بير بوداق على سكان بغداد سنة 864 هـ / 1459 م ألفا وثمانمائة تومان، ووقع عند استحصالها ضرب وعقوبة وتعذيب لا يعلمه إلا الله⁽⁵⁾. ويجدر هنا التذكير أن هذه الضريبة قد فرضت في ظل ظروف طبيعية، فلم تكن بغداد قد غردت على سلطة بير بوداق حتى يجري مصادرتها بهذا الشكل، لذلك فإن هذه الضريبة ليست لها علاقة بعمليات النهب والمصادرة التي كانت تجري لسكان المدن العراقية التي كان يجري اقتحامها بعد كل عملية حصار.

4. **ضريبة البشكشاي (الهدايا):**

هذه الضريبة لا تختلف من حيث الجوهر عن ضريبة مسلمانه، فهما ضربتان غير رسميتين تقدمان للسلطان في المناسبات والتهاني⁽⁶⁾، ومقدارهما في زمن حسن الطويل اثنان وعشرون أقة جرى استيفاؤها من أصحاب الجواميس⁽⁷⁾.

(1) علي: الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض، ص 271، الهامش رقم (35).
Uzuncarsili: Osmanli Devlet, s, 301. Hinz: A. g. e. ss, 89-90.

(2) حين: المرجع السابق، ص 405.

(3) الشامي: المصدر السابق، ص 141.

(4) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 275-276.

(5) للمصدر نفسه، ص 317.

(6) Minorsky: Asoyurghal of Qasim, p. 949.

(7) ترزي باشا، عطا: أقدم وثيقة عثمانية عن بغداد مجلة المورث العدد الرابع، المجلد الثامن، 1979م، ص 523.

٥-ضرائب أخرى:

فضلا عن الضرائب التي ذكرناها استحصل القره قوينلو والآق قوينلو ضرائب أخرى غير ثابتة منها ضريبة التكاليف العرفية أو ما يسمى بالديوانية، وكانت تفرض على الرعية لمواجهة الحالات الطارئة كالكوارث والحروب^(١)، ونسبها غير مقدرة. والعارضات ومقدارها اجرة عامل تقدم بدل وجبة غذاء للعمال الذين يشتغلون في الخدمات العامة التي تعود منفعتها للرعية كبناء القنوات والجسور^(٢). والاعراجات وهي المصروفات التي تصرف على موظفي الحكومة والتي يجري استحصلها من دخول وخروج المسافرين إلى المدينة، أو البلد^(٣). والقسمات والتسمية مأخوذة من القسم، وتفرض على الاشخاص الذين يجري البت في قضاياهم في المحاكم الشرعية، كما كانت تؤخذ من اصحاب المزارع لقاء اتعاب المخمين الذين يقومون بتحديد حصة الحكومة من الغلال^(٤)، والتوزيعات وتشبه سابقتها في انها تؤخذ في اثناء قسمة الحاصلات وتوزيعها واخذ حصة الديوان منها. وضريبة القضاين ومقدارها غير مثبت^(٥)، وضريبة العروس، وتفرض على عملية الزواج. والسياب وتستحصل من اصحاب الطواحين^(٦). والقبجور^(٧)، وتسمى بضريبة المراعي، وتقرر على اصحاب المواشي في كل سنة في مقابل ما رعته مواشيهم من نبات الأرض^(٨)، وكانت نسبته في عهد المغول رأس شاه من كل مائة رأس^(٩)، وليست لدينا معلومات عن مقدارها زمن القره قوينلو أو الآق قوينلو، وهناك ضرائب أخرى لم نتعرف على ماهيتها منها الشلتكات والتي حاول آخر حكام الآق

(١) Uzuncarsili: Anadolu, s, 241.

(٢) Minorsky: Asoyurghal of Qasim. P. 948.

(٣) Ibid., p. 948.

(٤) Ibid., p. 947. □

(٥) Ibid., pp. 935, 947. □

وانظر كذلك: العاني: المرجع السابق، ص 312.

(٦) علي: الموصل في عهد سيطرة دولي الخروف الاسود والخروف الابيض، ص 269.

(٧) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and Land Reforms, p. 453, Note "8".

(٨) النوري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب، ج٤، ص 262.

(٩) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء كنجيز خان)، ص 217.

قوينلو السلطان احمد الغاءها مع ضريبة الاخراجات، ولكن محاولته باءت بالفشل بمقتله⁽¹⁾، وشناكيس وتوجيهات الوفا والكونالغا وأولم وطرح⁽²⁾ والحشوى⁽³⁾.
طرق جباية الضرائب:

استخدم القره قوينلو والآق قوينلو الأساليب الثلاثة التي كانت شائعة في العهود السابقة في اسلوب جباية الضرائب، وهي الاقطاع والضمان والجباية المباشرة. والاقطاع هو ان تقطع القرية ونحوها لأحد الافراد ويقرر على مقطعها مبلغ من المال يؤديه للدول كل سنة⁽⁴⁾، والقره قوينلو والآق قوينلو توسعوا في هذا النمط من الاقطاع وأصبحت الولاية بكاملها تمنح اقطاعا لأحد افراد الاسرة الحاكمة التي كانت تقع عليها مسؤولية دفع جزء من واردات الضرائب المجباة منها للدولة، ومع انه ليست لدينا معلومات عن مقدار هذه الجباية في ولاية العراق العربي، الا ان المعلومات تشير إلى ان مقدارها كان سنة 884 هـ / 1479م خمسة آلاف تومان تبريزي على ولاية فارس وسبعين ألف تومان على ولاية الجبل⁽⁵⁾، وهذا التباين في مقدارها يرجع إلى التفاوت في خصوبة وانتاجية الارض ومساحتها في كلتا الولاياتين.

اما الضمان فمتوليه يسمى الضامن الذي يتكفل بتقدير مبلغ معين من المال للدولة عن منطقة من المناطق أو عدة مناطق مقابل جباية ضرائبها لنفسه، وهذا الأسلوب كان الأكثر شيوعا في عهدي الأيلخانيين والجلالين⁽⁶⁾. وقد استمر العمل بهذا الأسلوب في هذا العهد، ولدينا في ذلك إشارة تؤكد ان اراضي الخالصات والتي تعود ملكيتها للسلطان كانت تضمن إلى موظفين حكوميين⁽⁷⁾.

اما الجباية المباشرة فهي ان يكون للدولة موظفين لهم معرفة بشؤون الضرائب يقومون بجبايتها بناء على اوامر تصدر لهم وعلى ما يبدو فان الضرائب غير الثابتة كانت تجبى بهذه الطريقة.

سابعا: النقود

(1) اشتور: المرجع السابق، ص 323.

(2) Minorsky: Asoyurghal of Qasim, pp. 947-949.

(3) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and Land Reforms, p. 453.

(4) الفلشندي: صبح الأعشى، ج13، ص 123.

(5) Hinz: A. g. e., ss, 88-89.

(6) القزاز: المرجع السابق، ص 266. العاني: المرجع السابق، ص 321.

(7) Minorsky: Asoyurghal of Qasim, p. 947.

على الرغم من سيادة نظام المقايضة في النشاط الاقتصادي في العراق في هذه الفترة، فإن ذلك لم يمنع تداول السكان نقوداً مختلفة، فقد استمرت دور الضرب في بغداد والموصل تضرب نقوداً ولكن الكميات المضروبة منها كانت قليلة، كما جرى تداول نقود تعود لعهود سابقة، فبيروداق حاكم بغداد عثر على كثر من ذهب في أحد الأروقة التي كانت قد بينت في أواخر العهد العباسي قدر وزنه بسبعمائة مَن بوزن تبريز⁽¹⁾، كلها مسكوكات ذهب تامة العيار ضربت في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وقد قام بير بوداق بتفريقها على العسكر⁽²⁾، كما أن النقود الإيرانية والملوكية هي الأخرى كان يجري التعامل بها في العراق، فبير بوداق فرض على أهل بغداد في شهر ربيع الأول سنة 866 هـ / 1461م الفاً وثمانمائة تومان⁽³⁾، وجبى قره يوسف مائة ألف درهم من أهل عيتاب التابعة لبلاد الشام سنة 821 هـ / 1418م⁽⁴⁾، وإن السلطان المصري منح أسكندر عشرة آلاف دينار مملوكي⁽⁵⁾، وكان هناك ذكر للاقبجة العثمانية في التعامل المالي للدولة الآق قوينلو، فبعض الضرائب كالضريبة المفروضة على أصحاب الجواميس جرى استحصالها بالاقبجة⁽⁶⁾. واعتمد الآق قوينلو في تعاملهم المالي على البارة، حيث استخدموها على نطاق واسع⁽⁷⁾. والبارة بالأصل عملة تيمورية، وقد وضع حسن الطويل اسمه على هذه العملة دون سكها من جليد فكان على الوجه الأول العادل حسن بيك، وعلى ظهرها سنة الضرب ومكانه شيراز 820 هـ / 1417م، وهذا يعني أن الدولة غير قادرة على سك عملة جديدة بسبب قلة الفضة والضعف الاقتصادي، لذا جرت الاستعانة بالعملة السابقة. وفي عهد السلطان يعقوب ضربت بارة فضية كان الوجه الأول يحمل العادل سلطان يعقوب وعلى ظهرها سنة الضرب ومكانه يزد سنة 893 هـ / 1486م، كما وجدت بارة ضربت في بغداد باسم السلطان رستم⁽⁸⁾ غير أن البارة لم يرد لها ذكر في العراق في عهد القره قوينلو، في حين أن هناك إشارات كثيرة أوردتها بعض المصادر عن استخدام الدينار

(1) المن التبريزي: يساوي 3 كغم تقريباً، ولا يزال معمولاً به حتى اليوم منذ أواسط القرن الثامن الهجري.

هنتز: المكايل، ص 16.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 318-319.

(3) للمصدر نفسه، ص 317.

(4) العربي: عقد الجماع، ص 319.

(5) للمقريزي: المصدر السابق، ج 4، ق 2، ص 957. مجهول: المصدر السابق، ص 155.

(6) ترزي باشا: أتمم وثيقة عثمانية عن بغداد، ص 522.

(7) Hinz: A. g. e., ss, 88, 90.

(8) Hinz: A. g. e., ss, 90-91.

الذهبي والدرهم الفضي وكذلك الفلوس⁽¹⁾. ويلاحظ ان قيمة هذه النقود لم تكن ثابتة بل هي عرضة للتذبذب لارتباطها كما هو الحال في الوقت الحاضر بطبيعة الظرف السياسي والاقتصادي للبلد، ففي سنة 835 هـ / 1431م وبسبب الحروب والحصار والأوبئة ارتفعت الأسعار بشك منهل فبيع المن من لحم الضأن بدينار ذهب⁽²⁾، وبلغ تقار الحنطة اثنتي عشر ألف دينار في الحلة⁽³⁾، وحدث سنة 849 هـ / 1445م تضخم كبير عندما فتح احد امراء بغداد ويدعى شيخي يك خزائن بغداد وقسمها على الجند من أجل حثهم على مقاومة حصار جهانشاه للمدينة وقد أشار إلى ذلك الغياثي قائلاً: 'صارت الدراهم بسعر القلوس في بغداد ويبلغ رأس غنم بألف دينار، وما ذاك من قلة الغنم واللحم، فكان للناس غنم ودجاج كثير يعلقونه، ولكن من كرة الدراهم..⁽⁴⁾ وانخفاض قيمة النقد حدث كذلك سنة 869 هـ / 1464م أثناء حصار جهانشاه بغداد فارتفعت الاسعار وبيع رأس الغنم بما يوازي مائة دينار، والرطل البغدادي⁽⁵⁾ من الثوم بنحو خمسة عشر ديناراً⁽⁶⁾.

اما عن اشكال النقد وما تضمنته من عبارات، فالواقع انها كانت مشابهة للنقود الجلائرية⁽⁷⁾ من حيث تضمنها العبارات التقليدية 'لا اله الا الله محمد رسول الله' وحوالها اسماء بعض الخلفاء الراشدين مع اسم الحاكم ومكان الضرب، ومنها هذان النموذجان:

(1) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 263، 282. السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص 2-3. مجهول: حوليات دمشق، ص 23. العاني: المرجع السابق، ص 330.

Summer: A. g. e. 1, cilt, s, 88.

(2) مجهول: حوليات دمشق، ص 23.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 263.

(4) للمصدر نفسه، ص 282.

(5) الرطل البغدادي: يساوي الرطل الشرعي ويساوي 130 درهماً ويعادل 406.25 غم. هنتس: المكايل، ص 30-31، 35.

(6) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص 2-3.

(7) عن النقود الجلائرية، انظر: العاني: المرجع السابق، ص 336-337.

أولاً: نقد ضرب في عهد قره يوسف وابنه بير بوداق في الموصل⁽¹⁾:
تاريخه؟ 81

الوجه	الظهر
علي	سلطان بير بوداق
لا اله الا الله	ضرب
محمد	فان أمير يوسف
رسول الله	موصل
	نويان حلد ملله
	عشر

ثانياً: نقد ضرب في عهد جهانشاه في بغداد⁽²⁾، وتاريخه لم يحدد ولكن تضمن النقد سنة جهانشاه وهي اما سنة 850 هـ / 1446م، أو 869 هـ / 1464م، وكلا التاريخين احتل فيه جهانشاه بغداد:

الوجه	الظهر
ابو بكر	خلد
الله محمد	السلطان العالم
ضرب	بير بوداق
بغد	شاه يوسف نويان
---	ملكه

ويذكر خواندمير ان الشاه محمد ضرب نقودا باسمه في بغداد⁽³⁾، ولكن لم تصل الينا نماذج منها.

(1) توحيد: المرجع السابق، ق4، ص454.

(2) المرجع نفسه، ق4، ص459.

(3) تاريخ حبيب السير، م3، ص588.

الفصل الثامن

الحياة الثقافية

أولا : العلوم الدينية والتصوف

1- العلوم الدينية

2- التصوف

ثانيا : علوم اللغة العربية وآدابها

ثالثا : التاريخ والانساب

رابعا : فنون الموسيقى والغناء

خامسا : الطب

الفصل الثامن الحياة الثقافية

لقد كان للاحتلال القره قوينلوي الآق قوينلوي للعراق اثار سلبية كبيرة على الحياة الثقافية فيه، اذ بفعل القوضى والاضطهاد والتخريب اضطر الكثير من علمائه ومشايخه للهجرة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز وبلدان اخرى، ومن بقى انتزعت منه حرية التفكير والابداع. كما طال اغلب المؤسسات التعليمية التخريب ووقف الدراسة⁽¹⁾ فيها لاستيلاء حكام القره قوينلو على اوقافها وقطع ارزاق مدرسيها وطلبتها⁽²⁾.

وعلى الرغم من اسلام الحكام الجدد فقد ظلت القيم البدوية الرعوية المتخلفة تتحكم في سلوكهم وعاداتهم، وهذه القيم كانت تقاطع في احيان كثيرة مع ثقافة العراقيين الضاربة في عمق التاريخ، فبقيت الهوة كبيرة بينهم وبين سكان العراق، وما زاد الطين بلة انهم اهلوا اللغة العربية واتخذوا اللغة الفارسية لغة رسمية متداولة في دواوينهم وفي نشاطاتهم الثقافية، فجهاانشاه كان يكتب الشعر بهذه اللغة⁽³⁾ التي ينسب اليه بها ديوان (شمس العارفين)⁽⁴⁾، وكذلك كتب بير بوداق اشعاره بالفارسية، وزوجة جهاانشاه بنت مدرسة وجامعا في تبريز⁽⁵⁾ لتدريس اللغة الفارسية وآدابها، كما قربوا في مجالسهم عددا من الكتاب والشعراء الفرس منهم من حظي بالتكريم لدى جهاانشاه امثال عبد الرزاق السمرقندي⁽⁶⁾ وجلال الدين كيواني والشيخ شجاع الدين بن كمال الدين الكرمانلي⁽⁷⁾، اما في العراق فلم يترك هؤلاء الحكام أي اثر ثقافي فهم لم يقوموا ببناء مؤسسات تعليمية أو ثقافية جديدة ولم يشجعوا التأليف باللغة العربية ولم يقربوا علماء العراق وان ما يقال عن اهتمام أسبان بالعلماء ودعوته لعدد من علماء

- (1) ومنها المدرسة المستنصرية، النظامية، المرجانية، مدرسة جامع النعمان من المدارس التي كانت الدراسة قائمة فيها في العهد الجلائري ثم غاب ذكرها في هذا العهد باستثناء المدرسة للمستنصرية وهذا الغياب دلالة على توقف الدراسة فيها. اما مدرّس باقي المدن العراقية، فال مصادر المتيسرة لا تشر إلى استمرار الدراسة فيها باستثناء مدرسة ابن فهد في الحلة. عن مدارس العهد الجلائري، انظر: زعين: الثقافة العربية، ص 28-33.
- (2) النصيري: نزعة النفوس والابدان، ج2، ص 399.

(3) Uzuncarsili: Anadolu, s. 186.

(4) Amoretti: op. cit, Vol. 6, p. 622. Romer: op. cit, Vol. 6. 165.

(5) Uzuncarsili: Anadolu, s. 186.

(6) Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 676.

(7) Uzuncarsili: Anadolu, s. 186. □

العراق البارزين لحضور مجلس عقده لمناقشة الامور المذهبية⁽¹⁾ لم يكن الا لاعتبارات سياسية بحجة لان اسبان كاخوته الآخرين كان مختل العقيدة⁽²⁾ يفطر جهارا في رمضان ويمد السماط ويتبعه جماعة من الزنادقة والملحدين⁽³⁾ كالحروفين والحيدرين الذين يطعنون بالدين الاسلامي وينادون بترك الشعائر الإسلامية كما سيرد ذكر ذلك لاحقا فكيف يتأتى لشخص مثل هذا بان يهتم بتعمير منشآت اسلامية وهو أبعد ما يكون عن الاسلام.

ولم يكن واقع الحال افضل من هذا في عهد الآق قوينلو، فقد خلال عهدهم من أي ذكر لأي أثر حضاري لهم في العراق كأن يكون منشآت تعليمية أو نتائج ثقافية، فاهتماماتهم كاسلافهم القره قوينلوي كانت منصبة على الفارسية وحاضرتهم تبريز.

وعلى ضوء هذا الواقع كانت النشاطات الثقافية العربية الإسلامية في العراق منكفئة على نفسها تنتظر من ينفخ فيها الروح حتى تخرج من تحتها، لذا لم تصل إلينا اخبار الكثير من علمائها الذين يعتقد انهم قد تواروا عن الانظار، الامر الذي فسره الغياثي بعدم وجود اهل علم في العراق بقوله 'ان من كثرة الفتن وتواتر الحن التي جرت بأرض العراق لم يضبط احد تواريتها.. أولا من علم اهل العلم ومن ينظر فيه..⁽⁴⁾

ولاشك ان هذه الحن قد أثرت على التناجات العلمية والفكرية لعلماء هذا البلد، ولكنها حتما لم تصل إلى مستوى المبوط الذي وصله كتاب التاريخ الغياثي الذي اتصف بالركاكة في الاسلوب وغلبة العامة عليه واستعانة مؤلفه بالألفاظ الفارسية⁽⁵⁾، ومع أننا لا نمتلك تفسيراً لأسباب تدني هذا الكتاب غير ارجاع ذلك إلى احتمال اثر البيئة الثقافية التي عاش فيها المؤلف قبل هجرته إلى حلب وطغيان التأثيرات الفارسية عليه أكثر من العربية⁽⁶⁾،

(1) الشوشري: المصدر السابق، ج2، ص395.

(2) Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 676.

(3) السخاوي: الضوء اللامع، ج3، ص3. الزواوي: تاريخ العراق، ج3، ص167.

(4) التاريخ الغياثي، ص8.

(5) نكاد لا نخلو صفحة من صفحات التاريخ الغياثي من خطأ نحوي أو لغوي أو خلط بين المذكر والمؤنث أو استعمال كلمات أو اشعار أو مصطلحات فارسية. وللاطلاع، أنظر: مادة الكتاب.

(6) أشار الحمداني محقق كتاب التاريخ الغياثي الى ان المعلومات قليلة جداً عن الغياثي، فلا توجد معلومات عن حياته في العراق غير ما ذكره الزواوي من أنه (الكاتب البشداي) والمحقق يشك في نسبة لبخداد ويقول ولا أدري من اين جاء العزواوي بالزيادة، أنظر: التاريخ الغياثي، ص8، والهامش التحقيقي السادس.

وهذا امر وارد لاحتقان المؤلف الفارسية بحيث كان يترجم اليها⁽¹⁾. اما غيره من العلماء العراقيين الذين عاشوا بالظروف والمحنة التي عاشها الغياثي فقد تمكنوا من ان يقدموا للثقافة العربية الإسلامية نتاجات علمية سائرت روح العصر من حيث القيمة العلمية واللغة والأسلوب والدليل على ذلك ان هؤلاء العلماء قد لقوا من أصحاب كتب التراجم المملوكية المعاصرة الذين ترجوا لهم عبارات الثناء والاستحسان والإطراء وكانوا قد أطلقوا القابا علمية على الكثير منهم كلقب شيخ الاسلام والعالم وغير ذلك، وسنحاول في الصفحات الآتية تسليط الضوء على هؤلاء العلماء من خلال تخصصاتهم الثقافية سواء ممن رحلوا إلى خارج العراق أو مكثوا فيه.

أولاً: العلوم الدينية والتصوف

١- العلوم الدينية:

تصلدت العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث وقرآيات غيرها من العلوم لكونها المصادر الأولى للشرع، ويمكن ملاحظة ذلك من كثرة العلماء الذين اشتغلوا بالعلوم الدينية قياساً على باقي العلوم ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء شيخ الاسلام محب الدين ابو الفضل احمد بن الشيخ الامام جلال الدين نصر الله بن احمد البغدادي الحنفي (765 - 834 هـ / 1363 - 1429 م) الذي ترك العراق، بعد ان تفقه فيه ليستقر ويشتهر في القاهرة ويصل إلى مرتبة قاضي قضاة الديار المصرية سنة 828 هـ / 1424 م⁽²⁾، وقد قال عنه ابن تغري بردي انه كان عالم السيادة الختابة... برع في الفقه وأصوله والحديث والعربية والتفسير⁽³⁾، ووصفه السخاوي بأنه أمام تخط الرواحل لديه، هذا مع استحضار للأصول والفروع، والمعقول والمقول، وصدق للهجة والوقوف مع الحجة وسرعة قراءة الحديث وتجويده وعذوبة لفظه وتحريه... فاستحق بذلك أخذ هذه العلوم عنه والرجوع فيها اليه والتقدم على أقرانه والاعتماد عليه، وقال في موضع آخر عنه انه كان أماماً، فقيهاً، مفتياً، ناظراً، علماً، علامة متقدماً في فنون خصوصاً مذهبه فقد انفرد به وصار عالم أهله بلاد مدافعة⁽⁴⁾.

وكان تاج الدين احمد بن محمد بن احمد بن عمر البغدادي قاضي قضاة بغداد، درس الحديث وبرع في علوم عدة وأفتى وأخذ عنه الأعيان، وكتب رسالة تشتمل على أربعة عشر

(1) من الكتب التي ترجمها من الفارسية للعربية كتاب (تاج للمداخل في علم النجوم)، أنظر: الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 11.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 5، ص 483. السخاوي: الذيل على رفع الأصر، ص 111.

(3) النجوم الزاهرة، ج 5، ص 483.

(4) الذيل على رفع الأصر، ص 113-114، 118. وأنظر كذلك: البدر الطالع، ج 2، ص 316.

علما، ونظم أرجوزة في علوم الحديث وشرحها واختصر شرح البخاري للكرماني، وقد اضطر لترك بغداد سنة 820 هـ / 1427م إلى بلاد الشام لمضايقة قره يوسف له⁽¹⁾.

واشتغل عز الدين عبد السلام بن أحمد بن عبد المنعم البغدادي في علوم عدة، لا سيما في الفقه والأصول والنحو والطب وانتفع الناس منه في بغداد قبل رحيله إلى بلاد إيران ومنها إلى بلاد الروم ليستقر في بلاد الشام ويتوفى فيها سنة 859 هـ / 1454م⁽²⁾.

وتفقه عبد الرحمن بن محمد الزين بن العلامة مسعد الدين القزويني البغدادي (773 - 836 هـ / 1437 - 1432م) على خاله عالم بغداد نظام الدين محمود السديدي وأخذ عن أبيه وعلماء آخرين ببغداد، وبرع في الفقه والتفسير والقراءات وقال عنه العلاء بن خطيب الناصرية نقلا عن السخاوي بأنه رآه عالما بالفقه والمعاني والبيان والعريضة وله صيت كبير في بلاده وكان عالما⁽³⁾. وقال عنه السخاوي أنه صار أحد أئمة الدنيا في المعقولات وحل المشكلات وأقربها⁽⁴⁾.

ودرس عبد الله بن يوسف البغدادي علوم الدين علي يد السخاوي في مكة⁽⁵⁾. وقد وصف علاء الدين أبو الحسن بن محمد بن البهاء البغدادي المولود في بغداد سنة 822 هـ / 1419م بأنه إمام علامة فقيه محدث صنف في دمشق بعد تركه العراق سنة 837 هـ / 1433م كتاب (فتح الملك العزيز بشرح الوجيز) في خمسة مجلدات⁽⁶⁾.

وشارك أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحمود السهروردي البغدادي والده في الأخذ عن السراج القزويني وبعد تفقّحه أخذ عنه قاضي بغداد عبد العزيز بن علي البغدادي⁽⁷⁾.

وقرأ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن التاج عبد الوهاب البغدادي الحنبلي (793 - 867 هـ / 1390 - 1462م) على علماء عصره وجد واجتهد حتى صار إماما محدثا يشار إليه بالبنان⁽⁸⁾، وقد أخذ عنه السخاوي بعض علوم الدين في أثناء وجوده في مكة⁽¹⁾.

(1) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص82. ابن تقي يردى: المنهل الصافي، ج2، ص111-112.

(2) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص294.

(3) الضوء اللامع، ج4، ص154-155.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص155.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص73.

(6) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص365-366.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص119.

(8) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص306.

وكان الشيخ عفيف الدين ابو المعالي علي بن عبد المحسن بن الدواليبي البغدادي (779 - 858 هـ / 1377 - 1454م) - الذي ترك بغداد مهاجراً واستوطن دمشق - اماماً عالماً ذا مستد علمي في الحديث⁽²⁾.

وقد اُكثر اسماعيل بن الجمال محمد بن ابراهيم بن محمد العراقي الحضور عند السخاوي لغرض الاستفادة من دروسه⁽³⁾. وكان علي بن البهاء ابن عبد الحميد بن البهاء الزويراني البغدادي (818 - 890 هـ / 1415 - 1485م) ذا استحضار في الفقه⁽⁴⁾، كما صنف احمد بن نصر الله بن احمد بن محمد بن عمر بن احمد المحب البغدادي المولود في بغداد سنة 765 هـ / 1363م في الحديث والفقه ايضاً⁽⁵⁾.

وقد ذكر ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الرحيم الحسيني العراقي (810 - 887 هـ / 1407 - 1482م) بأنه قد عرضت عليه في كل من بغداد واربيل والموصل وحلب وغيرها وظائف رفضها مفضلاً الاشتغال بالمعارف التي كانت له فيها تصانيف عديدة منها (الطيف اللطائف في ذكر بعض صفات المعارف) و (عمدة الطالبين في معرفة اركان الدين) و (الشفاء لسدور الصدور) و (الدواء لداء المصدور) و (الفتح الرباني في شرح الدين اليماني) و (فتح الله حسي) و (المكفي في مولود المصطفى 'ص') و (منهاج السالكين إلى مقام العارفين) وكتب اخرى، فضلاً إلى ديوان شعر⁽⁶⁾.

ومن علماء بغداد الآخرين الشيخ سراج الدين محمد بن السيد عبد الله المخزومي الرفاعي البغدادي المتوفى سنة (885 هـ / 1480م، وله في التفسير كتابه (اليان في تفسير القرآن)⁽⁷⁾، وعبد العزيز بن محمد الجرناوي البغدادي المتوفى سنة 893 هـ / 1487م الذي سمع على محدثي بغداد قبل استقراره في دمشق⁽⁸⁾.

(1) السخاوي: المصدر السابق، ج1، ص73.

(2) ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص293.

(3) السخاوي: المصدر السابق، ج2، ص305.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص208.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص233.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص75-77.

(7) الجنائي، احمد نصيف: علوم القرآن الكريم، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985، ج11، ص34.

(8) الغزي: المصدر السابق، ج1، ص238.

ومن علماء الموصل الذين كان لهم باع طويل في العلوم الدينية عائلة الشمس بن يونس الشافعي ويأتي في مقدمتهم محمد بن طاهر بن الشمس الذي قتل على يد أسبان سنة 833 هـ / 1429م وكان قد برع في الفقه والتفسير ووضع مجلدين في التفسير⁽¹⁾. وقد وصف السخاوي أحمد بن محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن زيد الشهاب الموصلية (789 - 870 هـ / 1387 - 1465م) بالشيخ المقرئ العالم المحدث الفاضل العارف بالفقه والعربية وقد التقاه في دمشق وأفاد من علومه ومن آثاره المعرفية كتاب اختصر فيه سيرة ابن هشام وكتاب (المسالك في أداء المناسك) و (تحفة الساري إلى زيارة تميم الداري) و (محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزعي) وله كرامس في ختم البخاري سماء (تحفة السامع والقارئ في ختم صحيح البخاري)⁽²⁾. كما أفاد السخاوي أيضاً من أحمد بن عبد الملك بن أبي بكر بن علي بن عبد الله الموصلية الذي عرض عليه المنهاج وجمع الجوامع والألفية⁽³⁾، وسمع تقي بن محمد بن تقي الفخري السخاوي على النور المحلي بعض الاكتفاء للكلاعي⁽⁴⁾. واهتم محمد ابن حسن بن علي الطعفري للمولد الدمشقي الدار (799 - 856 هـ / 1396 - 1452م) بعلوم الفقه والحديث⁽⁵⁾. ولم عبد الله بن محمد بن خضر بن إبراهيم الجمال الكوراني المتوفى سنة 894 هـ / 1488م بعلوم التفسير وأصول الدين والمعاني والبيان والمنطق والعربية⁽⁶⁾.

وكان لعبد الله المقداد بن عبد الله السيوري الحلبي الأسدي المتوفى سنة 826 هـ / 1423م وتصانيف عديدة منها (شرح نهج المسترشدين في أصول الدين) و (كتر العرفان في فقه القرآن) و (التفحيم الرائج في شرح مختصر الشرائع) و (شرح مبادئ الأصول) و (الأسئلة المقدادية) ومن تلامذته الشيخ حسن بن راشد الحلبي والشيخ أحمد بن محمد بن فهد الحلبي الأسدي (757 - 841 هـ / 1356 - 1437م) الذي صارت له شهرة كبيرة ومكانة بين علماء المسلمين في الأصول والفروع والتصوف، ومن تصانيفه (كتاب المذهب البارع إلى شرح النافع) و (كتاب المختصر) و (شرح الارشاد) و (الموجز الحاوي) و (المحرر) و (مصباح المبتدئ) و (كتاب اللعة في النية) و (كفاية المحتاج في مسائل الحاج) ومن تلامذة ابن فهد الشيخ علي ابن هلال الجزائري والسيد محمد بن فلاح المشعشي والشيخ عبد الشفيع ابن فياض الأسدي

(1) السخاوي: الفؤء اللامع، ج7، ص274.

(2) للمصدر نفسه، ج2، ص71-72.

(3) للمصدر نفسه، ج1، ص374.

(4) للمصدر نفسه، ج3، ص35.

(5) السخاوي: الثبر المسبوك، ص413.

(6) السخاوي: الفؤء اللامع، ج3، ص48-49.

الخلي صاحب كتاب (تحفة الطالبين في أصول الدين)⁽¹⁾. وكان الشيخ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي من علماء الحلة ومحدثيها في ذلك العهد، ومن مؤلفاته (مشارك الأنوار) ورسالة في تفسير سورة الاخلاص، وكتب أخرى، كما كان له شعر رقيق منسجم قوي الأسلوب⁽²⁾.

وقد عد البدر عبد الجبار بن المجد ابرز محدثي واسط وفقهائها ومن تلامذته علي بن محمد بن يعيش الزين الواسطي الشافعي المتوفى سنة 819 هـ / 1416م⁽³⁾.

وكان محمد بن عبد القادر بن عمر النجم السنجاري الواسطي - الذي استقر في مكة في حدود سنة 838 هـ / 1434م بعد تركه العراق - من العلماء المتبحرين في علم القراءات، وقد درس وافتن وانتفع الطلبة منه. ومن تصانيفه نظم القراءات العشرة شرح المنهاج وتحميسات البردة وبانت سعادة، وقصيدة دون الأربعين بيتا⁽⁴⁾.

واشتغل محمد بن محمد البصري الشافعي المولود في البصرة سنة 820 هـ / 1417م بالعلم، وقدم مكة وحضر دروس قاضيها وتوفى في كنبالة بالهند سنة 876 هـ / 1471م⁽⁵⁾.

وكان ابراهيم بن محمد بن احمد البصري يعرف بابن زقزق من علماء البصرة وصلحائها له منظومة في الفقه سماها (اليسر) وقد انتقاء السخاوي في مكة سنة 893 هـ / 1487م⁽⁶⁾، وكان له ولد اسمه محمد اشتغل ببلده والشاه وتميز في الفقه والعريقة، ومن اخذ عنه وعن ابيه عبد الله البصري⁽⁷⁾.

واشتغل وسمع احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علي البصري الاصل المكي الذي (كان حيا سنة 893 هـ / 1847م) علي التقى ابن فهد وغيره وسافر إلى لبرسواكن قريبا من سنة 870 هـ / 1465م فانتفع منه اهل تلك البلاد⁽⁸⁾. وسمع علي السخاوي في مكة احمد بن ابراهيم ابن عبد الله البصري⁽⁹⁾ المذكور آنفا ايضا.

(1) الخوانساري: المصدر السابق، ج1، ص72-74. العزاوي: تاريخ العراق، ج2، ص69، 105.

(2) الحلي: المرجع السابق، ج2، ص91. شير: المرجع السابق، ج4، ص233.

(3) السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص27.

(4) المصدر نفسه، ج8، ص67-69.

(5) المصدر نفسه، ج10، ص17.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص7، 129.

(7) المصدر نفسه، ج6، ص274.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص360.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص196.

لقد شهدت الحقب التالية للعصر العباسي الاخير ميلا كبيرا نحو الزهد والتصوف، واصبحت الطرق الصوفية تمثل احدى الاتجاهات الفكرية الرئيسة التي لازمت الحياة في العراق في حقبة تسلط التركمان، واصبح لها تأثير واسع وعميق على العقول والعواطف.

ويرجع ازدهار الطرق الصوفية إلى افتقاد الناس للعدل الاجتماعي وشعورهم بالظلم والجور والحرمان على ايدي حكام اجانب اتسمت سياستهم بالتعسف وعدم مراعاة احكام الشرع الاسلامي، وما رافق ذلك من كوارث طبيعية وبشرية، فكان انتشار التصوف بمثابة رد فعل لتلك السياسات والكوارث التي حلت بهم فزاد ارتباطهم بشيوخ التصوف الذين اصبحت لهم الزعامات الروحية على الصعيد الشعبي بعد ان غابت مكانة الزعماء السياسيين في النفوس فاتيانهم بالخوارق والكرامات دفع الناس إلى التعلق بهم لحل مشكلاتهم من عالم الغيب عن طريق الرموز والتعاوذ.

ويبدو ان حكام القره قوينلو ادركوا هذه الحقيقة، لذا عملوا على ترويج الطرق الصوفية خدمة لمصالحهم عن طريق زرع روح اليأس والجهالات في نفوس الناس، وذلك بالاستعانة بالدروايش والمنجمين لتحقيق اغراضهم، فكان الدرويش شاه علي بن اسكندر يدور في البلاد ويروج الاشاعات التي تخدم حكام القره قوينلو⁽¹⁾، وكذلك فعل الدرويش ذو النون الذي كانت له تكية في شمال العراق، وعمل الدرويش عبد الله الأسود افعالا لا تتماشى مع تعاليم الاسلام لحاكم بغداد القره قوينلوي شاه منصور زينل⁽²⁾. وجميع الذين ذكرناهم كانوا معززين مكرمين عند حكام القره قوينلو، والبعض منهم كالدرؤيش شاه علي كوفق بتعيينه حاكما على الحلة⁽³⁾ لجهوده التي ذكرناها.

كما ان حكام القره قوينلو دعموا الطرق والحركات الصوفية التي تحللت من الفرائض الدينية كالطريقة القندرية والحيدرية التي وردت العراق من ايران، واخذ هؤلاء الحكام يقلدون اصحاب هاتين الطريقتين في المظهر بملق رؤوسهم ولحاهم واطلاق شواربهم⁽⁴⁾، كما دعموا الحروفية المنسوبة إلى فضل الله بن عبد الرحمن الاستراباذي المعروف بفضل الله الحروفى (741 - 796 هـ / 1340 - 1393م) الذي ادعى المهديوة في ايران ونشر منها طريقتة في باقي البلدان، وطريقتة تعد من أشد الطرق الصوفية الباطنية الهدامة التي استهدفت ضرب الاسلام

(1) الفياثي: المصدر السابق، ص332.

(2) المصدر نفسه، ص336.

(3) المصدر نفسه، ص332-333، 336.

(4) العائى: المجتمع والسلوك الجمعي للسكان، ص10-11.

ونفتت المجتمع من الداخل مسترة في ذلك بالعديد من الرموز الفلسفية والصوفية وتاويل مختلف الآيات والأحاديث والأقوال الماثورة⁽¹⁾. وقد قويت هذه الحركة في ذلك العهد كثيرا بحيث جاهر قادتها بالاحاد وترك الصلاة واسقاط التكاليف الإسلامية⁽²⁾، معتمدين في دعوتهم هذه على الحماية التي وفرها لهم حكام القره قونلو لا سيما قره يوسف الذي قرب زعيمهم علي العلا⁽³⁾ ووبر بوداق الذي اعطى لواحد من قادتها وهو الامير علي كيوان حكم بغداد نيابة عنه في اثناء خروجه من بغداد إلى شيراز سنة 856 هـ / 1452 م⁽⁴⁾.

وتلتقي مع الطرق التي ذكرناها آنفا في الغلو والمهدوية الطريقة العدوية⁽⁵⁾ والمشعشية، وكان لكلا الطريقتين اتباع في العراق في ذلك العهد. وإذا كانت هذه الطرق قد ألحقت الضرر بالاسلام، فإن ذلك لا ينسحب على الطرق القادرية والرفاعية والسهورودية⁽⁶⁾ التي لم يدخلها شيء من العقائد الباطنية⁽⁷⁾، فبقيت اهدافها تركز على محبة الله بالترديد الدائم والذكر المتصل لاسم الله ومنهجها رياضة النفس ومجاهدتها بالزهد وكانت لبعض شيوخ هذه الطرق اسهامات في نشر الاسلام بين الجماعات البوذية وغيرها في الهند⁽⁸⁾. فالشيخ غوث الدين

(1) الشيخ اسحاق افندي: رسالة كاشف الاسرار ودافع الاشرار (سنة الطبع 1280 هـ)، ص 3-5. الشيخ: المرجع السابق، ص 179-184. رؤوف، عماد عبد السلام: التحدي الجلائري، موسوعة العراق في مواجهة التحديات، ج 3، ص 17-21.

(2) الشيخ: المرجع السابق، ص 187.

(3) Amoretti: op. cit., Vol. 6, p. 624.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 308. وأشار الشبي إلى اسماء قادة الحروفين في العراق في ذلك العهد وهم الامير علي كيوان والدرويش صدر ضياء والدرويش حمد ناطق وحاج عيسى بدليسي وحسن حيدري وحسن تيركر وسيد تاج الدين وسيد مظفر والتحق بهم عزيز جاني ومحمد تيدكر في صحبة الامير نور الله. الفكر الشيعي، ص 187. وكان ابرز قادة هذه الحركة قد قتل في حلب سنة 820 هـ ويدعى نسيمي البغدادي التركماني. وللغضائيل عن نسيمي، انظر: العزاوي: تاريخ العراق، ج 3، ص 44-54.

(5) تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عدي بن مسافر الهكاري الذي انتشرت طريقته في مناطق شمال الموصل خلال عهد التركيين وقد جاوز اتباعه اعتقادهم فيه حدود المقول فأصبح قبلتهم التي يصلون اليها، وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها لاعتقادهم انه الذي يرزقهم، وتركوا الصلاة واستباحوا الحرمات، وللغضائيل، انظر: ابن كثير: المصدر السابق، ج 2، ص 143. العزاوي: تاريخ العراق، ج 3، ص 36-38.

(6) عن هذه الطرق انظر: العزاوي: تاريخ العراق، ج 3، ص 124-127. طوني: المرجع السابق، ص 145-155.

(7) العزاوي: تاريخ العراق، ج 3، ص 126. وانظر: طوني: المرجع السابق، ص 145-155.

(8) طوني: المرجع نفسه، ص 154.

القاهري البغدادي المتوفى سنة 815 هـ / 1412م قد ترك بغداد قاصدا الهند، فاستقر مقامه في مدينة أحمد آباد فأسس فيها مدرسة دينية، وكان عالما محدثا فقيها زاهدا أفاد منه خلق كثير وأخذ عنه بعض مشايخ الهند كالشيخ يعقوب بن خواندمير الكجراتي⁽¹⁾. وتبعه الشيخ إبراهيم بن أحمد بن الحسن الشريف الحسيني الكيلاني البغدادي - أحد المشايخ البارزين في القرن التاسع الهجري - أخذ عن جده في بغداد ثم قدم الهند وساح فيها، وكان يدرس ويفيد وله شروح على (معالم التزويل في تفسير القرآن) و (جامع الأصول) و (صحيح البخاري) و (السنن لأبي داود) في الحديث، و (العوالم للجنيدي) و (الملهمات القادرية) في التصوف⁽²⁾.

ومن علماء التصوف العراقيين الآخرين الذين استقر مقامهم في الهند الشيخ زين الدين الصفوي البغدادي (767 - 861 هـ / 1365 - 1456م) الذي نشأ في بغداد وأخذ العلم عن مشايخها ثم هاجر إلى الهند فاستقر مقامه في مدينة دلهي، وتبعه والده الشيخ محمد بن إبراهيم فأخذ عنه الطريقة ثم ترك دلهي ليقیم في مدينة أحمد آباد، وفيها اشتغل بالذكر والفكر والارشاد وأخذ عنه خلق كثير ووصف بأنه كان عظيم الورع شديد التبع، له كرامات نادرة⁽³⁾.

وكان لهذه الطرق في العراق شيوخها في ذلك العهد فشيخ الطريقة القادرية كان الشريف عبد الرزاق بن عبد الله محمد بن القاضي عماد الدين ويتنهي نسبة بالشيخ عبد القادر الكيلاني⁽⁴⁾. وشيخ الطريق الرفاعية كان السيد محمود الملقب بالبصري الرفاعي (816 - 873 هـ / 1413 - 1468م) وقد وصف بأنه امام في الفقه الشافعي وحجة في التصوف والكرامات⁽⁵⁾. ومن شيوخ السهرورديين في التلقين والذكر والفقه الشهاب السهروردي⁽⁶⁾ وعبد الرحمن بن عبد المحمود السهروردي⁽⁷⁾. أما الشيخ أحمد السهروردي فقد كان له شأن كبير في مقاومة الاحتلال القره قوينلوي لبغداد وذهب ضحية هذه المقاومة عندما قتله الشاه محمد بن قره يوسف سنة 814 هـ / 1411م⁽⁸⁾.

(1) السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم: علماء العرب في شبه القارة الهندية، بغداد 1986، ص 166.

(2) المرجع نفسه، ص 214.

(3) المرجع نفسه، ص 142.

(4) السخاوي: التبر المسبوك، ص 293.

(5) الرفاعي، السيد أحمد: المجالس الرفاعية، تحقيق: السيد محمود السامرائي الرفاعي، ط 1، مطبعة الارشاد

بغداد 1971م، ص 170.

(6) السخاوي: الضوء اللامع، ج 2، ص 307.

(7) المصدر نفسه، ج 2، ص 119.

(8) النياطي: المصدر السابق، ص 247.

وتورد المصادر اسماء علماء عراقيين متصوفة آخرين خدموا الاسلام والفكر العربي الاسلامي امثال عبد الملك بن سعيد بن الحسن نظام الدين البغدادي الشافعي (749 - 824 هـ / 1348 - 1421م) الذي تنقل بين بغداد ومكة والمدينة المنورة والقدس وسمع من مشايخها وأفاد منهم ومهر بالفقه وطرق الصوفية⁽¹⁾. واشتغل علي بن احمد بن محمد العلاء بالتصوف والفقه واصوله والنحو والمنطق وصنف تفسيراً وشرحاً على الحاوي، ثم ترك بغداد، وقطن مكة المكرمة بعد سنة 830 هـ / 1426م⁽²⁾. وكان عبد السلام بن احمد القليلوي المتوفى سنة 859 هـ / 1454م زاهداً، واخذ عن شيوخ بغداد العلوم وبرع في الفقه وفن الاصول والكلام والعربية والمعاني والبيان والمنطق والجدل⁽³⁾. ونال علي بن محمد بن الصفي العلاء بن الصدر ابن الصفي شيخ الصوفية في العراق محبة الكثير من العراقيين لزمه وتدينه، وقد حج مع جمع من اتباعه وجاور بمكة مدة من الزمن ثم دخل القدس ليوافيه فيها اجله في ربيع سنة 832 هـ / 1428م⁽⁴⁾.

ثانياً: علوم اللغة العربية وآدابها

من المعلوم ان علوم اللغة العربية وآدابها من نحو وصرف وبلاغة وأدب لا تنمو ولا تزدهر في ظل الحكومات الاجنبية غير متحضرة كالقره قوينلو والآق قوينلو الذين اصبحوا يحكم اعتمادهم اللغة الفارسية وآدابها لا يتذوقون طعم نتاجات اللغة العربية وآدابها. وعلى الرغم من ذلك وعلى قلة عدد رجال هذه العلوم فقد برز منهم من تمكن من الحفاظ على استمرار النتاجات اللغوية والأدبية ووقف ضد محاولة تفريس الثقافة العربية في العراق. ومن هؤلاء الزين عبد الرحمن بن عمر البغدادي الذي أخذ عنه احمد بن اسماعيل بن عثمان بن رشيد شرف الدين المعروف بشهاب الدين الشهرزوري (813 - 893 هـ / 1410 - 1487م) النحو والمعاني والبيان والعروض وقد استوعب شهاب الدين هذا العلوم المذكورة ومهر فيها، كما مهر في المنطق والعقليات ونظم قصيدة في علم العروض بستمائة بيت مع قصائد أخرى⁽⁵⁾. وكان جبريل بن صالح بن اسراييل البغدادي علامة في العربية والمعاني والأصول وانتفع منه المؤرخ المصري بدر الدين العريضي المتوفى سنة 854 هـ / 1450م⁽⁶⁾.

(1) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص84-85.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص189.

(3) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر: نظم العقيان في اعيان الأعيان، حرره: فليپ حتى، المطبعة

السورية الأمريكية، نيويورك، 1927، ص128-129.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص29-30.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص241-243. الشوكاني: المصدر السابق، ج1، ص39-41.

وبرع محمد بن قاضي قضاة بغداد تاج الدين احمد بن محمد بن احمد النعماني البغدادي (805 - 867 هـ / 1402 - 1462م) في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول وشارك في الفقه⁽²⁾. ووصف عبد المتعم بن محمد ابن عبد المولى بن عبد القادر بن عبد الله البغدادي المحلي المولود ببغداد سنة 772 هـ / 1370م بالأديب وقد طاف بلاداً عدة وامتدح بعض الملوك وقد التقاه ابن فهد في القاهرة سنة 838 هـ / 1434م وكتب عنه من نظمته:

أضحت سلاطين الهوى جائزة من جورهم ها أدمعي جارية

في حب خلود نيمتي بخال في خدّها الوردى يا عم خال

نظرتها تهتز فن فوق خال همت وقلت مثلها ما تحال⁽³⁾

وقرأ علي بن عثمان بن حسين بن محمد بن عيسى الربيعي العراقي الشافعي المولود سنة 801 هـ / 1399م بالعراق الكافية في النحو، كما قرأ على النجم عبد القادر بن عمر السكاكيني الواسطي مقامات الحريري قراءة تحرير واتقان، وسمع السخاوي منه قصيدته سنة 850 هـ / 1446م امتدحه فيها مطلعها:

اشكر رب العلاء احمد ان خلف الشافعي احمد

بجتهد العصر في زمان لم يبق في أهله مقلد

كما سمع منه قصيدة نبوية في سبعين بيتاً مطلعها:

انافس في مدح الرسول بأنقاسي فأنى به ارجو النجاة من الناس⁽⁴⁾

وجع محمد بن الحصير البغدادي المتوفى سنة 892 هـ / 1486م بين الفقه والنحو والشعر، ومن نظمته:

لما تجافى تجافى الصبح والغسق وحين وافى توافى الصبح والشفق

(1) السيوطي: بنية الرواة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد امي الفضل ابراهيم، ط1، مطبعة عيسى

الحلي، القاهرة، 1964م، ج1، ص484.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج7، ص46-47.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص89.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص258-259.

وهبك بالليل مغتاضا لزورته فليت شعري ما للصبح ينقلق⁽¹⁾

ووضع ابو سعيد شعبان بن شمس الدين محمد بن شرف الدين داود القرشي الموصلبي المتوفى سنة 828 هـ / 1424م كتابا في البلاغة سماه (بديع البديع في مدح الشفيح)⁽²⁾. واشتغل محمد بن داود الشيخ الامام شمس الدين ابو عبد الله البازلي المولود سنة 845 هـ / 1441م في جزيرة ابن عمر شمال الموصل على الكافية في التجو لابن الحاجب والتصرف للعزى، وأخذ المعقولات عن ملا ظهير قبل انتقاله إلى الشام سنة 870 هـ / 1465م⁽³⁾.

وللشاعر الأديب الشيخ تاج الدين الحسن بن راشد الحلبي الذي (كان حيا سنة 830 هـ) قصائد شعر كثيرة في مدح الأئمة، كما له ارجوزة في تاريخ الملوك والخلفاء واجوزة في تاريخ القاهرة، ومن شعره:

نعم يا سيدي قد جئت ذنبا حلت بفعله عبثا قتيلا

وها أنا تائب منه مقرر به لك فاصفح الصفح الجميلا⁽⁴⁾

وقصر الشيخ صالح بن عبد الوهاب المعروف بابن العرنديسقي (المتوفى في الحلة سنة 840 هـ) شعره على رثاء اهل البيت، ومن شعره:

ايا بني الوحي والتزليل يا أملي يا من ولاكم غدا في القبر يؤنسي

حزني عليكم جليد دائم ابدا ما دمت حيا إلى ان ينقضي زمي

وما تذكرت يوم الطف رزاكم الا تجدد لي حزن على حزن

وأصبح القلب مني وهو مكتئب والدمع منسكب كالعارض المتيقن⁽⁵⁾

(1) العمري: غاية المرام، ص 257.

(2) المزاي: تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1961م، ج1، ص 221.

(3) الغزى: المصدر السابق، ج1، ص 47.

(4) شبر، المرجع السابق، ج1، ص 270، 272.

(5) المرجع نفسه، ج1، ص 291.

ووصف الشيخ مغامس بن داغر التوفى في الحلة سنة 850 هـ / 1446م بأنه شاعر
 طويل النفس بديع النظام حلو الانسجام ومن شعره في إحدى قصائده النبوية:
 فتارة أنظم الأشعار ممتدحا وتارة اثثر الأقوال في الخطب
 اعملت في مدحك فكري وعلمي نظم المديح وأوصاني بذلك أبي⁽¹⁾
 ونظم محمد بن حماد الحلبي (التوفى في الحلة أواخر القرن التاسع الهجري) قصائد في
 مدح أهل البيت منها قصيدة مطلعها:

اهجرت يا ذات الجمال دلالا وجعلت جسمي بالصدور خيالا
 وسقيتني كأس الفراق مريرة ومنحت عذب رضا بك السلسالا⁽²⁾

ونظم احمد بن احمد بن محمد بن محمد القرشي الزيري البصري التوفى سنة 856 هـ /
 1452م قصائد في مدح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - منها قصيدة مطلعها:
 ألا ليت شعري هل أرى لي عودة إلى المصطفى فهو البشير محمد
 أقبل مثواه والشم تربه واشكر ربي عند ذاك واحمد

وقد التقاه السخاوي وسمع منه بعض نظمه⁽³⁾. ونظم الشعر ايضا ابراهيم ابن ابي بكر
 بن يوسف كمال الدين البصري (804 - 859 هـ / 1401 - 1454م) وقد التقاه السخاوي في
 مكة وسمع منه قصيدة مطلعها:

أيا ليت شعري هل أبيت ليلة بروضة خير المسلمين محمد
 نبي له الله اصطفى من عباده وأرشدنا منه إلى كل مقصد⁽⁴⁾

(1) للرجع نفسه، ج4، ص296.

(2) للرجع نفسه، ج4، ص310.

(3) السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص223.

(4) للمصدر نفسه، ج1، ص36.

وقد عني عطاء بن عبد العزيز بن عبد الحكيم بن عبد الله القحطاني البصري الشافعي الذي عرف بابن اللوكه (794 - 860 هـ / 1391 - 1455 م) بالأدب وطالع دواوين اربابه ونظم الشعر الجيد ومن نظمه:

لما تبدى وقد اكبرت صورته بدر يحير المعنى في معانيه

فقلت بالانتمائي في محبته فذلكن الذي لتسني فيه⁽¹⁾

وامتحن عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن زيد البصري على يد المشمع سنة 863 هـ / 1458 م، ففر منهم إلى مكة وفيها كتب قصيدة عبر فيها عن شوقه وحنينه للبصرة وعن جور المشمعين وظلمهم لأهلها ومطلعها:

هي البصرة الفيحاء لازال ذكرها جديدا لأهلها لدى الخلق اجلال

فقد كانت الفيحاء للعين نزهة وللقلب جنات بها ينعم اليال

فطارقتها بالرغم مني مخافة على الدين من قوم بضد الهدى قالوا

بغوا وعتوا في الارض واشتد طرهم على اهلها والله ما شاء فعال

رمانى لديهم ثم انقذ منها علي له بالعبد من وأفضل

وكان عبد الله اماما فاضلا عارفا بالفرائض والحساب والعروض ذا نظم كثير حسن ومشاركاً في الفقه والعربية ومن مؤلفاته (فتح الرحمن في مسألة دور الضمان) توفي في مكة سنة 893 هـ / 1487 م⁽²⁾.

ثالثاً: التاريخ والأنساب

من المؤرخين العراقيين الذين وصلتنا اخبارهم عبد الله بن الفتح الله البغدادي الملقب بالغياثي الذي كان حياً سنة 895 هـ / 1491 م قد عاش شطراً من حياته في بغداد في عهد القره قوينلو ثم تركها إلى حلب تخلصاً من الظلم والاضطهاد وفي حلب كتب عن اخبار العراق وحوادثه وجمعها في كتاب سماه (التاريخ الغياثي) الذي يعد من أهم المصادر التي تبحث عن

(1) المصدر نفسه، ج 1، ص 147.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 30-31.

تاريخ العراق بعد الغزو المغولي وليس هناك مصدر يضاهيه في معلوماته عن العراق بالعربية أو الفارسية أو التركية، وقد كتب تاريخه وفقا لأسماء الدول الحاكمة ولكونه يعرف الفارسية فقد ضمن كثيرا من نصوصها في كتابه واستعمل التواريخ والأشهر المغولية والفارسية إلى جانب التاريخ الهجري⁽¹⁾، فضلا عن كتابه هذا كانت له إسهامات أدبية⁽²⁾ ومعرفة بعلم الجبر والنجوم وقام بترجمة العديد من الكتب الفارسية إلى العربية، منها كتاب (تاج المداخل في علم النجوم) لأبي جعفر محمد بن عبد الله الشريفي⁽³⁾.

وكان لعلي بن عبد المحسن بن عبد الدائم بن عبد المحسن النجم أبي السعادات البغدادي القطعي الخبلي المعروف بابن الخراط (779 - 862 هـ / 1377 - 1461 م) استعداد واتسحاضار لكثير من التاريخ والأدبيات والشعر المأجّن⁽⁴⁾.

وفي الأنساب اشتهر المؤرخ العراقي جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بابن عنبه، ومن كتبه (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)⁽⁵⁾. وكان من العلماء الذين نقلهم تيمورلنك إلى حاضرتهم سمرقند حيث ألف كتابه فيها وضمنه معلومات قيمة عن تاريخ العراق ومنها انتقل إلى كرمان حيث وافاه الأجل فيها سنة 828 هـ / 1424 م⁽⁶⁾.

(1) عن الغياني وتاريخه، انظر كتابه: التاريخ الغياني ومقدمة المحقق. وكذلك، انظر: الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص 189.

(2) المزوي: تاريخ الأدب، ج 1، ص 277.

(3) الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص 190.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، ج 2، ص 255-256.

(5) الكتاب المطبوع في النجف، سنة 1961 م، وكان المؤلف قد فرغ من تأليفه سنة 814 هـ انظر: الكتاب، ص 13.

(6) انظر: عمدة الطالب، ص 12. المزوي: تاريخ العراق، ج 3، ص 73. الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص 187.

رابعاً: فنون الموسيقى والغناء

يشير فاروق سومر إلى أن قره يوسف كان ذواقاً للموسيقى⁽¹⁾، ويدو أن بلاطه قد ضم بعض العراقيين ممن برعوا في هذا الفن، ففي تبريز كان يقيم القطب الموصلية الذي كان ندماً لميرانشاه وصفه ابن عربشاه بأنه "أعجوبة الزمان الدوار واستاذ الموسيقى والادوار اذا استطقت البراعة أسكت أهل البراعة، واذا وضع الناي بقيه سحق عود اسحاق وأبيه، وان أخذ في الأغاني اغنى عن الغواني، تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عني انيني، فتشير براعته بالأصبع وتقول على عيني ثم ينفخ فيها الروح فيشفى كل قلب مجروح... قيل انه كان يؤدي جميع الأنغام والفروع والمركبات والشعب والأصول..."⁽²⁾.

وكان نظام الدين عبد القادر الغني البغدادي (المتوفى سنة 838 هـ / 1434م) صاحب صوت عذب في الغناء ومعرفة عالية بالموسيقى وموهبة في فنون عديدة أخرى⁽³⁾. كما كان أحمد بن محمد الشهاب التلعفري ثم الدمشقي استاذاً في الضرب على القانون⁽⁴⁾.

خامساً: الطب

لا حاجة لتكرار أسماء العلماء العراقيين الذين كانت لهم إلى جانب تخصصاتهم الأصلية في علوم الدين واللغة إسهامات في علوم الفلسفة والرياضيات والفلك من سبقت الإشارة إليهم. أما في ميدان الطب، فقد برزت مجموعة من العلماء بعض منهم حظي برعاية حاكم بغداد القره قوينلوي الشاه محمد فكان المتغلب على دولته طبيب نصراني يعرف بعبد المسيح توفي سنة 836 هـ / 1432م بلسعة زنبور والغياثي يستغرب ذلك ويقول متندراً أن حكيماً يدعى انه بقرط الوقت يموت من لسعة زنبور. وقيل في النوادر الطيبة أن الزنبور اذا سقط على الفأر ثم لسع انساناً فانه يموت⁽⁵⁾. وكان أبو علي يمتحن حرفة الجراحة في بغداد،

(1) Kara Koyunlular, 1, cilt, s, 86.

(2) عجائب المقنور، ص 79.

(3) الخوافي: المصدر السابق، ج3، ص 275.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص 217.

(5) التاريخ الغياثي، ص 252. وانظر كذلك: العزاوي: تاريخ العراق، ج3، ص 91.

وكانت له بسطة فيها، ثم انتقل إلى الأنبار ومنها إلى الحلة حيث أصبح حاكماً عليها مدة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً في سنة 824 هـ / 1421م⁽¹⁾، وقد أورد الغياثي ذكراً لعملية جراحية أجريت في عهد أسبان لشخص يدعى خواجه ولي الذي تعرض لضربة نافذة في عنقه فقل إلى بغداد وخطب جرحه وعاش بعد ذلك أربعين سنة⁽²⁾، وكان لأسبان عدد من الأطباء يعالجونه من مرض القولنج المزمن الذي كان قد ألم به⁽³⁾.

وقد ذاعت شهرة الطيب العراقي محمد بن عمر بن أبي بكر البغدادي في القاهرة بعد أن هاجر إليها عقب احتلال القره قوينلوي لبغداد وفيها عالج السلطان المصري المؤيد شيخ من مرض أصابه⁽⁴⁾. وكتب طاهر بن يونس الموصلبي سنة 835 هـ / 1431م رسالة في الطب للمحال عبد الله علي بن أيوب وقد أطلع عليها السخاوي⁽⁵⁾. وتولى يحيى بن محمد بن يحيى بن يوسف البغدادي المتوفى سنة 833 هـ / 1425م اليمارستان المنصوري في القاهرة وكان قبل هجرته قد ألف في بغداد كتاباً في الطب⁽⁶⁾، وتلمذ على الموفق المهداني في المعرفة الطيبة عفيف الدين أبو المعالي علي بن عبد المحسن البغدادي المتوفى سنة 858 هـ / 1454م⁽⁷⁾ ووضع حسن بن نوح القمرى البروارى⁽⁸⁾ المتوفى سنة 862 هـ / 1457م كتاباً في مصطلحات الطب⁽⁹⁾.

وفضلاً عن هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم كان هناك علماء عراقيون آخرون لم تشر المصادر إلى نوع الجوانب المعرفية التي عرفوها أو اشتهروا بها مكتفية بذكر اسمائهم ومنهم:

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 138-139.

(2) المصدر نفسه، ص 261.

(3) المصدر نفسه، ص 279.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، ج 8، ص 242.

(5) المصدر نفسه، ج 6، ص 6.

(6) المصدر نفسه، ج 10، ص 259-261. وانظر: ابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص 206-207.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، ج 7، ص 255-256. وانظر: ابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص 293.

(8) بروارى: نسبة إلى منطقة بروارى باله التي تقع شمال العراق بين العمادية وزاخو.

(9) العباسي: امرأة بهلديان العباسية، مطبعة الجمهورية بالموصل، 1969م، ص 166.

- 1- فضل الله بن نصر الله بن احمد البغدادي الحنبلي اخو المحب الذي سبقت الاشارة اليه (توفي سنة 828 هـ / 1424م) وكان قد ترك بغداد وطاف في بلدان عدة كالهند والحبشة ومكة، ثم استقر مقامه في القاهرة، وتولى مشيخة المدرسة الخروية⁽¹⁾.
- 2- احمد بن عبد الرحيم بن احمد بن علي بن احمد الشهاب بن التاج ابي الفضل البغدادي، وكان يعرف بابن الفصيح تعاطى التجارة ثم عمل نقيا للحكم الحنفي في دمشق، ثم سكن القاهرة ومات فيها سنة 828 هـ / 1424م⁽²⁾.
- 3- عبد الله بن محمد بن محمد الجمال العراقي⁽³⁾.
- 4- ابراهيم بن احمد بن حسين الموصللي ثم المصري نزىل مكة⁽⁴⁾.
- 5- ابراهيم بن ابي بكر عبد الله الموصللي الماجوزي⁽⁵⁾.
- 6- احمد بن دلامة الخواجا الشهاب البصري ثم الدمشقي الذي أنشأ مدرسة بصالحية دمشق ومات سنة 853 هـ / 1449م⁽⁶⁾.
- 7- علي بن احمد الاربلي، توفي بمكة سنة 903 هـ / 1497م⁽⁷⁾.

(1) ابن حجر: انباء القهر، ج3، ص359. السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص173.

(2) السخاوي: المصدر نفسه، ج1، ص335-336.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص66.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص13.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص34.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص299.

(7) الغزى: المصدر السابق، ج1، ص267.

الخاتمة

عاجلت هذه الدراسة تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والاق قوينلو، في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، واتضح من الدراسة ان الانكفاء الحضاري الذي كان قد أصاب العراق بعد انهيار الخلافة العباسية على يد المغول الايلخانيين قد ازداد في الحقب اللاحقة لا سيما حقبة البحث بسبب عنف التطاحن السياسي بين الامراء المتنافسين على السلطة وبقاء البلاد في حالة من الفوضى والاضطراب كان ابرز مظاهرها اعمال القتل والابادة الجماعية وتهجير السكان والتخريب ونهب المدن وانتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات.

وكشفت الدراسة ان القوى المحلية العراقية متمثلة بأل فضل والمشعشين قد تمكنت من تحجيم السيطرة السياسية للقره قوينلوية والاق قوينلوية على العراق وحصرته في بعض المدن العراقية الرئيسة، فامارة آل فضل بمجدها السياسي والعسكري قد تمكنت من توسيع نفوذها في جهات العراق الغربية وامتد نفوذها في عهد شيخها عنزا بن علي بن نعيم إلى مدينة الحلة سنة 824 هـ / 1421م وفي عهد الشاه حارث إلى الموصل سنة 836 هـ / 1432م. والمشعشين دخلوا في صراع لا هوادة فيه مع القره قوينلو والاق قوينلو، وتمكنوا من اضعاف هاتين القوتين في وسط وجنوب العراق كما أصبحت بغداد ومدن وقرى حوض نهر ديلالى هدفا مستمر لغاراتهم لغرض اضعاف المحتلين سياسيا واقتصاديا.

وقد توصل البحث إلى ان اوضاع العراق على عهد الاق قوينلو لم يختلف كثيرا عما كان عليه واقع الحال في عهد الغزاة الذين سبقوهم فحسن الطويل عند محاصرته بغداد سنة 872 هـ / 1467م بهدف احتلالهم هجر سكان القرى المحيطة بها إلى ديار بكر ولم يترك على حد قول الغياثي نفسا واحدا فيها بهدف اضعاف مقاومة بغداد له. وخلال مدة حكم امرائه عاش العراق حالة من الصراع السياسي بين الامراء المتنافسين على ولاية بغداد، ومع ما قيل عن اصلاحات حسن الطويل وابنه السلطان يعقوب الاجتماعية والاقتصادية، فان المعلومات لا زالت غير واضحة المعالم في ما يخص العراق منها على الرغم من ان البليسي قد ذكر انها قد طبقت في العراق دون ذكر التفاصيل.

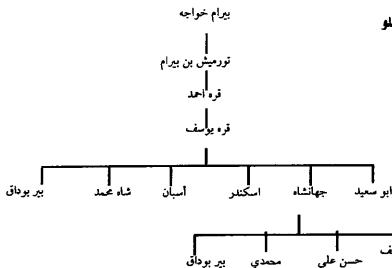
ان القره قوينلو والاق قوينلو قد ساروا في نظمهم الادارية وتشكيلاتهم العسكرية على ما كان قائما في العراق في عهد المغول الايلخانيين والجلاتيين فكانت البلاد في نظرهم ملكا للعائلة الحاكمة التي يرأسها رئيس العشيرة الأولوياني - أو السلطان الذي هو الحاكم الفعلي للإمارة يساعده في ادارة البلاد الصاحب الأعظم أو الوزير ومتولي هذا المنصب كان رئيسا للديوان المركزي الذي يشرف على جميع امور الامارة، ويتقسم الديوان المركزي إلى دواوين

متخصصة، وعلى غرار حكومة المركز كان لحكام الولايات الذين هم من أبناء الاسرة الحاكمة دواوين تدار من قبل موظفين خاصين. وكان للقره قوينلو والاق قوينلو جيش دائم يضاف اليه في اوقات الحرب عدد كبير من المتطوعة من أبناء القبائل والعشائر بهدف الحصول على الغنائم.

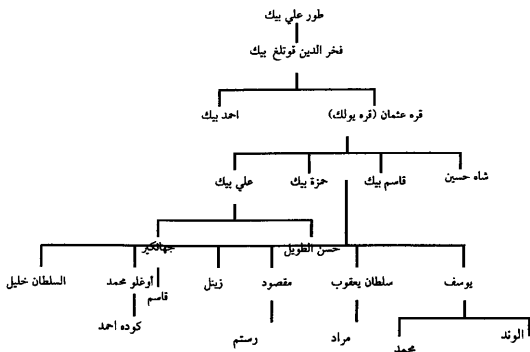
وفي الجوانب الاقتصادية لم تطرأ تغييرات كبيرة في نظم الاراضي، ولكن حدث توسع في الاقطاع واصبح يشمل مدنا واقانيم بكاملها اقتصر منحها لأبناء الاسرة الحاكمة، مع عدم الاهتمام بالزراعة أو الصناعة أو التجارة، فقد انحسرت هذه النشاطات الاقتصادية كثيرا بفعل الفوضى والاضطراب السياسي والنهب والتدمير المعتمد، وزاد من تفاقم الاحوال الاقتصادية كثرة الضرائب القسرية التي كانت تفرض على السكان إلى جانب عمليات المصادرة والنهب. ومع ذلك فقد حافظ العراقيون على نشاطهم النسبي في هذه الجوانب، فبقيت الزراعة محور النشاط الاقتصادي للغالبية العظمى من السكان، ويعزى ذلك إلى امتلاك العراق مقومات الانتاج الزراعي كما بقي الكثير من الصناعات العراقية قائمة، لا سيما في بعض المدن الرئيسية كبغداد والموصل اللتين حافظتا على شهرتهما العالمية في صناعة بعض المتوجات الصناعية كالمنسوجات التي استمر تدفقها إلى الاسواق العالمية.

وبما ان هؤلاء الغزاة كانوا أدنى من العراقيين، حضارة لاقتربهم من البدائية فهم لم يتركوا أثرا ثقافيا في العراق، ولم ينشؤا مؤسسات تعليمية أو ثقافية جديدة ولم يشجعوا التأليف بالعربية، ولم يقربوا العلماء العراقيين، بل لقد اتخذوا الفارسية لغة لدواوينهم وحاربوا الثقافة العربية عن طريق الطعن بالدين الاسلامي وكان الزنادقة والملاحدون من حروفيين وحيدرين عونا لحكام القره قوينلو في تنفيذ مقاصدهم. ومع ذلك فقد واجه العراق هذه المحن بصبر وواصل متفوهه التصدي لتلك الاوضاع كما واصلوا عطاءهم الثقافي وقدموا نتاجات علمية سايرت روح العصر من حيث قيمتها العلمية واللغوية، ولعل شهادة السخاوي بحق عدد كبير من اولئك العلماء تكفي للتدليل على ذلك.

القره قوينلو



الآق قوینلو:





خارطة الدولة للمملوكية وللشرق الإسلامي

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

- 1- ابن ابي عذية، شهاب الدين احمد بن محمد (توفي سنة 856 هـ / 1452م):
 - مختصر التاريخ الكبير، نسخة مكتبة اوقاف الموصل تحت رقم 10 / 15، خزائن حسين بك.
- 2- ابن تغرى بردى، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (توفي سنة 874 هـ / 1469م):
 - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (نسخة المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 2072)، نسخة مصورة لدى د. احمد الحسو.
- 3- الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (توفي سنة 748 هـ / 1347م):
 - تاريخ الاسلام، نسخة ميكروفيلم في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد، تحت رقم 1803.
- 4- العيني، بدر الدين محمود (توفي سنة 855 هـ / 1451م):
 - تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر، نسخة المتحف البريطاني تحت رقم أي، دي، دي 22، 360، نسخة مصورة لدى د. احمد الحسو.
- 5- مجهول:
 - اكسير الذهب في علم النسب، نسخة الخطاط يوسف ذنون، وهي مصورة عن نسخة الاصل التي بحوزة توفيق نعمان الفخري.

ثانياً: المصادر العربية

- 1- ابن ابي حديد، عز الدين ابو حامد عبد الحميد (توفي سنة 656 هـ / 1258م):
 - شرح نهج البلاغة، دار الأندلس، بيروت.
- 2- ابن الاثير، ابو الحسن بن ابي الكرم الشيباني الجزري (توفي سنة 630 هـ / 1232م):
 - الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978م.
- 3- ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي (توفي سنة 930 هـ / 1523م):
 - تاريخ ابن اياس المسمى 'بدائع الزهور في وقائع الدهور'، ط1، مطبعة بولان بمصر، 1311م.
 - صفحات لم تنشر من بدائع الزهور، دار المعارف، مصر، 1961م.
 - المختار من بدائع الزهور، دار الشعب، القاهرة، 1961م.

- 4- ابن ابيك، ابو بكر بن عبد الله الدواه داري (توفي حوالي سنة 736 هـ / 1335م):
 - كثر الدرر وجامع الغرر، تحقيق: اولرخ هارمان، مطبعة القاهرة، 1972م.
- 5- البديسي، شرف خان (توفي سنة 1012 هـ / 1603م):
 - شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1962م.
- 6- ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي (توفي سنة 776 هـ / 1377م):
 - رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1964م.
- 7- ابن تغرى بردى، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (توفي سنة 874 هـ / 1469م):
 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
 - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج4، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
 - حوادث الدهور في معرفة الايام والشهور، تحقيق: وليم بوهر، جامعة كاليفورنيا، 1930 - 1932.
- 8- ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد (توفي سنة 614 هـ / 1217م):
 - رحلة ابن جبير، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1981.
- 9- ابن جعفر، قدامة (توفي سنة 329 هـ / 940م):
 - الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.
- 10- ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي (توفي سنة 852 هـ / 1448م):
 - الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، القاهرة، 1966م.
 - انباء الغمر بابنار العمر، ط1، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1961م.
- 11- الحميري، محمد بن عبد المنعم (توفي حوالي سنة 900 هـ / 1494م):
 - الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- 12- الخزرجي، علي بن حسن (القرن 9 هـ / 15 م):
 - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد يسوني عسل، مطبعة الفجالة، القاهرة، 1914م.

- 13- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (توفي سنة 808 هـ / 1405م):
- تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.
- 14- الخوارزمي، محمد بن احمد بن يوسف (توفي سنة 387 هـ / 997م):
- مفاتيح العلوم، دار النهضة العربية.
15- الدويهي، اسطفانون:
- تاريخ الأزمنة، بيروت، 1951م.
- 16- رشيد الدين فضل الله الهمداني (توفي سنة 718 هـ / 1318م):
- جامع التواريخ، م2، ج1، ج2، ترجمة: محمد صادق نشأت وآخرين، دار احياء الكتب العربية، 1960م.
- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان)، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م.
- 17- الرفاعي، السيد احمد:
- المجالس الرفاعية، تحقيق: السيد محمود السامرائي الرفاعي، ط1، مطبعة الارشاد بغداد، 1971م.
- 18- الرمزي. م. م. (توفي سنة 1130 هـ / 1717م):
- تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزاق وبلغار وملوك التتار، اورنبرغ، 1908م.
- 19- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (توفي سنة 902 هـ / 1497م):
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
- التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة.
- الذيل على رفع الاصر او بغية العلماء والرواة، تحقيق: جوده هلال، الدار المصرية للتأليف والنشر.
- الاعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ، نشر القدسي، 1349 هـ.
- 20- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (توفي سنة 685 هـ / 1281م):
- كتاب الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، بيروت، 1970م.
- 21- السيوطي، الامام جلال الدين (توفي سنة 911 هـ / 1505م):
- نظم العقيان في اعيان الاعيان، حرره: فيليب حتي، المطبعة السورية الامريكية في نيويورك، 1927م.
- 22- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (توفي سنة 684 هـ / 1285م):

- العلاقات الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، الناشر: وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1978م.
- 23- الشوكاني، محمد بن علي (توفي بعد سنة 1250 هـ / 1834م):
 - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- 24- ابن الصابوني، جمال الدين ابي حامد محمد بن علي المحمودي، (توفي سنة 680 هـ / 1281م):
 - تكملة اكمال الاكمال، تحقيق: مصطفى جواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1957م.
- 25- ابن صصري، محمد بن محمد (توفي بعد سنة 799 هـ / 1396م):
 - الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق: وليم م. برينز، جامعة كاليفورنيا، بركلي.
- 26- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك (توفي سنة 764 هـ / 1362م):
 - الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت ريتز، ط2، دار النشر فرانز شتاينر بفسبادن، 1961م.
- 27- الصيرفي، علي بن داود الجوهري (توفي سنة 900 هـ / 1494م):
 - نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، 1970م.
 - انباء المصغر بانباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، دار الفكر العربي، 1970م.
- 28- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (توفي سنة 709 هـ / 1309م):
 - الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار بيروت، 1966م.
- 29- ابن طولون، شمس الدين محمد (توفي سنة 953 هـ / 1546م):
 - مفاهمة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1962م.
- 30- الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (توفي سنة 873 هـ / 1468م):
 - كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، مطبعة الجمهورية، باريس، 1894م.
- 31- ابن عبد الحق البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن (توفي سنة 739 هـ / 1338م):
 - مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والباق، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية.
- 32- ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله (توفي سنة 692 هـ / 1293م):

- تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، ط1، الشركة العربية، القاهرة، 1961م.
- 33- ابن العمري، غريغوريوس الملطي (توفي سنة 685 هـ / 1286م):
 - تاريخ الدول السرياني، نشر في مجلة المشرق اللبنانية، بيروت، 1950 - 1956.
- 34- ابن عريشاه، شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الله (توفي سنة 854 هـ / 1450م):
 - عجائب المقدور في اخبار تيمور، ط1، مطبعة وادي النيل، القاهرة، 1285 هـ
- 35- ابن العماد الحنبلي، ابو فلاح عبد الحمي (توفي سنة 1089 هـ / 1678م):
 - شذرات الذهب في اخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.
- 36- العمري، احمد بن يحيى (توفي سنة 742 هـ / 1341م):
 - التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، مصر، 1312 هـ.
- 37- العمري، ابن فضل الله (توفي سنة 749 هـ / 1348م):
 - مسالك الأبصار في ممالك الامصار، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م.
- 38- العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب (توفي سنة 1233 هـ / 1816م):
 - منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحلدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1967م.
- 39- العمري، ياسين بن خير الله الخطيب (توفي سنة 1232 هـ / 1817م):
 - غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار منشورات المصري، بغداد، 1968.
 - مئة الادباء في تاريخ الموصل، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل، 1955.
- 40- ابن العميد، المكين جرجيس (توفي سنة 673 هـ / 1273م):
 - اخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، مجلة المعهد الفرنسي بدمشق، مجلد 15، سنة 1958م.
- 41- العيني، بدر الدين محمود (توفي سنة 855 هـ / 1451م):
 - عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، حوادث سنة 648 - 664، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
 - عقود الجمان في تواريخ اهل الزمان - حوادث سنة 815 - 824 هـ تحقيق: عبد الرزاق الطنطاوي، ط1، القاهرة، 1985م.

- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهميم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
- 42- الغزى، الشيخ نجم الدين (توفي سنة 1061 هـ / 1650م):
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
- 43- الغساني، الملك الأشرف عماد الدين (توفي سنة 803 هـ / 1400م):
- المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تحقيق: شاكراً محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، 1975.
- 44- الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي (توفي بعد سنة 891 هـ / 1486م):
- التاريخ الغياثي، تحقيق: طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، 1975م.
- 45- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي (توفي سن 732 هـ / 1331م):
- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1984م.
- المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية.
- 46- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (توفي سنة 807 هـ / 1404م):
- تاريخ ابن الفرات، عني بنشره: قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1936م.
- 47- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (توفي سنة 723 هـ / 1323م):
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد، 1351 هـ
- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج4، تحقيق: مصطفى جواد، دمشق، 1965م. وج5، تحقيق: الحافظ محمد لاهور، 1940م.
- 48- القرمانى، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (توفي سنة 1019 هـ / 1610م):
- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت.
- 49- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (توفي سنة 682 هـ / 1283م):
- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960م.
- 50- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (توفي سنة 821 هـ / 1418م):
- صبح الأعشى في صناعة الانشاء، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

- مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1964م.
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الأيساري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
- 51- الكاشغري، محمود بن حسين بن محمد (القه سنة 466 هـ / 1073م):
 - ديوان لغات الترك، ط5، دار الخلافة العلمية، مطبعة عامرة، 1333 هـ
- 52- الكشي، محمد بن شاکر، (توفي سنة 764 هـ / 1362م):
 - عيون التواريخ، ج20، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- فوات الوفيات والذيل عليها، ج3، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- 53- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل، توفي سنة 774 هـ / 1372م):
 - البداية والنهاية، ج14، مطبعة المعارف، بيروت، 1966م.
- 54- ماركوپولو (توفي سنة 725 هـ / 1324م):
 - رحلات ماركوپولو، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
- 55- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (توفي سنة 450 هـ / 1058م):
 - الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- 56- مجهول، مؤرخ شامي:
 - حوليات دمشقية، تحقيق: حسن حبشي، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1968م.
- 57- مرتضى أفندي، نظمي زاده (توفي سنة 1136 هـ / 1723م):
 - كلشن خلغا، نقله إلى العربية: موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف، 1971.
- 58- المقرئ، تقي الزين احمد بن علي (توفي سنة 845 هـ / 1441م):
 - السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره: محمد مصطفى زياده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1041م.
- 59- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (توفي سنة 733 هـ / 1332م):
 - نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
- 60- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي (توفي سنة 626 هـ / 1228م):

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955م.
- 61- اليونيني، قطب الدين ابو الفتح موسى (توفي سنة 726 هـ / 1325م):
- ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1954م.
- ثالثاً: المراجع العربية**
- 1- الأعظمي، علي ظريف:
- مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد، 1927م.
- 2- آدمز، روبرت ماك:
- اطراف بغداد (تاريخ الاستيطان في سهول دبال)، ترجمة: صالح احمد العلي وآخرين، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م.
- 3- اسماعيل، احمد جودت بابا بن اسماعيل بن علي:
- تاريخ جودت، ترجمة عن التركية: عبد القادر أفندي، مطبعة جريدة، بيروت، 1308 هـ.
- 4- أشتور، أ:
- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبله، دار قتيبة، دمشق، 1985م.
- 5- أوج اوق، بحريه:
- النساء الحاكمات في التاريخ، ترجمة: إبراهيم الداقوقي، مطبعة السعدون، بغداد، 1973م.
- 6- بارتولد، و:
- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: احمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958م.
- 7- براون، ادوارد جرانييل:
- تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة بمصر، 1954م.
- 8- بروي، ادوارد:
- تاريخ الحضارات العام، ترجمة: يوسف اسعد منشورات عويدات، بيروت.
- 9- بروكلمان، كارل:
- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.

- 10- البستاني، بطرس: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م.
- 11- بور، ايلين:
- طوائف ارباب الحرف والتجارة في العصور الوسطى، مقالة منشورة في تاريخ العالم، م5، أشرف على ترجمته: ادارة الثقافة بوزارة التربية، مكتبة النهضة المصرية.
- 12- التكريتي، محمود ياسين احمد:
- الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.
- 13- جمعة، بديع واحد الخولي:
- تاريخ الصفويين وحاضرتهم، دار الكتب العربي، القاهرة، 1976.
- 14- جواد، مصطفى واحد سوسه:
- دليل خارطة بغداد المفصل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1958م.
- 15- جواهر الكلام، عبد العزيز:
- آثار الشيعة الامامية، ترجمه إلى العربية: علي جواهر الكلام.
- 16- الجواهري، عماد:
- صراع القوى السياسية في المشرق العربي، منشورات جامعة القادسية، 1990م.
- 17- جيمس بكنفهام:
- رحلتي إلى العراق، ترجمة: سليم طه التكريتي، مطبعة أسعد، بغداد، 1968م.
- 18- الحديشي، فرحان:
- تاريخ الحديثة، مطبعة أسعد، بغداد، 1989م.
- 19- الحلبي، محمد راغب بن محمود بن هاشم:
- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية، حلب، 1924م.
- 20- الحلبي، الشيخ يوسف كركوش:
- تاريخ الحلقة، ط1، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1965م.
- 21- الحلو، علي نعمة:
- الأحواز عربستان في ادوارها التاريخية، ط1، دار البصري، بغداد.
- 22- الحمداني، طارق نافع:
- ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1989م.

- 23- الحيارى، مصطفى:
- الامارة الطائفة في بلاد الشام، وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1977م.
- 24- حيدر، جويان خضر:
- الميثولوجيا التركية، اصدارات معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، سلسلة الدراسات التركية، 1988م.
- 25- خصبك، جعفر حسين:
- العراق في عهد المغول الايلخانيين، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1968م.
- 26- دارج، احمد السيد:
- الماليك والفرنج في القرن 9 هـ / 15 م، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961م.
- 27- الدوري، عبد العزيز:
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط2، دار المشرق، بيروت، 1974م.
- 28- رافق، عبد الكريم:
- العرب والعثمانيون، ط1، دمشق، 1974م.
- 29- الرويشدي، سوادي عبد محمد:
- امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ط1، مطبعة الارشاد، بغداد، 1971م.
- 30- زامبور:
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، بيروت، 1951م.
- 31- الزبيدي، محمد حسين:
- امارة المشعشين أقدم امارة عربية في عريستان، بغداد، 1982م.
- 32- زكي ييك، محمد أمين:
- خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، 1939م.
- 33- السامرائي، يونس الشيخ ابراهيم:
- علماء العرب في شبه القارة الهندية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1986م.
- 34- سرور، محمد جمال الدين:
- دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947.
- 35- سعيد، فرحان احمد:

- آل ربيعة الطائيون، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1983م.
- 36- سليم، محمد رزق:
- عصر سلاطين المماليك، ط2، دار الحمامي للطباعة، 1965م.
- 37- شعر، جاسم حسن:
- تاريخ المشعشين وتراجم اعلامهم، مطبعة الآداب، النجف، 1965م.
- 38- شريف، ابراهيم:
- الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، مطبعة شفيق، بغداد.
- 39- الشبي، كامل مصطفى:
- الفكر الشيعي والتزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، ط1، مكتبة النهضة، بغداد، 1966م.
- 40- الشيخ اسحاق أفندي:
- رسالة كاشف الأسرار ودافع الأشرار، سنة الطبع، 1280 هـ.
- 41- الصائغ، سليمان:
- تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، مصر، 1923م.
- 42- الصياد، فؤاد عبد المعطي:
- المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.
- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
- 43- طرخان، ابراهيم علي:
- مصر في عصر دولة المماليك الجراسكة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960م.
- 44- العابد، صالح محمد وعماد عبد السلام رؤوف:
- العراق بين الاحتلالين المغولي والصفوي المنشور في كتاب العراق في التاريخ، بغداد، 1983م.
- 45- العاني، نوري عبد الحميد:
- العراق في العهد الجلائري، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1986م.

- 46- العباسي، محفوظ محمد عمر:
- العباسيون بعد احتلال بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
- امارة بهلثان العباسية، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1969م.
- 47- العزاوي، عباس:
- تاريخ العراق بين احتلالين، ج3، مطبعة بغداد، 1939م.
- تاريخ الضرائب العراقية، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1958م.
- تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1960م.
- 48- العلمي، صالح احمد:
- محاضرات في تاريخ العرب، ط1، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1981م.
- 49- عمر، فاروق:
- الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، الشارقة، 1983.
- 50- فهمي، نعيم زكي:
- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)،
المكتبة العربية، القاهرة، 1973م.
- 51- القزاز، محمد صالح داود:
- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970م.
- 52- الكتاجي، زكريا:
- الترك في مؤلفات الجاحظ، دار الثقافة، بيروت، 1972م.
- 53- الكلداني، بطرس نصري:
- كتاب ذخيرة الأذهان في تواريخ المشاركة والمغاربة السريان، مطبعة دير الآباء
الدومنيكين، الموصل، 1913م.
- 54- لسترنج، كي:
- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م.
- 55- لونكر، ستيفن هيمسلي:
- اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط6، مكتبة اليقظة
العربية، بغداد، 1985م.

- 56- لين بول، ستانلي:
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، ترجمة: احمد السعيد سليمان، دار المعارف بمصر، 1972م.
- 57- الملائني، انور:
- الاكراد في بهديتان، مطبعة الحصان، الموصل، 1960م.
- 58- نوار، عبد العزيز:
- الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973م.
- 59- نورس، علاء موسى كاظم وعماد عبد السلام رؤوف:
- امارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.
- 60- هتزر، فالتر:
- المكايل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية.
- 61- واكيم، سليم:
- امبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 62- ولبر، دونالد:
- ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة: النعيم محمد حسين، مكتبة مصر، القاهرة، 1958م.
- 63- آل ياسين، الشيخ محمد حسن:
- لمحات من تاريخ الكاظمية، مطبعة المعارف، بغداد، 1970م.
- 64- آل ياسين، محمد مفيد:
- الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، ط1، الدار العربية، بغداد، 1979م.
- رابعاً: المصادر والمراجع الفارسية**
- 1- اسفرازي، معين الدين محمد زنجي:
- روضات الجنات في اوصاف مدينة هرات، تصحيح وحواشي: محمد كاظم امام، انتشارات دانتشكاه، تهران.
- 2- اقبال، عباس:
- تاريخ مفصل ايران، مؤسسة جاب وانتشارات امير كبير، 1341 هـ س.
- 3- ابو بكر الطهراني (حرر هذا الكتاب في سنة 875 هـ / 1470م):
- ديار بكرة، بتصحيح واهتمام: نجاتي لوغال وفاروق سومر، انقره، 1962م.

- 4- بیانی، شیرین:
- تاریخ آل جلاير، دانشگاه، تهران، 1345 هـ.
- 5- حافظ ابرو، شهاب الدین عبد الله بن لطف الله الخوافي (توفي سنة 838 هـ / 1434م):
- ذیل جامع التواریخ رشیدی، شركة تضامني علمي، تهران، 1317 هـ.
- 6- الخوافي، فصیح احمد بن جلال الدین محمد (توفي سنة 849 هـ / 1445م):
- مجمل فصیحی، بتصحيح و تحشیة: محمود فرج، جاب طوس مشهد، 1339 هـ.
- 7- خواندمیر، غیاث بن همام الدین الحسینی (توفي سنة 942 هـ / 1535م):
- حبيب السیر فی اخبار افراد البشر، کتابخانه خیام، تهران.
- 8- الخوانساري الأصهباني، الميرزا محمد باقر الموسوي:
- روضات الجنات فی أحوال العلماء والسادات، تحقیق: اسد اسماعیلیان، دار الكتاب العربي، بیروت.
- 9- الرازي، عبد الله:
- تاریخ کامل ایران، طهران، 1335 هـ.
- 10- روملو، حسن یك:
- احسن التواریخ، تصحيح: عبد الحسین نوائی فرمنکستان، أدب و هنر، ایران.
- 11- شامي، نظام الدین (توفي سنة 807 هـ / 1404م):
- ظفر نامه، بسعي و اهتمام وتصحيح: فلکس تاور جاب مطبعة امريکاني در بیروت، 1937م.
- 12- الشوشتری، سيد نور الله (توفي سنة 1019 هـ / 1610م):
- مجالس المؤمنین، جامعانة اسلامية، تهران، 1376 هـ.
- 13- غفاري، القاضي احمد بن محمد عبد الغفور (توفي سنة 975 هـ / 1567م):
- تاریخ جهان ارا، کتا بفروشی، حافظ، تهران.
- تاریخ نکارستان، کاشانی، تهران.
- 14- کسروي، احمد:
- تاریخ بانصد ساه خوزستان، تهران، 1312 هـ.
- 15- ميرخواند، محمد حميد الدين بن سيد برهان الدين (توفي سنة 903 هـ / 1497م):
- تاریخ روضة الصفاء، تهران، 1339 هـ.

- 16- مینورسکی:
- تاریخ تبریز، ترجمه إلى الفارسية: عبد العلي كارنك، كتابقروشي، تهران، 1337 هـ.
- 17- نظرتي، معين الدين (الف الكتاب سنة 816 هـ):
- منتخب التواريخ معيني، بتصحيح: زان أوين، كتابقروشي خيام، تهران، 1336 هـ.
- 18- اليزدي، شرف الدين علي (توفي سنة 850 هـ / 1446م):
- ظفرنامه، بتصحيح واهتمام: محمد عباسي، شركة سامي جاب، زكمين، 1336 ش.
- خامسا: المصادر والمراجع التركية**
- 1- ادهم، خليل:
- دول اسلامية، ملي مطبعة، استنبول، 1927م.
- 2- توحيد، احمد:
- مسكوكات قديمة إسلامية قنا لوفي، قسطنطينية، محمود بك، مطبعة سي، 1321 هـ.
- 3- الشيخ اسحاق أفندي:
- رسالة كاشف الأسرار ودافع الأشرار، سنة الطبع، 1280 هـ.
- 4- عاشق باشا زاده:
- تواريخ آل عثمان، استنبول، 1332 هـ.
- 5- عبد المولى، مصطفى بن احمد:
- كنه الاخبار، استنبول، 1277 هـ.
- 6- علي، شرف الدين:
- تيمور تزوكاتي، ترجمه من الفرنسية إلى التركية، مصطفى رحيمي، استنبول، 1339 هـ.
- 7- فريخ:
- كردلر، كتيخانه مهاجرين، مديرية عمومي، استنبول، 1334 هـ.
- 8- منجم باشي، احمد بن لطف الله المولوي (توفي سنة 1117 هـ / 1701م):
- صحائف الاخبار وهو ترجمة لكتاب جامع الدول من العربية إلى التركية، ترجمة: الشاعر نديم أفندي، مطبعة عامره، 1285 هـ.
- 9- Hinz, Walter: Uzun Hasan Ve Seyh Gunejd Geviren Tevfik Biyiklioglu, Ankara, 1948.
- 10- Lester abadi, Aziz Bn Erdeshir: Bezm Urezm, Siviem, Marshal Ozturk, Ankara, 1990.

- 11- Kafes Oglu, Ibrahim: Kara Koyunlu Devlet in ((Turk Dunyasiel kitabi. T. K. A. E. , yayinlari, 45)).
 - 12- Kara Koyunlu in Islam Ansiklopedisi 6, cilt, milli Egitin pasimew, Istanbul, 1977.
 - 13- Sumer, Faruk: Kara Koyunlular, 1, cilt, Ankara, 1967.
 - 14- Uzuncarsili, Ismail Hakki: Osmanli Devleti Te Skilatina medhal, Maarif matbaasi, Istanbul, 1941.
- Andolu, Beylirleri Ve AK Koyunlu, Kara koyunlu Devleteri, Ankara, 1969.

سادسا: الرسائل الجامعية الغير منشورة

- 1- الجابري، محمد هليل:
- امارة المشعشين، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، في التاريخ الحديث، 1973م.
- 2- حسين، جاسم مهاوي:
- تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام وأثاره السياسية 1285 - 1405م، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، 1976م.
- 3- خليل، علاء محمود:
- المغول في الموصل والجزيرة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، 1985م.
- 4- الزهيري، حنان جاسم محمد:
- العلاقات السياسية المملوكية التركمانية خلال عهد دولة المماليك الجراسكة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الموصل، 1991م.
- 5- السخاوي:
- الذليل التام على دول الاسلام، تحقيق: احمد عبد الله الحسو، وهي رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى جامعة عين شمس، 1968م.
- 6- الطوني، يوسف جرجيس جيو:
- جهود العراقيين الحضارية في بلاد الشام ومصر، رسالة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990م.

- 7- علي، علي شاكراً:
- ولاية الموصل في القرن السادس عشر، رسالة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992م.
- 8- عمر، عماد الدين خليل:
- امارة بني ارتق، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة عين شمس، 1968م.
- 9- القهواتي، حسين محمد:
- العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، 1975م.
- 10- محمد، سالم يونس:
- العراق في السياسة المملوكية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 1988م.

سابعا: الموسوعات

- (1) مقالات معربة عن دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية):
- أرندت: مادة شريف، م13
- ايوار: مادة سلاح دار، م12
- بارتولد: مادة الايلخانية، م3
- بارتولد: مادة ترك، م5
- مورتمان: مادة حسن يزرك، م7
- مينورسكي: مادة اوزن حسن، م3
- مينورسكي: مادة أويس، م5
- مينورسكي: مادة أويس الثاني، م3
- هور فتر: مادة أمير الحج، م2
- هيوار: مادة اسماعيل الاول، م2
- (2) دائرة المعارف بإدارة افرام البستاني، بيروت، 1956م:
- اتش، احمد: مادة آق قوينلو، م1
- (3) موسوعة الموصل الحضارية (ط1، جامعة الموصل، 1992):
- 1- الحسو، احمد عبد الله: الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الايلخانية، م2.
- 2- الحسو، احمد عبد الله: الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الجلائرية، م2.

- 3- رشاد، عبد المتعم: الموصل في عهد الادارة الاتابكية، م2.
- 4- رشاد، عبد المتعم: الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية، م2.
- 5- علي، علي شاكّر: الموصل في عهد سيطرة دولة الخوفا الاسود والخوفا الابيض، م2.
- 6- مراد، خليل علي: تجارة الموصل، م4.
- (4) الجيش والسلاح (بغداد، 1987م):
- 1- الحلو، صادق ياسين: الجيش والسلاح منذ سقوط بغداد حتى العصر العثماني، م5.
- (5) حضارة العراق (دار الحرية للطباعة، بغداد 1985م):
- 1- الجنابي، احمد نصيف: علوم القرآن الكريم، ج11.
- (6) العراق في مواجهة التحديات (بغداد 1988م):
- 1- رؤوف، عماد عبد السلام: التحدي الجلائري، ج3.

ثامنا: المعاجم

- 1- المعجم اوغلو، عبد اللطيف وآخرين:
- المعجم التركي العربي، منشورات مديرية الثقافة التركمانية، الجمهورية العراقية، 1982م.
- 2- التوغجي، محمد:
- المعجم الذهبي (فارسي، عربي)، دار العلم للملايين، بيروت.
- 3- عميد، حسن:
- فرهنگ عميد (فارسي فارسي)، سازمان جاب وانتشارات جاويدان.
- 4- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (توفي سنة 711 هـ / 1311 ك):
- لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1955م.

تاسعا: المقالات والبحوث المنشورة في المجلات والصوريات

- 1- اويان، جان: تيمورلنك في بغداد، مجلة المورد العراقية، العدد الرابع المجلد الثامن، 1979م.
- 2- ترزي باشي، عطا: أقدم وثيقة عثمانية عن بغداد، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الثامن، 1979م.
- 3- جواد، مصطفى: المشعشعون ومهديهم، مجلة لغة العرب، ج9، السنة التاسعة، أيلول، 1931م.
- 4- الجواهري، عماد احمد: ملاحظات عن الاقطاع وحياسة الأراضي في كردستان في العصور الإسلامية، مجلة كاروان، العدد 34 لسنة 1985م.

- 5- الحجي، حياة ناصر: العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية، 1981م، الرسالة الثامنة.
- 6- الحمداني، طارق نافع: التدوين التاريخي في العراق (656 - 891 هـ / 1258 - 1486م) مع دراسة خاصة عن ابن الفوطي والغياثي، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، العدد 29، المجلد الثامن، 1988م.
- 7- الحمداني، طارق نافع: علاقات المماليك المصريين بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع ق 16م، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، العدد 29، المجلد الثامن، 1988م.
- 8- خليل، ابراهيم: اوضاع العراق السياسية في عهد السلطان احمد الجلائري، مجلة آداب الرافلين، العدد الثامن، 1977م.
- 9- خليل، نور عبد الحميد: حملات تيمور على بغداد، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، 1979م.
- 10- رؤوف، عماد عبد السلام: حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين، مجلة المؤرخ العربي، العدد الحادي عشر، بغداد، 1979م.
- 11- زعين، حسن فاضل بالاشتراك مع نوري عبد الحميد خليل: الثقافة العربية ومراكز العلم في العراق في الفترة الجلائرية، مجلة دراسات الأجيال، العدد الاول والثاني، آب، 1984م.
- 12- العاني، نوري عبد الحميد خليل: المجتمع والسلوك الجمعي للسكان في العراق في عهد القره قوينلو، بحث (غير منشور).
- 13- عبود، نافع توفيق: مدارس المدن العراقية خارج بغداد في عهد الاحتلال الايلخاني، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، تصدرها جمعية المؤرخين والاكثاريين في العراق، العدد الاول، دار الحرية، بغداد، 1981م.
- 14- علي، علي شاكرا بالاشتراك مع علاء محمود خليل: دور الموصل والجزيرة الثقافية في مواجهة التحدي المغولي (مقبول للنشر في مجلة المورد).
- 15- علي، علي شاكرا: اماره آل فضل والصراع المملوكي المغولي، مجلة دراسات عربية، العدد الثامن، السنة 1987م.
- 16- علي، علي شاكرا: العراق والغزو القره قوينلو في القرن الخامس عشر الميلادي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 28، السنة الحادية عشرة، 1986م.

- 17- علي، علي شاكِر: دولة الآق قوينلو في الأناضول والعراق (بحث مقبول للنشر في مجلة المؤرخ العربي).
- 18- علي، علي شاكِر: الأوبئة والأمراض في الموصل خلال القرن الخامس عشر الميلادي (بحث مقدم إلى ندوة أطباء الموصل في التاريخ العربي الإسلامي والتي عقدت بتاريخ 5-6 آيار 1990م).
- 19- الفيل، محمد رشيد: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الأيلخاني، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد السادس، 1963م.
- 20- يكوبوفسكي، أ. يو: تيمورلنك (وصف موجز لسيرة حياته)، ترجمه عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات، تصدرها الجامعة الأردنية، المجلد الخامس عشر، العدد السابع، تموز، 1988م.

1. Ashtor, E: Social and Economic History of the Near East in the middle Ages (London, 1976).
2. ——— The Venetian Cotton trade in Syria in the Later Middle Ages in studies on the Clevantine Trade in the Middle ages, London, 1978.
3. Barthold, V. V.: Four Studies on the History of Central Asia, "Leidem, 1962".
4. Bosworth, C. E.: Islamic Dynasties "Edinbaragh, 1980.
5. Brown, Edward, G: A Literary History of Persia "Cambridge university Press, 1964.
6. Al Feel, Muhammed Rashid: The Historical Heography of Iraq between the Mongolian and Ottoman Conquests "Al-adab Press, Negef, 1965.
7. Howorth, Henry. H: History of the Mongols from the 9th to 19th Century "Bart Franklin, New York".
8. Reid, James. J: Tribalism and Society in Islam Iran 1500-1629 "Malibu, California, 1982.
9. Rypka, Jan: History of Iranian Literature "Dordrecht – Holland".
10. Malcom, Sir John: History of Persia, "London, 1814".
11. Mustqwf of Qazwin, Hamd – Allal: Nazhat – Al – Qulub "Tr. By G. le-strange, leiden, Brill, London, 1919.

Encyclopaedia of Islam "New Edition"

1. Ak Koyunlu, Vol. I.
2. Kara Koyunlu, Vol. 4.
3. Turkoomans to present day, Vol. 4.

Bullentin of the School of Oriental and African Studies

(B. S. O. A. S.) University of London

1. Minorsky, V: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, Vol, XVII, part 3, 1955.

2. ————— A Soyurghal of Qasim B. Jahangir AQ-Qoyunlu "903 / 1498" Vol. IX part 4, 1939.
3. Minorsky, V: Jihan –Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, Vol. XVI, part 11, 1954.
4. ————— The Qara Qoyunlu and the Quth Shahs "Turmenica, 10" Vol. XVII, part, 1, 1955.

The Cambridge History of Iran (C. H. I.)

Cambridge 1986

1. Amoretti, B. S: Religion in the Timurid and Safavid Periods Vol. 6.
2. Romer, H. R: The Turkmen Dynasties, Vol. 6.

Der Oslam, (D. I.)

1. Savory, R. M: The Struggle For Supremcy in Persia after the Death of Timur "Band, 40, Heft, 1, Mai, 1964, Berlin.

Journal of the Royal Central Asian Society (J. R. C. A. S.)

1. Minorsky, V: The Middle East in Western Politics in the 13th 14th and 15th centuries (1940, part 27).

